روبير لنسن

التطوّر النفسيّ في الألف القادمة

ترجمة ندرة اليازجي

روبير لنسن

التطوّر النفسيّ في الألف القادمة

ترجمة ندرة اليازجي

دار الغربــال

دمشــق ـ القصــور ٦١

يوجد حد مطلق في اللانهائي الصغير يتوقف عنده احتمال تجزئته ، وذلك لأن الوحدة اللامنقسمة للجوهر الخالص تتجاوز هذا الحد ٠

روبير لنسن

الغلاف تصميم : أكرم أفدار

محتويات الكتاب

مقدمة المترجم

يجيب روبير لنسن ، في هذا الكتاب ، على الأسئلة الكبرى : من أين أتينا ؟ من نحن ؟ الى أين نمضي ؟

لا يكتفي المؤلف بعرض وجهة نظره الخاصة ، بل يبسط أيضاً وجهات نظر علماء وفلاسفة مرموقين ، توطدت صداقته مع بعضهم ، استشفوا المجازفة المذهلة التي يقوم بها الوعي الانساني المتحرر من الضيق والقلق الذي تثيره الأزمات المعاصرة ٠

يخلص روبير لنسن الى ضرورة تقضي بتحقيق تحول نفسي وتطور عقلي كما يراه في كتابات وبحوث عرفان علماء وحكماء برنستون ، ودراسات كارل يونغ في الشعور واللا شعور ، واختبارات الفيزيائيين دافيد بوهم وفريتجوف كابرا التي أشارت الى وجود كل منطو ، هو باطن ، يستمد الظاهر أو الخارج وجوده منه ، وبحوث جان شارون التي أقامت الدليل على وجود زمكان نفسي يقابل زمكاناً فيزيقياً ، وحكمة كريشنامورتي المتمثلة في تجاوز حالة التوازن المنشودة في الشعورواللاشعور الى حقيقة جوهرية ، ومعرفة ستيفان لوباسكو وكارلو سواريز التي تركزت على دراسة الذاكرة الكونية والنظام مقابل المصادفة ، واكتشافات العلماء جوزفسون وويغنر وغاردنر وسنوستاد ، حاملي جائزة نوبل ، وغيرهم ، أمثال بريبرام وهويلر وكوزيرف ، ممن أقروا بتحول نفسي وروحي في الوقت الذي تعبر البشرية عتبة الألف القادمة ٠

روبير لنسن ، مؤلف الكتاب ، فيلسوف متفائل يعاين التحول القادم ، في نطاق النفس والروح والعقل والشعور والعلم ، عبر تطور ينتقل فيه الانسان المحتجز في قوقعة « الأنا » الى « الكيان » الذي يشير الى نهاية الأنا والذات ، ويؤدي الى انبثاق فجر الوعي الكوني ٠

ندره اليازجي

دمشق ١٩٨٣

مقدّمة

الحاجة إلى علم نفس الأعماق

عقبت علومَ النفس القديمة وطرائق التحليل النفسي العائدة الى المدرسة الفرويدية علومُ نفس وطرائق تحليل نفسي سميت « **علم نفس الأعماق** » • وكان كارل غوستاف يونغ وشارل بودوان الملهمين الرئيسين لهذا العلم في أوروبا • ويعود الفضل لهذين العالمين اللذين أوضحا الدور الهام الذي يلعبه النظام الروحي الذي أهمله سيغموند فرويد بعض الشيء والعوامل الأخرى التي أُسندت اليه أو نسبت له •

ولما كنا نقف على عتبة الألف الثالثة ، نودّع نهاية الألفين ، ونشاهد التقدم الذي يحرزه العلم والتقنية كل يوم ويمد الانسان بنصر جديد على المكان والزمان ، فان ايقاعات الوجود الانساني وتواتراته تبدو وكأنها تترسب في حقيقة جوهرية •

ولا شك أن الفتنة أو الجذب الذي تمارسه الانتصارات الخارجيــة تنقص الاهتمام بالقيم الداخلية وتقلل من أهمية نفعها وخيرها • فالانسان الحديث كائن منتزع من بيئته ، كائن استؤصلت جذوره ، بحسب المعاني المادية والنفسية المتضمنة في الاصطلاح •

وفي نهاية القرن العشرين يلوح العالم كله وكأنه يرقص على فوهــة بركان • فالثورات المتواصلة وتسارع التيارات الفكرية التي يواجههــا تُحدث **اصطفاء في النماذج النفسية المختلفة للجنس البشري** • فلا غرابة أن نشاهد تشابهات غريبة بين الظاهرات المادية والنفسية • وتتجلى هذه التشابهات ، كنتيجة حقة ، من وحدة وترابط مستويي الطاقة ، النفسيــة والمادية ، بحيث يتكل كل منهما على الآخر اتكالا متبادلا •

واذا كان الأمر كذلك ، فان السرعة التي تتلاحق بها الأحداث الحالية تجعلنا نفكر بالدوّامات السريعة النابذة ــ المبعدة عن المركز ــ التي تختار أو تصطفي العناصر المكونة ذات الخلائط السائلة التي توضح أو تبرز مركبات ذات كثافات أو أثقال نوعية ذرية مختلفة • وعلــى هذا الشكــل يمكننا أن ندرك بوضوح عملية تحديد تخوم مناطق المركبات المصطفاة من خلال تنسيق أو نظام الكثافة • وبالمثل ، فان الأحداث المأساوية والتوترات المضطربة التي تثير الناس وتحركهم في **فترات الانتقال أو التحول ، كتلك التي نحياها اليوم ونحن نعبر عتبة الألف الثالثة ، تتصرف وكأنهــا فعل اصطفائي على الصعيــد النفسي** • فالنماذج البشــرية التي تنتسب الى «**كثافات أو أثقال نوعية**» نفسية مختلفة قد استهدفت الأنظار ، وتوضحت. ويمكننا تقسيمها الى ثلاثة أصناف بحيث يتعذر تعيين حدود الصنفــين الأولــين بوضــوح •

يعيّن الصنف الأول **طور نشاة أو مولد « الأنــا »** ؛ والصنف الثاني يتلو الصنف الأول ويعيّن **طور نضج أو ايناع « الأنــا »** • أما الصنــف الثالث فانه يعيّن **طور تجــاوز « الأنــا »** ؛ وفي غضونــه يتحقق تبــدل أو تحــول نفســي •

يتصف الطور الأول بأنه مرحلة سابقة للفردية ، توجه الكائن البشري شطر فرديته • ويتصف الطور الثاني بأنه مرحلة بناءتفرّد أكثر اعداداً وأفضل تكويناً من سابقتها • ويتصف الطــور الثالث بأنه مرحلة بلــوغ الكمال الانساني • وجدير بالذكر ان هذه المرحلة الأخيرة تتحقق من خلال تجاوز كل ما هو أناني ، شخصي أو فردي ، متوخية النفع والخير لما هــو شامل وكلي • ومع أن هذه المرحلــة قضية طبيعيــة تماماً ، لكــن الذين يحققونها قلة نادرة •

★ ★ ★

تشير المرحلة التي يجتازها مولد أو بدء « الأنــا » الى ان الشــعور بالوعي الفردي يُعد ذاته للألم والعناء • « فالأنــا » لا تفكر بنفسها ، أي عن طريق ذاتها ؛ وعلى غير ذلك ، تتماثل ، أو توحد هويتها ، مع المجموعة التي تكوّن جزءاً منها • وقد تكون هذه المجموعة عرقاً ، دولة ، جماعــة سياسية ، ديانة ، طائفة ، أو مجرد فرقة رياضية بسيطة • وجدير بالذكر ان هذا التوحيد أو التماثل يكون ، في واقعه الأصلي ، أكثر أهمية مــن الطبيعة، والأفكار أو البنى التي تشكل الموضوع •

ويشتهر طور مولد « الأنـا » بروح القطيع ، وبالعقلية القبلية التي تشدد على الاعتراف بأهمية الوجود في وسط المجتمعات التي تؤكـد أو تدعي بأنها متحضرة ٠ لذا ، لا يفكر الكائن البشري ، في ظل أوضاع كهذه، بنفسه أو يتصرف من خلالها ٠ فهو يطيع طاعة عمياء الكلمات التي تتفوه بها الأنظمة السياسية ، الدينية أو الخلقية ٠ وتقوم حياته على الخضوع والمحاكاة ٠ ولئن كان هذا الوضـع يسود المجتمعـات القديمة وغالبيـة الكائنات البشرية ، لكن الصبغة ذاتها لا تزال تصبغ ، في أيامنا هـذه ، عقلية أولئك الخاضعين الذين يعانون من وطأة وضع شبيه دون أن يعارضوا أو يقاوموا التعاويذ التي تفتتن بها الحركات التي تتصل « بالجماهير » ٠ وليس هؤلاء الذين يكابدون عبء هذه الحركات سوى ضحايا رصدتهـا وأعدتهـا سـلفاً أنواع الحـكم الاستبـدادي وما يتولـد منها من عنـف وظلـم وقسـوة ٠

وكما قلنا ، ان طور نضج « الأنـا » يتلو مرحلة مولدها ونشأتهـا ٠ وفي نمو وتطور هذه المرحلة الجديدة يستيقظ الحس النقدي أو ادراك الخطر القائم ٠ وعندئذ ، تبدأ « الأنـا » في التعمق بوعي نفسها ، فتؤكد ذاتها وتنزع الى الاستقلال أو الى سيادة ذاتية آخذة في التقدم ٠ وتأبـى الانصياع بسهولة للكلمات التي يعتمدها النظام القائم وللعقائد السياسية أو الدينية ٠ وتستهل الأنا مبدأ التفكير الذاتي ، عالمة بأنها ليست مجـرد حيوان بسيط على هيئة انسان ، يخضع خضوعاً عشوائياً للأوامر والنواهي التي عايرتها الأنظمة ووحدت نمطها ٠

وعلى الرغم من هذا ، قد تقترف الأنا ، بادىء الأمر ، أخطاء ؛ ولكن مثل هذه الأخطاء لا تحـول دون وضع سيرورة أو تطـور يرسخ الأصالـة النفسية وتعمق جذورها فتضعها موضع التنفيذ ، بحيث أنها تدفعها الى الحركة ٠ **وفي هذه الحال تنزع الأنا الى الانتقال من طور المحاكاة الـى طور الخلق والابداع ٠**

وجدير بالذكر ، ان الكائـن الذي يتصف بنضج نفسي ينأى عـن النظر الى نفسه باعتبارها مركز العالم ٠ فهو حريص على استهلال سياق حياته في ادراك ان ارجاع أو رد كل شيء الى ذاته أمر يثير السخرية ٠ **وبالاضافة الى هذا ، يتجه الى الارتباط والاندماج بالموضع الصحيح الذي يحتله في التسلسل الرتبي المعقد للكائنات والأشـياء ٠ ولا يكتفي بمـا حققه ، بل يعيد التأمل والتبصر في الحضارة التي ولد فيها وترعرع في وسطها ، فيعيها بعمق ٠**

واذا ما حقق هذا التأمل العميق بقيم حضارته ، تأكد أن الأسلوب الذي تعبّر فيه الأحداث الواقعية عن ذاتها ، والأزمات ، وأنواع العنف تشكل مجموعاً أو كلاً من العناصر المخصبة على نحو خاص ، التي تمده بامكان التفكير والتبصر ، كما تزوده بالشعور بالوعي • وهكذا ، تتمثل المهمة الأساسية الملقاة على عاتق الحكومات والسلطات السياسية والأديان **في الاسهام أو المشاركة في احداث الأمن والطمأنينة ، واستتباب السلام ، وتحقيق الازدهار والسعادة •**

لكن الواقع يشير الى غير ذلك ؛ فقد حلّ البؤس محل الازدهار والرخاء ، وسادت الأوضاع البشرية أزمات اقتصادية وسياسية واجتماعية تزداد حدتها يوماً بعد يوم • ولم تنج الديانات من هذه الأزمات ؛ فقد كانت ، طوال العصور التاريخية ، ذريعة لاشعال نار الاضطهاد ومسرحاً لأعمال القسوة التي يندى جبين الانسانية منها خجلا • ولا يفوتنا أن نذكر ان الأزمات الفعلية التي عاصرت جيلا من الأجيال تُحدث أو تولد حالة من التوتر ووضعاً من فقدان التوازن يتصف باتساع لا يسمح بوجود مكان أو موضوع في العالم يستطيع فيه الانسان القول بأنه يحيا حياة اطمئنان حقيقي أو أمانة وسلامة حقة •

ونتساءل : كيف لا تحيق التعاسة بالانسان ونحن نشاهد على مسرح الألفي سنة المنصرمة ، كما تخبرنا الاحصاءات الحديثة ، أكثر من خمسة آلاف حرب تندلع وتزداد حدة وخطورة • فمنذ بداية العصر الذري وتدشينه الدرامي في هيروشيما ، عام ١٩٤٤ ، أضحت وسائل وطرق التدمير مخيفة الى حد يستحيل فيه على أية جهة من الجهات المتحاربة البقاء على قيد الحياة أو الافتخار بنشوة الانتصار • كيف لا يكون هذا الوضع واقعياً ونحن نشهد ، عند عتبة الألف الثالثة ، فئات تناوىء بعضها وتكيد لبعضها بفعل ما تمتلىء به من عداء ، وتتهيأ ، بل ترسم وتخطط ، لأكثر مذابح التاريخ فداحة وأشدها فظاعة •

وكيفما التفتنا من حولنا ، نشاهد أفواجاً من الرجال والنساء والشباب يعلنون صراحة عن خيبة أملهم بالمؤسسات التي تذلّهم وتسحقهم في الوقت الذي كان يتوجب عليها أن تقدم لهم العون وتحررهم من قيود وعبوديات اجتماعية كثيرة • وفي كل مكان ، نجد أناساً يرتابون ويشتبهون ، ثم يتنبهون ويستيقظون • ومثل أولئك الناس ينفصلون عن نفسانية القطيع البشري التي تقودهم الى الهاوية والى التدمير الذاتي • وان كنا نحسب عددهم في عام ١٩٢٠ بمئة ألف ، فلن نتوانى عن الاعتراف بأن

عددهم سيبلغ مئة مليون عند عتبة الألف الثالثة • ولسوف يرفضون القيام بدور اللعبة الوحشية أو الجهنمية المسؤولة ، الى حد ما ، عن أنواع الشقاء والبؤس المادي والخلقي •

ولا يدهشنا أن نعلم ان الاخفاقات المؤلمة التي تشير الى التعارض القائم بين الوقائع اليومية والوعود الجميلة ، والمنظور الذي نرى فيه الفواجع الجديدة ، سواء كانت ايكولوجية أو اقتصادية وسياسية ، تسهم كل يوم في تحقيق شعور بالوعي لدى الكائنات البشرية • وان من اتصف منهم بالشجاعة والذكاء والوعي وارتاب في القيم السالفة والحاضرة كلها ينشطون في ذواتهم سيرورة أو تطوراً يتميز بنضج نفسي قادر على أن يكون تمهيداً أو مقدمة لعملية تحرر داخلية •

ألا تحدثنا السنون الخمسون الفائتة عن سياق الحوادث ! ألا يبعث فينا حديث السنين الخمسين ومشاهدة أحداثها المتعاقبة تشاؤماً معيناً خاصاً بارتباط العلل والمعلولات على المستوى المادي : أزمات ، حروب ، تلوثات • ولا غرو ان الغالبية العظمى من بني البشر يشاركونني هذا الاحساس • وفي رأينا ، ان هذا التشاؤم سيتخلى عن مكانه ليحل محله تفاؤل يتصل بالتطور النفسي للكائن البشري • **وعلى هذا الأساس ، تتبين لنا بوضوح ، ونحن ننظر الى ما يقع بعد أنقاض عهد قديم يتقوض وينهار ، ولادة عهد جديد لن تفسده الأنانية بكل ما أوتيت من قوة •**

ويؤسفنا القول ان قيمنا الخلقية والدينية والاجتماعية كلها قد شيدت على مفهوم « الأنا » بوصفها حقيقة مطلقة ، كما رسخت قاعدتها على تعظيم أو تأليه الفكر •

والحق يقال ان الطور المتميز بالنضج النفسي لا يعد طوراً نهائياً للتطور الانساني • ولئن كانت الغالبية العظمى من أنصار فرويد أو يونغ ينظرون اليه نظرة الطور النهائي ، أو الأقصى ، لكن هذه النظرة لا تنفي وجود تيار فكري آخر مختلف تمام الاختلاف • فلقد كان هذا التيار قائماً كأسلوب فكري لدى حكماء الشرق القدامى ، وبرز ، أو توضح ، على يد العلماء المعاصرين الذين تميزوا بسمعة وشهرة عالمية •

وفي الواقع ، يستوجب طور « النضج » في بداياته عناصر متنافرة أو غير متطابقة • لذا ، نخطيء في اعتقادنا ان هذا الطور هو بالضرورة طور انسجام أو تآلف كلي مجرد أو خال من كل توتر ونزاع نفسي داخلي •

ولئن كانت ولادة « الأنـا » تشير الى نشأة الشعور بالوعي من حيث أنها أُعدت اعداداً أولياً ، فان طور نضج « الأنـا » ، بالمقابل ، ليس هو طور حرية الارادة فحسب بل طور الاثبـات والتركيـز ، طور المطالبـة والادعـاء • ويشتمل هذا الطور ، وبخاصة في بداياتـه ، علـى العنف ، الاثبات والتوكيد المفرط للذات •

ثمة تعليم مأثور يأتينا من الشرق ، يؤكد أننا سنجد أنفسنا في قلب هذا الطور • ويُقر هذا التعليم بوجود عصرين :

١ ــ عصر كالي يوغا ، عصر الحـديد ،والـدم ، والعنف ، والمجابهـات الفردية والجماعية ، يعقبه عصر آخر هو :

٢ ــ عصر ساتيا يوغا ، عصر الانسجام والتآلف • وفي سياق هذا العصر الأخير سنتعاضد من أجل تفوق على الذوات ، وبالتالي سنشاهد أفول التوترات والنزاعات الداخلية الملازمة لها • وسوف يسهم التطور العاجل للعلوم والثقافة الجديدة التي ستنتج عنه في احداث وعـي يشعر بوحدة الكون •

وعلى مستوى الروح ، تتوضح الدلائل المبشرة بادراك شبيه للقيـم في الوقت الذي نقف على عتبة الألف الثالثة • وفي سياق نهاية هذا الطور من النضج ، ستعي « الأنـا » على نحو غامض هشاشة وضعف حدودهـا وتدرك صفتها المتناقضة •

أما التطورات الهامة في نطاق العلم والتقنية فانها ستقيم الدليل لكل انسان يتصف بثقافة متوسطة على الصفة الزائفة لمذهب المركزية البشرية ــ الانسان هو حقيقة الكون المركزية ــ الذي يضع الانسان في مركز الكون ويضمن له موضع الصدارة المميزة • وفي هذا الصدد يكتب ريمون رويّه في كتاب « غنوص برنستون »(١) : « يعد مذهب المركزية البشرية جرحـاً من الجراح التي يتألم منها العالم الحديث • ويتوجب على هذا المذهـب التخلي عن مكانه « لمركزية كونية » •

وفي هذه المركزية الكونية ، يعرف الكائن البشري نفسه على نحـو أفضل ، ويضع نفسه في المكان اللائق الذي يشغله في الكون ، ويمهد لنفسه سبيل تجاوز الحدود الضيقة والمتصلبة لشعوره الأنا ــ ني • ويبدأ ، في الوقت المناسب ، في ادراك وحدة الحياة فيما وراء تعددية الأشكال • وفي

هذه اللحظة يتعين فجر الطور الثالث للتطـور النفسي والروحي للكـائن البشري : طور تجاوز « الأنـا » ٠

وسوف يتأمل الكائن الانساني ، وهو يقف أمام وضوح الاختلالات الناشئة عن النمو أو التطوير المقصور على الجانب العقلي وعن تقسيمـه وتجزئته ، المسؤولة عن التوكيد الصارم للذات ، ضرورة تحول أو تجاوز سيرورات الفكر الاعتيادية المألوفة ، والتحليل والتجزئة ٠

وعلى هذا الأساس ، سوف تنزع « الأنـا » الى ابانة التطورات أو السيرورات العميقة التي تشرف على وجودها وتبـدأ في ادراك ظـروف وأوضاع سجنهـا ادراكاً غامضاً ؛ كمـا وستدرك اتسـاع تناقضاتهـا واشراطاتها ٠ وفي وسط هذه الأمور تكتشف أهمية فعل الذاكرة والحضور الثابت والمثابر للصورة التي تمتلكهـا عن ذاتها ٠ ومنـذ ذلك الوقت ، ينفتح أمامها طريق يُعرف بتطور يشل تلك الفكرة المشوشة التي سيطرت عليها وزودتها بيقين يشير الى أنها كيان منفصل ، معزول ومنقسم الـى أجزاء متباينة عديدة ٠ وكما يعلـن كريشنا مورتي ويردد : « **انها تدرك الباطل بما هو باطل » ٠ وفي هـذا الادراك الشامل ، المباشر ، يتحقـق التحول أو التبدل النفسي والروحي الذي يتجاوز من خلاله الكائن الحي البشري طور النضج لينتقل الى طور التفوق على الذات ٠**

ولن يتورع الكائن البشري عن اكتشاف طبيعته الحقة في ضوء نور يبهره ومحبة تملأ كيانه ٠ ومن الآن فصاعداً ، يحتل هذا الاكتشـاف ، في سلوكه الكلي ورؤيته الداخليـة ، مكان الصـدارة والأولويـة ، ويتبوأ الأفضلية في النظام الطبيعي للأشياء ٠ ولقد أوجز حكماء الصين القدامى اتباع مدرسة « شانغ تسونغ » هذا الاكتشاف أو التحقيق في كلمات ثـلاث « **العودة الى النفس** » ٠٠٠

★ ★ ★

ثمة ما يشير الى ان الهفوة التي ارتكبها الانسان في اعتبـاره بعض المعالم السالبة للوظيفة العقلية والافراط الطائش الذي يدل على عـدم التبصر في تطبيق التقنية الحديثة ، قضيتان تحولان دون حلٍ دقيق وصحيح للمشكلات الخطيرة ، مثل التلوث والأزمات الناشئة عنه ، ما لم نجد مخـارج أو سبلا ملازمة للبنى الاقتصادية الفعلية والواقعية الحالية ٠ وكذلك ، ليس ثمة حل للتهـديدات التي تبلغ حد التدمـير الذاتي لكوكب الأرض الناتجة عن الكوارث المتفاقمة للتلوث ما لم نأخذ بعين الاعتبار القوانـين البيولوجية العظمى التي **تضع الانسان والطبيعة والكائنات الحية برمتها**

في قلب كل عضوي واحد تكون فيه الأقسام والأجزاء في وضع يسمح لها باستقلالية تامة لا تقبل الفصل والتفكك ·

ولئن إعترفنا بما حققه العلم والتكنولوجيا من ازدهار هام وأساسي، لكن هذا الاعتراف لا يحول دون الاقرار بأنهما أسهما ، طيلة العصور القائتة ، في اتساع حقل الشعور الصرف بالفردية والاقليمية والقومية ·

ولا يغرب عن بالنا ان تطوير وسائل الاتصال ، والطيران ، والراديو ، ونمو الوسائط التي تسبر الفضاء ، والصواريخ المرسلة الى السيارات ، تتغلب على الصعوبات القائمة في العوائق الاصطناعية التي شيدها الجهل والمصلحة الدنيئة المستحوذان على الكائنات البشرية · لذا ، لا نبالغ اذا قلنا ان « عصر المركزية الكونية » قد ولد صبيحة اليوم الذي سار فيه الرواد الأوائل على القمر ، وانبثق الى الوجود في تلك اللحظة التي بدا فيها كوكب الأرض ، كما شوهد في الصور الفوتوغرافية الأولية ، بهيئة كرة صغيرة تائهة في ضخامة الفضاء · واذا كان الحال كذلك ، فسوف تقيم كل نفس ، وهي تقف على عتبة الألف الثالثة وتجهل وحدة العالم ، الدليل على أنها نفس متقهقرة رجعية تعارض التقدم · وعلى الرغم من المعالم الاصطناعية المحدودة ، **فلا بد وأن تلزم التهديدات الضاغطة المزعجة الكائنات البشرية على الاتحاد تفاديا للهلاك والدمار ·** والحقيقة ، ان مثل هذا الاتحاد لا يخرج عن كونه وحدة عابرة ان لم تكن اصطناعية ·

ومع ذلك ، نرى كيف ان وسائل تدمير العصر الذري والتقدم المتحقق في طرق التدمير الكيميائية والجرثومية المرعبة وفي أشعة اللازر جعلت الانسانية تقف أمام خيار صعب طرحه اينشتاين : الاتحاد أو الابادة والهلاك ·

ومهما يكن ، فان الضرورة الملحة لتأمل الأحداث الواقعة على المستوى العالمي توسع الوعي الفردي وتعمقه · وان مثل هذا الاتساع يعد الأحداث العالمية للاحاطة باحساس يدرك على نحو شامل أو كوني ، ويسير بها ، بالمفارقة والتباين ، الى وعي هشاشة وضعف حدودها الأنا ـ نية والشعور بسجيتها الضيقة أو المجملة ·

وجدير بالذكر ان نمو التقنية والسرعة المتنامية لايقاعات الوجود الانساني الناجمة عنهما يؤولان الى أوضاع محالة ، غير معقولة وظاهرية التناقض · وكلما تغلب الانسان بتقنيته على عقبتي أو عائقي الزمان والمكان ، تضاءل زمانه ، وأصبح أكثر فأكثر على الصعيد النفسي عبدا لقيم الزمان ·

بناء على ما تقدم ، يتضاءل الزمن الذي يتطلبه الكائن البشري ليعي طبيعته الحقة وتبرير وجوده تبريراً جوهرياً • ولا نبالغ في قولنا ان هذا الوضع الذي يجد نفسه متورطاً فيه يحتجزه داخل دائرة مغلقة • وهكذا يؤدي القصور في النضج النفسي والروحي الى اقامة فجوة واسعة بين التقدم العقلي والتقني من جانب والتقدم الخلقي والنفسي من جانب آخر • ولا شك ان هذا القصور أو العوز يُرد الى تباين نجده في أصل كل اختلال أو فقدان للتوازن في المجالين الفيزيقي والنفسي •

ولو أخذنا ، على سبيل المثال ، بلايا التلوث المتفاقمة لأدركنا بأنها حصيلة نقص في البصيرة وانعدام اليقظة لدى التطبيق العملي للاكتشافات التقنية • ولا شك ، ان هذا النقص في التمييز والبصيرة يجر الانسان الى سلسلة من الأفعال والسلوكات تخل بعمق التوازنات الكبرى في الطبيعة • والواقع ، ان هذا الاخلال يتصل بخطأ تصرفاته وعدم استجابته لما يحيط به •

ولئن عرّف أنصار فرويد أو أنصار يونغ علم النفس بأنه علم السلوك ، فانه يفيدنا أن نلقي الأضواء التي يحملها لنا على أشكاله الأكثر كمالا وتطوراً • وفي هذه الحال ، **نعتبر هذه الأشكال فكرة الوحدة الجوهرية ، الحيوية والأساسية للكون ، ونتأملها بوصفها كلاً أو جملة عضوية غير منقسمة** • ولسوف يؤدي تطور الفيزياء والبيولوجيا ، وهما تعبران عتبة الألف الثالثة ، الى توضيح هذه الفكرة • وبمقتضى هذه الوحدة الجوهرية وهذا الترابط والاتكال المتبادل سيولد كل اضرار بشري بتوازنات الطبيعة الكبرى صدمة تزعزع البشرية كلها في الأجل القريب •

ولا يخفى علينا ان عدد الأطباء الذين يطبقون الأثر الذي تخلفه الحياة النفسية في الحياة العضوية لمعالجة الأمراض يتزايد يوماً بعد يوم • وقد استفاد الصناعيون ومدراء المشاريع أيضاً من هذه الواقعة فعملوا على زيادة مكاسبهم وتحقيقق ذواتهم • وهكذا يدرس فيزيائيون بارزون في مخابرهم طبيعة الفكر وقدراته ويسعون الى تحديد وتعريف طبيعة الطاقات النفسية في ضوء نظريات الفيزياء الكوانتية وتحت الكوانتية •

⋆ ⋆ ⋆

يُعد تاريخ تطور الفكر القضية المطروحة خلال دورة واحدة • وليس الانطلاق الكبير الذي يحققه العلم والتقنية في أساسهما الا تطويراً

للفكر • لكن فقدان التوازن الناتج من التطبيقات السيئة للعلم والتقنية يُلزم الكائنات البشرية على معرفة واكتشاف طبيعة ، دور وحدود الوظيفة العقلية بشكل أفضل • فقد عُد التطور الفكري والتقني ، منذ ديكارت الى يومنا هذا ، موضوع ارتباط المعلولات بالعلل • ويكون هذا التطور المرتبط بما بلغته صلة المسببات بالأسباب دراسة ممتعة تتم من خلال الحصائل ظاهرية التناقض التي أفضى اليها •

واذا ما عدنا الى ديكارت وجدنا ان عقله الذي امتاز بعلمه أو طريقته التحليلية والتجريبية كان قادراً على احداث سيرورة أو سياق التجريبية العلمية التي تحدّرت منها الكشوف الكبرى التي امتدت على قرنين من الزمن • وو'فق الانسان بسرعة الى التحايل على امكانات أو كمونات المادة غير المحدودة في تطبيقها • ولقد أحدث التقدم الخارق لمعاملات الانتاج الذي عقب اكتشاف المحرك البخاري والنفط والكهرباء ثورات اقتصادية وسياسية واجتماعية يشوبها الاضطراب •

ولا شك ان مثل هذا الوضع الذي تميز بتغيراته الخارجية أدى بدوره الى نشوء النظريات الماركسية • فقد سبق أن أخذت الروح الانسانية بالثورة الأولى للأحداث الخارجية والقيم التي أنشأها الفكر ذاته • وما ان انقضت تلك الوهلة الأولى حتى أجهد بعض المفكرين الفلاسفة وعلماء الأجتماع والاقتصاديين أنفسهم وصمموا القضاء على المعضلات التي لم تُطرح سابقاً في التاريخ بمثل هذه القوة وهذه السرعة • وأخيراً ، ظهر على المسرح علماء نفس أدركوا ضرورة توجيه البحوث والاستقصاءات المعمقة الى دراسة السلوك الانساني والبواعث أو الدوافع العويصة الغامضة لتي تُشرف أو تهيمن على هذا السلوك •

ومنذ عام ١٩٢٠ ، تسارعت الأحداث ، الأمر الذي جعل ارتقاء أنواع التقدم التقني شيئاً مرعباً وصاعقاً • وفي هذه الحقبة ، تم تقدير القدرة التي يبذلها الانسان في عمله عن طريق الاتقان القائم في الآلة بعشرين ضعف عما كانت عليه في عصور ما قبل التاريخ • وبلغت في عام ١٩٤٠ أربعمائة ضعفاً • ومع ذلك ، لا ننسى الأزمات الخطيرة والجسيمة التي وقعت في عام ١٩٢٨ ، والحرب العالمية الثانية التي اندلعت عام ١٩٣٩ •

وجدير بالذكر أن المجال أو الحقل الصناعي لم يكن قد امتد الى استطاعات أو قدرات خارقة غير مألوفة أقبل عليها عصر الذرة الذي بدأ

عام ١٩٤٤ • وعلى أساس هذا الاستهلال سيبلغ المعامل ، في عام ١٩٨١ ، رقماً ضخماً يصل الى سبعة آلاف • وهكذا نبتعد كثيراً عن الحقبة الاقتصادية التي اصطُلح على تسميتها « الندرة » ، والتي تجلت للعيان في الأزمنة الأولى من التاريخ الانساني •

واذا كانت الحال كذلك ، أمكننا القول ، على نحو نظري وبشكل يتعذر دحضه ، ان شعوب العالم كله قادرة على العيش في وفرة كبرى • ولكن ، يتوجب علينا أن نذكر ما تبيَّنه جاك دبوان النصير المتحمس لاقتصاد التوزيع العادل للثروة عندما أوضح في عبارته ما يلي : « **يُحدث هذا النظام الاقتصادي الوفرة ، انما يوزع البؤس** » •

وعلى الرغم من ان ٧٥٪ من البشر يعيشون في أحضان الشقاء ويعانون من الجوع ، فما زلنا نشاهد كيف يُحرق البن والقمح ، وكيف يلقى بالحليب في الأنهار ، وكيف تُتلف آلاف أطنان الخضرة والبقول والثمار الريانة الغضة •

واذا كان الأمر كما يبدو ، فيمكننا القول ان التعاسة المهيمنة على عصرنا واللامعقول الذي يعبث بزماننا يتولدان من تنمية أحادية الجانب لملكة تفكيرنا ومن استخدام أو انتفاع غير واف لكفاءاتنا واستعدادتنا • ويَرد هذا كله الى كون الانسان ضحية فقدان التوازن في تطوير وتنمية وظائفه وخاصياته النفسية • ولا يقل هذا السبب أهمية عن سبب آخر يتمثل في ان طرائق ومناهج تربيتنا لا تقيم وزناً لتطوير الحدس ، والوجدان والشعور والملكات أو المواهب الابداعية الخالقة • وهكذا نرى الأنا ـ نية ماثلة في قاعدة النزاعات الفردية والجماعية •

يعالج هذا الكتاب المعضلات المطروحة في الفقرة السابقة معتمداً على أفكار علماء نفس ، وعلماء ومفكرين أمثال كارل غوستاف يونغ ، شارل بودوان ، كارل روجرز ، اريك فروم ، دافيد شانبرغ ، فريتجوف كابرا ، دافيد بوهم وكريشنا مورتي • ولقد كان بعضهم ، في السابق ، وبعضهم الآخر ، في الحاضر ، أصدقائي •

وأخيراً ، تُعد هذه الدراسة التي ينطوي عليها هذا الكتاب خلاصة لاجاباتهم التي ألهمتني وضع هذا المؤلف •

القسم الأول

ـ ١ ـ

المعضلة العالمية معضلة فردية

لا يتسع هذا الكتاب لدراسة كاملة تُعرض فيها العلاقة القائمة بين علم نفس يونغ وتعليم كريشنامورتي وذلك لأن مثل هذه الدراسة تتوخى الدقة وتتطلب فهماً عميقاً ونظرة شاملة • وسوف تقتصر على عرض بعض المعالم التي تبرز التشابه والتكامل بقدر ما تبرز التفاوت والتباين بين آراء الرجلين •

يعلن كريشنا مورتي في مواضع كثيرة من كتاباته ان « **معضلة العالم هي معضلة الفرد ذاته** » • **وفي نظره ان تعديل أو تبديل الهياكل الخارجية والبنى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والقانونية تعديلا أو تبديلا ليس الا اصلاحاً** « **للسطح** » ، أمر لا يجدي كثيراً ، لأنه لا يباشر في تحويل جذري لقلوب وأرواح الناس الذين قُدر لهم أو أتيح لهم الانتفاع بهذه البنى الجديدة •

يذكر كريشنامورتي في كتابه « يقظة الوعي » ما يلي :(٢)

« ينبغي علينا أن ندرك الواقع الذي يشير ، في حقيقة أمره ، الى **اننا العالم وان العالم هو نحن** • وان هذا الوعي أو الشعور يشتمل على احساس كبير بالمسؤولية •

« اننا مدفوعون لأن ننسى ان المجتمع ، أي الثقافة التي نحيا في وسطها ، تتحكم بنا وتكيفنا بشروطها •• وهي حصيلة الجهود ، وصراع الآدميين ، والألم ، والشقاء الانساني • ولا شك ان الواحد منا يمثل هذه الثقافة •

« واذا كنا نحس بهذه الثقافة على هذا النحو وليس كما لو كانت مفهوماً عقلانياً •• فانما لنحيا الواقع حقاً وحقيقة ، ونستقصي جوهر العلاقات البشرية •

« وكما يبدو لي ، ان الخطأ الذي نقترفه عندما نعمل على فهم هذه العلاقات مرده الى اجهاد أنفسنا من أجل اقامة نظام في العالم على نحـو نظري أو تقني (....) بحيث نقف عاجزين عن الحيلولة دون تفاقـم الفساد والانحلال » .

واذا تساءلنا عن وضع الانسان وهو يجتاز عتبة الألف الثالثة ، أجبنا ، كما يبدو لنا ، ان الفساد ، وتعاطي المخدرات ، والعنف ، والقنوط أمور تطرح ذاتها على طبقات المجتمع منذ بداية هذا القرن .

هنالك اختصاصيون عديدون ، مخلصون وصادقـون ، ومفعمـون بالارادة الطيبة يتقدمون بمناهج اصلاحية ، وبصيغ متعلقة بحقولهم أو مجالاتهم الخاصة . **لكنهم يعجزون عن انشاء رؤية عالمية للمعضلة ، تتبصر في الوقت نفسه معالمها الخارجية والداخلية .**

ولما كان يونغ قد تأكد من النماء المتزايد للأزمة العالمية التي تمتـد الى مجالات متنوعة ، فقد وضّح أيضاً أهمية تحول نفسي للأفراد . كتب يونغ(٣) :

« بقدر ما تكون التجمعات مجرد تكومات أو تكتلات للأفراد ، كذلك تكون معضلاتهم ، بالقياس ذاته ، تكومات أو تكتلات للمعضلات الفردية .

« ان معضلات من هذا النوع لا تعرف الحل بأي شكل من الأشكال عن طريق تشريع أو تبديل في الاسم والعنوان . وليس من سبيل الى حلهـا الا من خلال تبدل شامل للموقف أو الوضع .

« ولا يشيّد هـذا الموقف أو الوضع الشامـل بمعونة الدعايـة أو الاشاعة التي تقوم بها حشود الناس وكتل الجموع ، كما وأنها لا تقـوم على أساس من القوة . فهو يبدأ بتحـول أو تبدل يبرز في الأفـراد الى الوجود . ويتجلى من خلال تبدل ايثاراتهم ونفوراتهم الشخصية ، وأسلوب أو طريقة تصورهم للحياة ، وادراكهم لقيمهم . أما تراكم تبدلات فردية كهذه ، فانه يقود وحده الى حل للتجمع البشري » .

يتماثل موقف كـل من يونغ وكريشنا مورتي تماثلا كبيراً . فهمـا يعرضان حلا شاملا لمعضلات العالم عن طريق تبدل نفسي للأفراد .

يصرح كريشنامورتي بما يلي(٤) :

« اننا نحيا في وضع من الفوضى والارتباك يتجلى في العالم الخارجي. ويتحمل كل واحد منا مسؤولية هذه الشدة والضيق .

« ولما كنا مسببي هذه الفاجعة فيتوجب على كل فرد منا أن يجابهها. وهذا هو ما أدعوه الأسلوب الجديد في التفكير ووجهة النظر الجديدة » .

من الأهمية بمكان أن نشير في هذا المجال الى أن « الأسلوب الجديد في التفكير » الذي ذكره كريشنا مورتي **ينتج من معرفة الذات التي تنطوي على شعور بالوعي ضمن سيرورة الفكر** . وهذا يعني أن الشعور بالوعي يرتبط بسياق كشف ذاتي بسيط وعسر في آن واحد .

يتحدث كريشنا مورتي عن هذه الحكمة بما يلي(٥) :

« تعد معرفة الذات عملية غاية في الصعوبة ؛ ويكون الأمر أكثر سهولة ان كنا نتبع منهجاً أو مذهباً لا يتطلب منا سوى القليل من التفكير .

« ان كنا نسعى الى عرض وتحليل نشاطات وأعمال وجودنا اليومي ، فلا بد من تبني تأمل وتبصر وتفكير ووعي وجلاء يعجز الكثيرون عن استعماله ، وتتميز القلة بقدرة على الاستفادة منه وتحقيقه في آن واحد ؛ انهم يفضلون اصلاح المجتمع بدلا من فهم واحتواء نشاطاتهم الخاصة ، ومشاعرهم وعواطفهم وأحاسيسهم التي يتميزون بها ، التي هي ، مع ذلك ، سبب الضيق والشدة وعلة الدمار والخراب » .

ولا يغيب عن بالنا ، في هذه الحال ، أن الأولوية الأساسية التي يرتبها كريشنا مورتي ويونغ على التحول النفسي والروحي للكائن البشري لا تحمّلهما تبعة رفض فكري منهجي لكل تحقيق محسوس واقعي في الحقلين الاقتصادي والاجتماعي .

ولا يضيرنا في هذا الصدد أن نتذكر أن كريشنا مورتي هو الملهم الذي يقف خلف تأسيس مدارس جديدة عديدة انبثقت منها التطويرات والتنميات التي نشاهدها في بلاد الهند وبريطانيا والولايات المتحدة وكندا .

- ٢ -

الفــــردي والجمــيعي

يبذل يونغ وكريشنامورتي جهديهما في سبيل توجيهنا الى مجتمـع منسجم متناسق ينبثق الى الوجـود نتيجة لبناء موقف جـديد في الفـرد يستوحيه من شعور أكثر عمقاً بالقيم لا يتنافى مع وجود الفردي والجماعي، وفيه يكمل الواحد منهما الآخر .

يحدثنا دكتور جولان جاكوبي(٦) عن الدور أو الواجب الذي تقترحه علينا أو تطرحه علينا كتابات كارل يونغ التي ترتكز على : « **اعادة الوثاق بين النقيضين ، الفرد والجماعة ، من أجل تأليف شخصية تكاملية توحـد الاثنين في الفة ووئام** » .

وفي رأي كريشنا مورتي ، يستحيل علينا تحقيق هذه « **الشخصيـة التكاملية** » ما لم نحقق معرفة النفس على نحو صميمي . ويؤكد كريشنا مورتي ان هذه المعرفة لا تبان على حقيقتهـا الا من خلال صلتنا بالغـير وعلاقتنا بأمثالنا ، وعن طريق ممارسة اهتمام أو تيقظ ساهر أثناء ردود أفعالنا أو انعكاساتنا اللا ارادية ، وأفكـارنا ، وأحاسيسنا ، وحركاتنـا وسلوكاتنـا وكلامنـا .

اذن ، فالصعوبة كلها تكمن في القدرة على ممارسة خاصة من خصائص الانتباه اليقظ ، طليق من آليات أو لا ارادات الذاكرة ومن أحكام القيمـة التي تنجم عنها . **وفي هذا الوضوح الجلي الناتج عن خاصـة الاهتمـام اليقظ ، يعي الفرد تحديداته واشراطاته ، فينعتق ويتحرر** . ولا شـك **ان وضعاً من هذا النوع يفضي به الى وضـوح وشفافية حالة من يقظـة داخلية تعرف بانعتاقها من الحدود الاعتيادية التي رسمتها الأنا . وعندئذ، يعي الوحدة الجوهرية القائمة في صميم الكائنات والأشياء** .

وفي رأي كريشنا مورتي ان معرفة الذات عرفاناً صميمياً تنطوي على وعي تام واضح بتجزئة بنيتنا النفسية الى عناصر أو مجموعات تنشأ بينها توترات نزاعية أو تناقضية أو تعارضية ٠

ولا يفتأ كريشنا مورتي يجذب انتباهنا الى واقع أليم يتمثل في أننا ، كثيراً ما ، نحسب أنفسنا متميزين عن أفكارنا ، وتأثراتنا ، وانفعالاتنا ، والصورة التي نكونها عن أنفسنا ٠ ويلح ، بل يصر ، على أن الواقع لا يشير الى وجود فصل بين الاثنين : المفكر وأفكاره ٠ وبشكل عام ، لا نمنح أفكارنا وردود أفعالنا أو انعكاساتنا اللاارادية أية أهمية في حين انها تكوّن عناصر ملهمة ، موحية ورؤوية على نحو جوهري وأساسي ٠

واذا كان الأمر كذلك ، فلا يحق لنا أن نخلط ممارسة هذا الانتباه اليقظ مع سياق الانفراد والعزلة ، أو مع سيرورة الهرب والتملص والرفض ٠ أما الخير فيكمن في النقيض ٠ غير أن العديدين وسوست لهم نفوسهم وظنوا أن المنهج الذي اقترحه كريشنا مورتي آل الى نوع من الانكفاء على الذات أو الى عزلة وانفراد صلف في برج عاجي ؛ لكن الحقيقة هي أن تعليم كريشنا مورتي ، مع ما يبدو عليه من تناقض ظاهري، يستدعي نزعة فردانية في موضوعاته ، انما ينطوي بوضوح على شمولية وفردانية فوقية في كليته ٠ ولئن كانت نقطة انطلاقه الفكري تتركز على مستوى الكائن البشري الفردي الحريص على التحديدات والاشراطات التي تحتجزه ، لكن غايته تتمثل في تجاوز الذات والتفوق عليها ، وفي انحلالها في نهاية المطاف ٠ وهكذا لا يستغرق الكائن البشري في عدم فكري، تحتي ، سديمي أو ضبابي أياً كان ٠ **وعلى غير هذا ، يحقق جلاء داخلياً ينهار فيه ، على نحو قطعي ، قناع الانفصال والتفريق ٠** وان هذا التحقيق يتوافق ، بصورة ما ، مع ما أشار اليه ريمون رويه وعنى به « **تجلي أو رؤية الموضع أو الوجه الأوحد للكون** »(٧) ٠

⋆ ⋆ ⋆

يبذل كريشنامورتي جهداً ، تماماً كما يبذل يونغ ، ليبدد سود الفهم الذي بمقتضاه نزع الكثيرون الى معارضة أو تعارض الفرد والمجتمع ٠ ويكتب عن هذا الموضوع ما يلي :

« في رأيي ، تجتل أهمية الفرد مكاناً رفيعاً سامياً ؛ وفي هذا الاصطلاح لا أقصد الفرد الذي يعارض المجتمع ٠ ولما كنا نعتبر الفرد ووظيفته في

المجتمع ، فيتوجب علينا أن نعتبر كلية كيانه ، ونحجم عن اعتبار نشاطه الفردي الذي يمكن أن يقف من المجتمع موقف العداء(٨) » ٠

« الكينونة تعني أن يكون للكيان صلة بالآخرين ، ذلك ان الكائن المعزول غير موجود ٠ وعلاقاتنا البشرية هي مجرد وضع من النزاع الداخلي والخارجي : واتساع النزاع الداخلي يتحول الى نزاع عالمي شامل ٠ فلا يمكن أن يكون الفرد والعالم كائنين منفصلين ، كما لا يمكن أن تنفصل قضيته عن قضية العالم ؛ فهما واحد ؛ وينتج من هذا أنه يحمل العالم فيه ، اذ يستحيل وجود هذا العالم الا بوجوده ٠ اذن ، فالعزلة أو الانفصال غير موجود ، والانسان ليس موضوعاً منفصلا عن الآخرين ؛ وعلى غير ذلك ، هو كيان مرتبط بالمجتمع(٩) » ٠

يكشف لنا التطور الحديث الذي حصل في نطاق الفيزياء والبيولوجيا في القرن العشرين عن الحقيقة التالية : **كل نقطة من نقاط الكون تتضامن مع كل ما هو موجود في الكون** ٠ وتعد كتابات كبار فيزيائيي الحقبة الأخيرة من تاريخ العالم ، أمثال فريتجوف كابرا(١٠) ، ودافيد بوهم(١١) ، دلائل مفحمة في هذا المجال لأنها تشكل كتابات أساسية ومراجع نعود اليها مرة بعد أخرى ٠

تقيم كتابات هذين العالمين الحكيمين الدليل على **وجود سيرورة تفاعل واتكال متبادل أي ارتباط كلي بين العناصر المكونة للمادة في الكون كله** ٠ وعلى هذا الأساس ، تعد المفاهيم والأفكار القديمة التي جعلت من العزلة والانفصال مقولة لها أفكاراً وهمية بتمامها ، لأنها كانت حصيلة ادراك بصري لنطاقات أو حدود معينة أو نتيجة لفكرة تشير الى وجود انفصال بين الموضوعات ٠

ان وضوح الوحدة أو التفاعل ــ وحدة الكون وتفاعله ــ اللذين أتينا على ذكرهما في الفقرة السابقة ، لا تعوق مسألة النضج النفسي والروحي لدى الكائن الانساني طالما ان كل فرد يقوم بعملية التحول في غضون تحقيق الانتباه أو الاهتمام اليقظ الكامل ٠ ومنذ البدء ، يشمل هذا التحقيق تأصيلا أو رسوخاً نفسياً لكل كائن بشري باتجاه أعماقه ليفضي الى **اكتشاف الوثاق الذي يربطه بالكل الذي لا يقبل الانفصال عنه** ٠

انطلاقاً من هذا الاكتشاف يظهر جلاء ضياء يزيل الحدود الوهمية التي يعتقد الانسان أنه سجينها ٠ **وفي هذه اللحظة ، لا يجد نفسه معارضاً للعالم أو متميزاً أو منفصلا عنه ٠ وكما عبّر ريمبو : يكون « في العالم وللعالم »** ٠

- ٣ -
الشعور واللاشعور

يعتقد كريشنا مورتي ويونغ أن القسم الواعي من حياتنا النفسية لا يشكل الا جزءاً زهيداً • وفيما يتعلق بكريشنا مورتي تتكون « أنانا » من تنضيد أو تراكب معقد لطبقات مختلفة من الوعي • ويعتقد هذا الحكيم أننا لا نعرف الا القسم السطحي أو الظاهري معرفة واضحة نسبياً ؛ كما يعتقد أن هذا الوعي المحيطي أو الخارجي بالاضافة الى مجموع الطبقات العميقة التي تشكل اللاشعور أو اللاوعي ليست الا ذاكرات واشراطات تعود لماض قصي جداً يرقى الى الأصول الأولى للحياة •

يكتب كريشنا مورتي مبيناً قصده(١٢) :

« الغالبية العظمى من الناس يعملون عـلى حل معضلاتهم بطريقـة سطحية ••• بواسطة هذا الجزء الصغير من الروح الذي تدعوه الشعور ؛ والحال ان شعورنا شبيه بجبل ثلجي تغمر أعمـاق البحر جزءه الأكبـر ، الأمر الذي يسمح لقسم ضئيل منه بالظهور على السطح » •

اننا نمتلك وعياً لهذه الطبقة الخارجية السطحية ، وعياً هو « معرفة غامضة مبهمة ومضطربة ، فيما يشق علينا ادراك القسم الداخلي الكبير ، وهو اللاشعور العميق ، الا بصعوبة كبرى ؛ وليس بمستطاعنا وعي هذا الجانب العميق الا عبر الأحلام » •

« وان كنا نريد حقاً أن نفهم معضلتنا ، انما ليتوجب علينا ، أول بأول ، أن نبدد أو نزيل غموض وابهام الشعور ، وذلك عندما نعيه بادراك وتجرد أكثر مما ينبغي • وبعد ذلك ، تستطيع الروح الداخلية أن تظهـر ناتئة في هذه الفُرجة للوعي البيِّن الواضح » •

أما فيما يتعلق برأي يونغ ، فليس الشعور الا خلفاً أو ولداً متخلفاً أو متأخراً لأو متباطئاً للشعور ٠

قال كارل يونغ(١٣) : « دلتني تجربتي أنني أتنبه الى مجموعة معقدة من أفكار تشكل مركز حقلي الواعي ، وتبدو بأنها تتصف بتواصل كبير وتماثل كبير » ٠

« فالأنا » ، في تصور يونغ ، هي معلم جزئي وسطحي لكلية الحياة النفسية ٠

وفي رأيه ان هذه الكلية هي « الشخصية الكاملة » التي تلقب بـ « النفس » ٠ وهكذا تعد « الأنا » بالشعور بينما تعد « النفس » كلية الشعور واللاشعور ٠ وعلى هذا الأساس يعتبر يونغ هذه الكلية الأخيرة القاعدة الأساسية الجوهرية لكل نفسانية فردية ٠

وفي هذا الصدد يحدثنا عالم نفس زوريخ :

« يسبق اللاشعور الشعور ٠ ويؤلف المعطى أو اليقين الأولي البدئي الذي لا يفتأ الشعور يتدفق منه ٠ وتتألف مضامين اللاشعور من الكيفيات أو الأشكال النموذجية لردود أفعال الانسانية وانعكاساتها اللا ارادية منذ تشكل أصولها في الظروف النفسية الأكثر تبدلا : الكفاح ضد قوى الطبيعة في سبيل البقاء ، مقاومة القوى الفائقة ، العلاقات بين الجنسين ، السلوكات المتأرجحة بين الكراهية والحب ، الموقف من الموت ، المخاوف بأشكالها المتنوعة(١٤) » ٠

حقيقة الأمر هي ان اللاوعي يتشكل من المجمل الكلي لهذه الذاكرات المختلفة المدونة قبل وعبر التاريخ الانساني ٠

وهكذا ، يحدد يونغ بوضوح السيرة الخاصة بكل من الشعور واللاشعور ، والدور المتبادل لطبيعتهما ووظيفتهما في المقطعين التاليين :

« يدرك اللاشعور ، بحدوس ومشاعر سبقية ، وأحاسيس وأفكار تماماً كما يدرك الشعور ٠ ولا يختلف الشعور في وظيفته الأساسية ضمن نطاق النفس عن اللاشعور الا في نقطة هامة تلخص كما يلي : على الرغم مما تعرف به شدة وقوة وتركيز الشعور ، لكن الواقع يشير الى أنه وقتي زائل ويتلائم ، ليس الا ، مع الحاضر المباشر ومحيطه الخاص ٠ وفي طبيعته، لا يمتلك الشعور الا مواد التجربة الفردية الموزعة على مدى عشرات

السنين • وما ذاكرته لبقية الكيان سوى ذاكرة اصطناعية تتألف في جوهرها من وثيقة مطبوعة • لذا ، يختلف اللاشعور عن الشعور اختلافاً كبيراً •

« وبالمقابل ، لا يعرف اللاشعور الشدة والتركيز ، بل يُعرف بما هو شفقي في أساسه ضارب الى العتمة والابهام • فهو يبلغ في مداه اتساعاً ضخماً ، ويتألف من هيئة ظاهرية التناقض ، ومن عناصر شديدة التغاير تتصرف بكتلة غير متعينة من الادراكات الحسية المصعّدة ، وذخيرة خارقة من المطابقات المتوضعة في غضون حيوات الأجداد والأسلاف الذين ، بواسطة وجودهم الوحيد ، أسهموا في تمايز النوع(١٥) » •

يتصدى كريشنا مورتي ، كما تصدى يونغ من قبله ، لوجود التنضيدات أو المطابقات المتوضعة خلال الماضي بحيث أن التراكم على هيئة طبقات متعاقبة يشكل تعقيد الأنا الضخم •

وفي رأي كريشنا مورتي أن الذاكرة لا تشتمل على مستوى الشعور المحيطي المُحدث من « الوثيقة المطبوعة » فحسب ، بل تتعداه الى احتواء المستوى الأكثر عمقاً ، حيث نجد خبراتنا ، نجاحاتنا ، اخفاقاتنا مسجلة بالاضافة الى نجاحات واخفاقات وآلام جميع الأحياء الذين سبقونا منذ الأصول البعيدة للحياة • وعندما تشاء العلوم أن تقتفي الأصول الأولية للذاكرة لتحدد زمانها ، تعود الى هذا العهد والزمان البعيد •

وقد تحدث يونغ عن هذا التطور في سيرورة الاستذكار أو ترسيخ الأحداث في الذاكرة بالأسلوب ذاته الذي تحدث عنه كريشنامورتي • ولقد بسط يونغ تعليقه وشرحه البليغ على النحو التالي :

« لو اتصف اللاشعور بقدرة على التشخيص أو التجسيد لاتخذ لذاته معالم كائن بشري جماعي يعيش على هامش التمييز أو التخصيص بين الجنسين ، الصبا والشيخوخة ، الولادة والموت ، معضَّداً بالخبرة الانسانية التي تناهز خلود مليون أو مليونين من السنين • وسوف يحلق هذا الكائن بلا منازع فوق تقلبات الزمن •

« وتتجه أحلام هذا الكائن الحالم الى الماضي القديم ، ويكون وسيط وحي للتنبؤات الفريدة التي لا مثيل لها ، وذلك بفضل خبرته التي تتجاوز كل حد وقياس • ويُرد هذا كله الى سبب هو أنه عاش حياة الفرد ، والأسرة ، والقبائل والشعوب عدداً لا يُحصى من المرات ، الأمر الذي

يساعده على معرفة ايقاعات الصيرورة ، تألقها وانحلالها وتفسخها باحساس حي(١٦) » ٠

★ ★ ★

تعمق يونغ في دراسة الصلات القائمة بين الشعور السطحي الذي كوّنته ذاكرات الكائن البشري طيلة حياته الحاضرة وبين اللاشعور الفسيح الذي كونته شبكة أو ضفيرة الذاكرات الجماعية المتراكمة عبر ملايين السنين ٠

ولقد أقام عالم نفس زوريخ الدليل على وجود مبدأ تعويض بين الشعور واللاشعور ٠ ويفسر سير أو عمل مبدأ التعويض بعلم الطاقات أو النشاطات النفسية ٠ وبالفعل ، يقيم هذا العلم الدليل على وجود مبدأ حفظ الطاقة ، اذ يكشف عن بعض التشابهات مع قوانين حفظ الطاقة المعروفة في الفيزياء ٠ ففي كل يوم يبين لنا التقدم الذي تحرزه الفيزياء أن الطاقة النفسية طاقة مادية وأن الحد الفاصل بين أعماق العالم الفيزيقي والعالم النفسي ظاهرية أكثر منها حقيقية ٠

ويتجلى مبدأ التعويض المذكور في ردود أفعال أو انعكاسات لا ارادية مألوفة يسهل ملاحظتها عند الأشخاص الفطنين الذين يحللون مضامين أحلامهم ٠ وفي غالب الأحيان ، يجر الاحباط المستمر الذي ينشأ من ملذات غذائية أو جنسية في حياتنا اليومية الواعية الى أحلام تتجلى فيها صور أو أحاسيس تحدث اشباعنا للرغبات التي لم تُستجب ٠

يعتقد كريشنا مورتي أن سياق الفكر الذي تحياه على نحو فعلي الغالبية العظمى من الكائنات الحية ناقص ومشوش ٠ وفي رأيه أن النتائج تنحو بوضوح ليس فقط عن وجهة نظر يونغ بل عن وجهة نظر غالبية علماء النفس والمحللين النفسيين المعاصرين ٠

ولكن كريشنامورتي لا يتورع عن التنبيه الى وجود سياق فكري متناغم وكامل تتحدد فيه كل حركة من حركات الفكر في اللحظة الحاضرة ولا تترك أية بقية ٠ ويتطلب هذا السياق سيرورة فعل وعمل تام لا يترك مجالا لتحقيق أية رغبة في المستقبل ٠ ولا تزول الأحلام الا بتحقيق سياق أو تطور للفكر من هذا النوع ٠ ولا شك أن انعدام الحاجة لمبدأ التعويض يجعل ظهوره عديم الجدوى ٠

وجدير بالملاحظة أن النوم الذي لا يرافقه حلم هو تلك الحالة التي تنعدم فيها الثنائية ، تماماً كما تعلمنا المثل السامية للحكمة الهندوسية والبوذية ·

★ ★ ★

تكشف لنا تعاليم كريشنا مورتي ، بعد دراستها دراسة معمقة ، عن وجود **مبدأ حفظ الطاقة النفسية** · ومع ذلك ، تبدو التماثلات بين ما يقدمه كريشنامورتي ويونغ في هذا الحقل ظاهرية أكثر منها واقعية وحقيقية · لذا ، نعمل على اظهار التفاوتات القائمة بينهما في هذا المجال :

في تعليم يونغ ، تشتمل النفس على كلية الشعور واللاشعور · وان كان يونغ يعتبر تحقيق « الشخص المتكامل يتم في اقامة التوافق بين الوظائف النفسية » مرحلة نهائية أو قمة التطور النفسي للكائن البشري ، فان كريشنا مورتي ، على غير ذلك ، يتأمل كلية الشعور واللاشعور فيرى أنها ضفيرة ضخمة من الذاكرات تشكل عقبة كبرى تصد كل تطور روحي تال · وبطبيعة الحال ، ليست « الأنا » في نظر كريشنا مورتي و « النفس » في نظر يونغ سوى اشراطات يتوجب على الانسان تجاوزها لواقع هو أنها «حصائل» الماضي · ففي منظور كريشنا مورتي ، لا تكون الحقيقة الجوهرية « حصيلة » بل ان توالدها يتم على نحو ذاتي ·

يتابع كريشنا مورتي تعليمه مشيراً الى أن مبدأ التعويض المتمثل « بالشعور ـ اللاشعور » ينتج من ميل فطري ينزع الى الحفاظ على الذات التحتية على نحو حيوي أصلي · فهو ، في نظره ، مجرد انعكاس أو عمل لا ارادي لدفاع ذاتي تقوم به كلية النفسانية المتنبهة بشكل خاص للحفاظ على تواصلها ، وأمنها ، بحيث أنه يفاقم أو يضخم ، في كل لحظة ، ماضيه ونشاطاته الحاضرة بالاضافة الى مضامين اللاشعور الجمعي ·

وان هذا السياق الدائم لنمو وتكاثر الذاكرات لهو قضية وضحها علماء ومفكرون حاليون ، أمثال جان شارون ، وأطلقوا عليها اسم « الانتروبي السالبة » التي تحصل في مكان ـ زمان نفسي(١٧) ·

يجاهر كريشنامورتي بضخامة الذات · ويعتقد أنها تنشر تفرعاتها وتشعباتها لغاية مستويات النفسانية العميقة · وتتوضع هذه المستويات في مثل هذه الأعماق وتمتلك دقة ولطافة وتضطلع بمهمة منحها طبائع

وميزات التعالي والتسامي الروحي تتجاوز « الأنـا » . وهذه وجهـة نظر أسلمت العديد من الفلاسفة والمفكرين والمتدينين الى اقامة تعارض بين « أنـا » سفلى مقيتة و « أنـا » عليا ليست كذلك .

لكن كريشنا مورتي يتنكر لهذا التصنيف خوفاً من الوقوع في شرك لا فكاك منه . ويعتقد أن مثل هذا التقسيم يؤول بنا الى تجزئة الذات الى عناصر مختلفة متناقضة ومنفصلـة لا تلبث أن تكشف عـن توترات صراعية بينها . ومن جهة أخرى ، تشكل هذه التوترات المتصارعة لعبـة الذات وتكون المظهر الجلي لغريزة بقائها ورغبتها في الاستمرار .

وبكلمة وجيزة ، تقوم « الأنـا » في رأي كريشنا مورتي كما وفي رأي الذين يألفون الفلسفات والتصنيفات الشرقية ، مقام الذات . فالأنا كما هي مدركة في البراهمانية والبوذية وحكمة الفيدانتا ، تشتمل على الفردية المستمرة ، أو الباقية نسبياً ، التي تجتاز أو تعبـر دورة سمساراً ، أي طواف الولادات ، الحيوات والميتات المتتابعة .

ويهاجم كريشنا مورتي على نحو غير مباشر الأصل الأول للأنـا ، ليس في معالمها السطحية الظاهرية الواعية أو السـفلى فحسب ، بـل في معالمها الحاذقة ، اللاواعية ، أي « العليـا » . ولئن كانت الذات هي ذات حياة واحدة أو تتابع وجودات ، فانها ، في صميمها ، نزاعية ، ووهميـة لا تتصف بالدوام . ووفق ما يعرضه الفيزيائي دافيد بوهم ، ليست الأنا سوى لحظة وقتية زائلة في صدر الكلية الواحدة ، المتعـددة في أبعادهـا واللامتناهية في سعتها .

اذن ، تتضمن الأنا العليا أو الدنيا في بلوغ نهاية سياق للتداعـي النفسي وتجمع ذاكرات تباشر في العمل باستمرار . ويوجه هذا السياق من التداعي قوى لا ترد أو لا تقاوم ظاهرياً . فهي ، في بدئها ، غريـزة بقاء أو رغبة بقاء ، وبالتالي ، وهي متضمنة في الأولى ، قوة اعتياد تواظب على مقياس سرعة مكتسبة . وفي هاتين القوتين يلعب سياق أو سيرورة الانتروبي السالبة دوراً هاماً أساسياً .

وبالفعـل ، تحب « أنـا » كريشنامورتي ، التي تقابلهـا « نفس » يونغ الى حد ما ، أن تشعر بأنها كيان مستديم ، موهوب بنوع من أنواع الرسوخ النفسي . ويزودها هذا الشعور بالرسـوخ والمتانة النفسيـة بالاثارة العقلية ، بالأحاسيس والانفعالات . وأن كثافة هذه العناصـر

الثلاثـة تضفي على الأنا أحاسيس الاستـمرار والانزلاق المتواصـل في الديمومة والبقاء الذي يلذ لها ويرضيها ٠

لكن كريشنامورتي ينقض رضى الذات ويعتبره وضعاً زائفاً ومصدراً للنزاع والتصارع ٠ ولهذا السبب ، يردد كريشنا مورتي حيناً بعد حين قائلا « ان مثل هذا التواصل مدعاة للحجز والانغلاق » ٠

وعلى هذا الأساس ، تتلاحق الحياة الانسانية في تواتر مسيرة عقيمـة تظل مقصورة بصرامة على المُدرك والمعلوم ، وعلى الذاكرة ٠ وفي هـذه الحال لا نتمالك أنفسنا من التشديد على التوازي أو الاتجاه المتماثـل القائم بين موقف كريشنا مورتي ازاء الفعل المعطل للذاكرة والفعل الذي يطرحـه بعض المتدينـين الذين يتصـدون للفعـل السالب المتمثـل في « الانسـان العتيـق » ٠

أما ضرورة سلخ وتجريد الانسان العتيق ببداهة كلية فانها تناظر الضرورة التي يذكرها مراراً كريشنا مورتي عندما يدعونا الى تحررنا من سلطان المعلوم والمُدرك ، ومن ذاكرات الماضي والسيرورات الميكانيكية والمكررة أي الانعكاسية للفكر ٠ وتتوافق هذه الفكرة مع المعنى الحقيقي المتضمن في الحكمة الشهيرة « لا توضع خمرة جديدة في زق أو قربة عتيقة »٠

أما طبيعة الذاكرة والفكر وسيروروتهما والطريقة التي تـؤدي الى الانعتاق من سلطانهما فقد درسناهمـا دراسة وافيـة ومفصلة في كتـاب آخـر(١٨) ٠

وأخيراً نقول ان كريشنا مورتي ينظر الى « الأنا » السفلى و « الأنا » العليا بوصفهما نهايتين أو نتيجتين لسياق الذاكرة ٠ وبالمقابل ، نجد أن الحقيقة التي يعنيها أو يشير اليها من خـلال الأبدي اللازمني هي تلـك الحقيقة التي تقع الى أبعد من الذاكرة ٠

- ٤ -

توازن الوظائف النفسية

تشير الدراسة المقارنة الى وجود تشابه بين نتاج فكر يونغ وكريشنا مورتي • فكلاهما يشددان على ضرورة وجود توازن في الوظائف النفسية• فمن جانب ، يصنف يونغ الوظائف النفسية في مقولات ثلاث : الفكر ، الحدس ، الشعور والاحساس • ويعرّف يونغ الشعور والفكر بأنهما وظيفتان عقليتان ، كما يعرف الاحساس والحدس بأنهما وظيفتان لا عقلانيتان •

يقول يونغ : الفكر وظيفة تنزع الى ادراك العالم بفعل المعرفة • وهو ، بالاضافة الى ما ذُكر ، وظيفة تكيف وتوافق مع العالم تتجه الى تفسير ما تجده أو تواجهه بأسلوب منطقي •

ويلحف كريشنا مورتي على أن سيرورة الفكر سياق من التقديرات تبعاً للمعلوم المُدرك • وتتصف هذه السيرورة بأنها حكم قيمة وخبرة يبنى على ذاكرات الماضي الشعورية واللاشعورية • وخلافاً للفكر الذي يقيم صلات مجردة ويستخلص نتائج منطقية ، يتناول الشعور العالم فيقيمه تبعاً لما هو مقبول وسائغ لديه أو غير مقبول وغير سائغ •

وبكلمة وجيزة ، يتفق يونغ وكريشنا مورتي على هذه النقطة فيقولان ان الفكر والشعور ينشئآن من التقدير أو التقييم ، والمقارنة والتشبيه • فالفكر يقبل أو يرفض تبعاً لما يقيمه صواباً أم خطأ وذلك بالاسناد الى خلفية من أحكام القيم • أما الشعور فانه يقبل أو يرفض تبعاً لانفعالات اللذة أو الكرب والكدر •

ويعيّن يونغ الاحساس والحدس بأنهما وظيفتان لا عقلانيتان على غير ما يحدد الفكر والشعور بوظيفتين عقليتين ، وذلك لأن الاحساس

والحدس لا ينتفعان بالأحكام ولا يباشران بتقديرات وتقييمات أو بخبرات واختيارات • فالحدس والاحساس لا يعللان ، انما يتناولان الأشياء كما هي ، بحيث يكون أحدهما بعداً مجرداً والآخر بعداً واقعياً ، دون توسط الاستدلال أو المحاكمة • وليس من سبيل الى توسط الآلية العقلية على نحو شعور بالوعي أو المقارنات الا بعد فوات الأوان •

لهذا السبب يستعمل بعض مناهج بوذية زن الاحساس بوصفه وسيط « مثول في الحاضر » • ومع ذلك ، يعد الاحساس ادراكاً حسياً أو تمييزاً يتصور المعلم الخارجي للأشياء ، انما لا يدرك منها الا خاصياتها أو تفرداتها الظاهرية والمحيطية الخارجية • لذا كان حقل بحثه مرتبطاً بدقة بالمعلم الخارجي للأشياء حتى ولو كان مجملا أو موجزاً على نحو نسبي ـ بحيث يدعوه جانبه خاصية الموجود الواقعي • واذا كانت الحال كذلك ، علمنا أن الشعور يدرك التجزئة ولا يفهم الكل • وهذا يعني أن الشعور لا يفهم الا الجزء ويعجز عن فهم الشامل • وهكذا نخلص الى القول أن الحدس الحقيقي أكثر باطنية وضمنية وشمولا •

ويعبر الكسي كاريل : « يدرك الحدس تلقائياً ودون الاعتماد على حيل الاستدلال والمحاكمة الصلات التي توحد بينها أجزاء الكل • وكثيراً ما يكون للأجزاء معنى ومبرر للوجود في حال مباشرة هذه الصلات بعملها »•

وفي رأي يونغ ، يعد الحدس ادراكاً أو تمييزاً داخلياً يعود لاستطاعات أو لامكانات ملازمة للأشياء ويتحقق خارج كل استدلال أو محاكمة •

وهكذا نبسط بصمت وهدوء ، ودون تعليق ، التفسيرات العديدة لوظيفة الحدس • ويتبصر كل مؤلف هذا الموضوع وفق المعالم المختلفة التي يستثنيها •

ولا يغيب عن بالنا أن يونغ قد وضح مبدأ التعويض بين القطبين : « الفكر ـ الشعور » و « الاحساس ـ الحدس » • ويعتبر يونغ أن الانتظام المتناسق لمبدأ التعويض ضروري أو شرط لازم للتوازن النفسي للكائن الانساني • أما كريشنا مورتي فيصر على ضرورة التوازن بين وظائفنا النفسية المختلفة • والتوازن ، في منظوره ، هو استهلال تحول روحي وتجاوز للذات • لكن يونغ يرفض التأمل في هذا المنظور •

يقول كريشنا مورتي ما معناه أن الحب تسهيل لحركة الفكر · ويضيف قائلا « يشبه القلب المجرد من المحبة ساقية جافة لا قدرة لها على ري ضفافها » ·

وفي رأيه ، يتحقق الحدس بالتوازن القائم بين العقل والحب · والعقل ، في هذا السياق ، ينضوي تحت الاصطلاح الذي استعمله كريشنا مورتي طيلة سنوات كثيرة وهو « الروح ـ القلب » · وان تحقيق هذا التوازن ، في نظر كريشنا مورتي ، يكمن في استهلال شعور كلي وشامل بالوعي ، ينطلق في تحول نفساني حقيقي ، في أثنائه تتسامى الذات ·

وبحلول عام ١٩٣٠ بلغ كريشنا مورتي كمال تعريف وتعيين الحدس، فقال : « الحدس هو القدرة على الكشف عن الحقيقة السرية ، العميقة المغلقة للأشياء والكائنات التي هي أبعد من ظاهراتها ؛ الحدس هو الملكة التي تساعدنا على التمييز بين الجوهري الأصلي والثانوي الملحق ·

ـ ٥ ـ

الغايات التي يرمي إليها توازن الفكر ـ الشعور

يهدف اتزان العقل والمحبة ، الفكر والشعور الى تسويغ أو اجازة استخدامهما من قبل حقيقة أو وظيفة فائقة ، رفيعة المنزلة . ولئن كـان الفكر منسقاً بشكل أو بآخر ، انما يتطلب التنسيق والترابط عن طريق وظيفة أو حقيقة ينتفع بها لأنها تتجاوزه .

وعلى هذا الأساس ، يعتبر كريشنا مورتي الشعور ، تماماً كما يعتبره يونغ ، في ارتباطه الوثيق الباطني العميق مع الفكر في سيرورة الأنا . وفي زعمه أن تمايزاتهما الفوقية هي أصل كل الصـراعات المولدة للتوتـرات النفسية . أما الحل الوحيد للاختلالات الناتجة فيكمن في نظام داخلـي يصدر عن معرفة معمقة للنفس . وهذه المعرفة تنفتح على امكانية تجاوز الذات والتسامي عليها .

يذكر يونغ في الصفحة ١٩ من كتابه « الانسان يكتشف روحه » هذه الضرورة ذاتها . ويكتب بهذا الصدد : « يتوجب علينا أن نوجه عليلنا الى هذا الحقل أو المنطقة حيث تحـدث هذه الولادة المبدعـة الخالقـة التي « تمازق البحر » ، وتعدد ، بمعناها الحقيقي العميق ، علة الانفكاكات أو الانفصامات التي تظهر على السطح » .

ويعترف كريشنا مورتي أن الحرية الحقة هي تلك التي تنطلق من هذا الاكتشاف للموجود الحقيقي والواقعي . لكن الدراسة المعمقة لهاتـين الفكرتين تكشف لنا ، مرة ثانية ، عن أن التشابهات بينهما ظاهرية أكثر منها حقيقية أو واقعية . ويمكننا القول ، ان هذه التشابهات موجودة في بداية المجرى الذي يقودنا الى أعماق الداخـل أو الباطن . وعلى مـدى

الطريق يحدث تشعب وتفـرع هام من جهة امكانـات المصير الانسـاني ، وصيانة الذات ، والتحول النفسي والروحي ·

وبالفعل ، ترشد تجربة يونغ الكائن البشري باتجاه اكتشـاف الصلة التي تربطه بالحقيقة ـ الواحدة للأعمـاق · ولا نبالغ اذا قلنا أن هـذه التجربة تقوم في جوهر غالبية التجارب الروحية · فالتجربة الروحيـة ، بالنسبة ليونغ وغالبية الأديان ، هي تجربة مشاركـة أو وحدة شـعور في غضونها تظل ثنائية الفكر ـ المتأمل أو الذات المفكرة والحقيقة الكونيـة الكلية سليمة، كاملة في عمقها وجوهرها على الرغم من التغيرات والتوافقات الظاهـرة « على السطـح » ·

لكن كريشنا مورتي لا يأخذ بهذا المبدأ · فهو يرى أن ثنائية الذات المفكرة والحقيقة الكلية تزول وتختفي · وهكذا ، لا تكون هذه التجربة مجرد مشاركة بالمعنى الحرفي للكلمة ، تبقي الكيان الذي يختبرها سليمـاً ومغتنياً · فهي ، على غير ذلك ، تتضمن في تصعيد خالص وبسيط للكيان على المستوى النفسي بحيث لا يبقى مكان الا للحقيقي الجوهري ، ويؤدي بالنتيجة الى التكامل · وفي أثناء هذا التطور أو السيرورة تشغل الحقيقة مكان الأولوية ، وهو المكان الذي يخصها في النظام الطبيعي الكامل للكائنات والأشـياء ·

★ ★ ★

يتضح لنا التوازن بين الفكر والشعور في مثال بسيط غاية البساطة ، يقيم الدليل على وجود حقيقة روحية سامية مفارقة تضمهما وتشملهمـا وتهيمن عليهما في الوقت الذي لا تكون رهينة السمات النوعية والعينيـة للفكر والشعور، وطليقة من الذكاء والفطنة والحب كما ندركها ونفهمها ·

وفي هذه الموازنة ، التي لا ترتبط الا بنا ، تقارن الحقيقة السامية ـ التي يعيّنها كريشنا مورتي بحصافة واحتراس بألفاظ مثل اللامعلوم أو اللا زمني ، أو اللا نهاية ، أو مالا يقاس ، أو الغيرية ـ بالنور الأبيض · وليس هذا « النور » الا ما كان عليه قبل تحليل الموشور له في الطيف المضيء الى ألوانه السبعة الأساسية ·

وعلى هذا الأساس ، يمكننا اعتبار الكائن الانساني محولا لطاقات تتحلل فيه ومن خلاله الحقيقة ـ الواحدة بحيث تبوح أو تكشف بعضاً من مكونات قواها الجوهرية · أمـا مكونات النـور الأبيض فهي الأحمـر ، البرتقالي ، الأصفر ، الأخضر ، الأزرق الخ ·

تكون هذه المكونات ، وهي في الحقيقة ــ الواحدة ، مجرد كيفيات وخاصيات نفسية ، مثل الذكاء ، الوعي ، المحبة الخ • فاذا كانت الألوان مثل الأزرق ، الأخضر ، الأحمر ، والأصفر الخ لا تتوضح أو تبان وتتفرّق الا بتدخل أو وساطة الموشور ، فان الحقيقة الجوهرية ذاتها ليست هي الذكاء والوعي والمحبة والشعور والفكر كما تظهر أو تتجلى على هيئة التجزئة أو الانقسام الذي نألفه •

وفي اعتبارات كثيرة يُعد الضوء الأبيض تأليفاً أو تحققاً للوانات ــ ألق الألوان ــ خاصة معتقة أو محررة من ألوانها النوعية أو العينية المحددة • ويظل هذا الضوء المبدأ الخالص للتألق والاشراق • وقس على ذلك ، تكون الحقيقة الجوهرية ــ التي لا نحملها وحدنا في ذواتنا ، بل تعد الحقيقة الوحيدة للكائنات والأشياء ــ امتلاء وكمالا ، غير منقسمة ، متجانسة ، وخالصة من الصفات النفسية النوعية أو العينية ، كالحب والذكاء ، التي تظهر لنا على هيئة تقسيم أو فصل مألوف لدينا • واذا ما تعقبنا مقارنتنا هذه الى عمقها ، لمسنا الفائدة أو النفع من عرض أو شرح ما يتبع •

وفي هذا الصدد نتساءل : ماذا يحصل لو افترضنا أن الأشعة المضيئة التي تولد طيف الألوان الأساسية عكست مساراتها ؟ انها تبلغ، بادئ الأمر، سطح الموشور • ولو تخيلنا امكانية اختراقها الى داخل أو باطن الموشور ، عابرة على الدوام مسار الضوء الأبيض الأولي بشكل معكوس ، لوجدنا أنها تخرج من باطن الموشور وتنبعث من الجانب الآخر ، عند مستوى تلاقي الأشعة الأولية للضوء الأبيض في كمال التألق أو الاشراق غير المنقسم •

واذا كنا نتوخى كمال الوضوح ، قلنا بأنه يتوجب علينا ، وقد بلغنا هذا الموضع ، أن نقوم باضافة مفارقة أو ظاهرية التناقض • وان كان حقاً أن ما يستحضر يقبل التحقق ، فلا بد وأن يكمن اعتبار الحقيقة في أنها توجب ذاتها بذاتها في خاصية أسبقيتها وأولويتها بسيادة أو سلطان لا « نكون » هنالك ، منذ هذه اللحظة ، على المستوى النفسي • ولقد ذكر كريشنا مورتي هذا الأمر كثيراً ، في كتاباته ، وصرّح بجلاء في حديث له عن واحد من تأملاته بما يلي : « أنت الكل • أنت النور وجمال المحبة » • أما عبارة « أنت جزء من الكل » ، فهي عبارة خاطئة • فالكلمة « أنت » لا تلائم المعنى وذلك لأن الحقيقة تشير الى ان كلمة « أنت » وشبه عبارة « لست هناك » و « لست موجوداً » ••• أمر يدعو الى الفصل بين كلمتي

« أنت » و « أنا » · والواقع ان الانقسام أو الفصل غير موجود في هذا السكون وهذا الصمت الغريب(١٩) » ·

يلح كريشنا مورتي على لا وجود أي انقسام أو فصل ، أو تجزؤ على مستوى الحقيقة الجوهرية · ويتحاشى التحدث في الفكر والشعور بوصفهما وظيفتين منفصلتين ·

★ ★ ★

هنالك ايضاحات أو تفسيرات تفرض ذاتها علينا منذ اللحظة التي نستخدم كلمات مثل « الذكاء » أو « الوعي » أو « الحقيقة الفائقة » · ولقد تمسكنا في استعادات أو تكرارات شتى بواقع هو أن كريشنا مورتي يستعمل على نحو نادر هذه التعبيرات وغيرها فيحترز من استخدام كلمة « الله » ·

وكما ذكرنا في أكثر من مكان وألححنا عن قصد أن الفكر في نظر كريشنا مورتي ليس هو الوعي أو الذكاء · فهو يذكر أن الفكر غير قادر على معرفة الحقيقة · ويصرح في هذا السياق : « أيها الانسان ، ماذا يمكنك أن تعرف ؟ انك لا تستطيع أن تعرف الا ما كان ماضياً ، وما كان سكونياً ، وما كان ميتاً · انك تعجز عن ادراك الحقيقة التي تستمر في خلقها وابداعها وحياتها(٢٠) » ·

ومن هذا يتضح أن الذكاء ـ الوعي ـ الذي يتحدث عنه كريشنا مورتي يتجاوز كل الشروح والتفسيرات والتعليقات القائمة في القسم الأعظم من الفلسفات التقليدية · لذا ، لا يمكننا تعريف الذكاء كما نعرفه في موضع آخر لأنه حقيقة متعددة الأبعاد تتجاوز ما نعرضه في مقولاتنا عن التعالي والمحايثة وتشتمل عليهما · ويرفض كريشنا مورتي التحدث عنه · ولكنه يصرح بما يريد قوله عن هذا الموضوع :

« انك لا تدرك الوعي الا من خلال محتواه ؛ ومحتوى الوعي هو ما يحدث في هذا العالم الذي تشكل قسماً من قسميه · وان كنت تفرّغ نفسك من هذا كله ، فلا يعني أنك تحيا دون وعي · وان كان الأمر كذلك، فانما يعني أنك تحيا في بُعد يختلف تماماً · وان كنت تعجز عن انشاء فرضية عن موضوع بهذا البُعد ، فيتوجب عليك أن تترك هذا الأمر للعلماء والحكماء والفلاسفة · وما يمكنك أن تفعله هو أن تعرف امكان عدم تحديد الروح أو عدم اشراطها ، وذلك لتتسم بالصفاء والوضوح واليقظة(٢١) ·

وها نحن نتساءل : كيف يمكننا أن لا نحدد الروح أو لا نشرطها ؟ وفي هذا السؤال يكمن على نحو جزئي ما يدعوه كريشنا مورتي « سؤال مستحيل ومتعذر » لواقع أن الفكر الذي يجرب ادارة هذا الاشراط ليس هو في هذا الوضع الفعلي لانتظام العمل وتسييره الا اشراطاً وعنصر تحديد واشراط ٠

وفي ضوء هذه المعطيات نلتزم بتطبيق الانتباه واليقظة لدى دراسة طبيعة الفكر ذاته ٠ ولما كان كريشنا مورتي ويونغ يجذبان انتباهنا الى أهمية الذاكرة في السيرورة العقلية ، في الشعور واللاشعور ، فانهما يختلفان في النتائج التي يخرجان بها ٠

ويتجاوز كريشنا مورتي يونغ في اصراره على الصفة الاشراطية للذاكرة ، ويستعيد دائماً الضرورة الملحة لانعتاق ما يدعوه « المعلوم المدرك » ٠ ويعتبر أن الصلابة أو الشدة الظاهرية النفسية للأنا تنتج من العبء الضخم الذي خلفته ذاكرات الماضي ٠ لذلك تكمن القضية الرئيسة للتحقق الداخلي في أن نتهيأ لتحقيق تحول كامل لثرواتنا الروحية العائدة لحقيقة لا زمنية منعتقة من صفات الاستمرار والبقاء كما نألفهما ٠

أما سيرورة التأمل التي يقترحها كريشنا مورتي فتتضمن ، أول بأول ، توافق الشعور واللاشعور ، وبالتالي ، تشتمل على تحرر من السلطان الكبير للذاكرات التي تشكل لوازم القاعدة والأساس ٠ وتحتوي هذه الذاكرات بصمات أو آثار الماضي ، وطاقات الزمان ، ورغبات غامضة للتواصل والدوام ، والبقاء ٠ وفي هذه الصورة نشاهد تعارضاً بين الحضور الأبدي اللازمني للحقيقة الروحية والصرح الضخم للماضي والزمان الذي يكوّن أو يؤلف الكائن البشري ٠

في هذا المجال نستعيد ، عن قصد ، الاصطلاح الذي ورد في كتاب « غنوص برنستون » الذي يصف الكائن البشري بأنه يمتلك ملايين الزمان والذاكرة ٠ تلكم هي الأسباب التي من أجلها يؤثر اللاشعور فينا أكثر مما نرفض الاقرار والتسليم بهذا الأمر ٠

ويشير يونغ الى أن الانسان العادي لا يمتلك ملكات أو مواهب ، بل ان هذه المواهب هي التي تمتلكه ٠ وبوجه آخر نعبّر ، تماماً كما عبّر برغسون ، بأننا لا نفعل بأنفسنا أولا نؤثر فيها بقدر ما نتأثر بها وتؤثر

فينا • وهكذا ، فان الحرية الحقيقية تكمن في الواقع الذي لا نتصرّف فيه وفق الغرائز والمحركات الارتكاسية المثابرة للاشعور الذي يحتجزنا في الشعور المحدود للذات ، واستمرارها الوهمي ، وتوتراتها النزاعية المتعارضة •

بناء على ما تقدم ، يتطلب هذا الموضوع جهداً كبيراً في سبيل تمهيد الأرض ورفع الأنقاض ، وفصل أو عزل تداعي صورنا وأحاسيسنا النفسية الدقيقة الحاذقة • وفي الواقع ، نتوقع أن « ننقض » أكثر مما نعمل ؛ هذا لأن الحقيقة لا تتركب أو تبنى بذاتها بل ان بناءها أو تأليفها يتوقف علينا• وبالاضافة الى ما ذكرنا ، لا يمكننا اخضاعها بفعل الارادة ، وذلك لأنها تكشف عن باطنها وداخلها •

في المحادثات التي تمت في مدراس عام ١٩٤٧ صرح كريشنامورتي برأيه في العبارة التالية : « انك لا تستطيع أن تختار الحقيقة ، لأن الحقيقة هي التي تختارك » •

ولا شك أن تفسير هذه العبارة في ضوء اختيار ينشأ عنه كائن رباني يعيّن مختاريه تفسير غير معقول • فلا جدوى من تفسير وجهة نظر كريشنا مورتي على هذا النحو النقيض • والواقع هو أن العبارة تتضمن معنى مختلفاً تماماً • فهي ، بالدرجة الأولى ، تشير الى أن كل ما نفعله يفسّر بمعنى أنه فعل الارادة ، بالمعنى التجميعي للتعبير، المنبثق من الكيان النفسي الذي نعتقد أننا نكونه • لذا ، يتوجب علينا أن نحقق حالات من الجاهزية والتهيؤ بحيث تستطيع الحقيقة أن تفعل فينا ، فتتم فينا • وبطريقة أخرى نقول ، لا نستطيع أن نفعل أو نؤثر في الحقيقة العميقة لكياننا وكل الأشياء • والحال أننا نمتلك القدرة على تحقيق وضوح ذاتي لسيرورة فكرنا الخاص الذي ينقذنا من وهم كوننا كياناً نفسياً متميزاً أو مغايراً • ويعد هذا الوهم العقبة الوحيدة التي تقف في وجه التهيؤ الداخلي • ومتى تبدد هذا الوهم ، أصبحت الفرصة متاحة للحقيقة لتفعل فينا •

والحق يقال ان كل محاولة تصدر من الذات أو من الكيان بقصدالعمل أو الحصول من أي نوع كان ، تحتجزنا ، كما تبين وجهة النظر القديمة التي ألفناها ، في حلقة التواصل المغلقة التي نجد أنفسنا سجناء في داخلها• وذلك هو السبب الذي دعا كريشنا مورتي الى اقامة فرق بين التحول الراديكالي أو التبدل الجذري وبين ما يدعوه « التواصل المعدّل والمتطور » •

وما دام سياق الاختيار ، وارادة الفعل ، مهما كان ، بالمعنى التجمعي للكلمة قائماً وموجوداً ، فان حالة الغمــوض والحيرة تتأبد أي تــدوم . فالاختيار ينشيء ما يدعوه كريشنا مورتي « التواصل المعدّل » . وبفعــل التغيرات المتتابعة التي تنبثق من ارادته واختياراته ، يحافظ الكيان على سلامته وكماله في تواصله .

وتتصف الخبرات أو الحــالات الناتجة من السيرورات المشروطـة بالاختبار والذاكرات التي نجدها متضمنة بأنها حالات « ذاتية النــزوع والتطلع » . وسوف تبقى الحالات سجينة التواصل الظاهري للشـعور ، وتوطد انطباع أو احساس الانزلاق المتّسق في ديمومة هذا الاحســاس .

وفي معتقد كريشنا مورتي ، تتحقق اليقظة الداخلية لدى توقف أو انقطاع كل خبرة ذاتية النزوع والاسقاط . وفي رأيه ان هذه اليقظـة لا تنتج من جهودنا الشخصية ومبادراتنا العقلية الخاصة . وان مثل هــذه الجهود والمبادرات لا تحدث الا تغييرات سطحيــة تتحقق في الحيز المحــدود للذات وتعمل على توطيدها . ويتجه قصــد كريشنا مورتي الى اطــلاق تسمية « التواصلات المطورة أو المعدلة » على هذه التغييرات السطحيــة . فلا جامع بين هذه التواصلات المعدلة والتحول الأساسي الناشئة من انعتاق اشراطات الذات التي تفعل فيها أو تؤثر فيها الحقيقة ذاتها .

تلكم هي الأسباب التي تدعو كريشنا مورتي الى الاصرار على أهمية استنباط بواعث عميقة تشرف على أفعالنا وأفكارنا . وما دامت هــذه البواعث تنبثق من الذات ، فانهمــا تكلبنا في الشبكــة المعقدة للسببيــة والثنائية . وهكذا ، يشتمل التبدل الروحي على انعتاق بات نهائي مــن سلطانها على ، أو تأثيرها في ، حياتنا الداخلية .

— ٦ —

دور الأحلام وفقاً ليونغ وكريشنا مورتي

تشكل دراسة فاعلية ومضمون الأحلام ، في نظر يونغ ، الأداة الرئيسة للعلاج في التحليل النفسي • فالأحلام ، بالنسبة له ، هي الطريقة الملائمة والطبيعية التي تسمح بالافضاء الى مضامين اللاشعور • يصرح يونغ : « ان استبعاد فرضية اللاشعور يجعل من الحلم كتلة أو ركماً من بقايا أو نُتف متناثرة مبعثرة ، وفضالات أو حثالات الحياة اليومية » •

ويختلف منهج يونغ عن غيره من المناهج في أن يونغ لا يتأمل ظاهرات الحلم فيرى فيها نتاجاً أو حصيلة للنزاعات أو التعارضات الشخصية فحسب بل مشاركة في مضمون اللاشعور الجمعي •

ويعتبر يونغ أن مدارس علم النفس ، التي لا تتناول في بحثها سوى الشعور ، تعجز عن توضيح محتويات الحلم ووظيفته أي عمله • فالحلم ، وفق هذا المفهوم ، يتعلق بفاعلية خاصة ، مستقلة عن الارادة وعن طموحات أو أمنيات الأنا • وفي هذه الحال ، يجرّد الحلم من القصد ، دون أن نحرمه ، لهذا السبب ، من مدلولاته ومعانيه واختباراته المفيدة • وهكذا يعبر يونغ عن وجهة نظره في العبارة التالية : « لا نحلم ••• بل « نهذي » » •

اذن ، فدراسة مبدأ التعويض الذي وضحه يونغ في نظريته عن النفسانية الفعالة أي الطاقية يلقي ضوءاً على سيرورة ومعنى أو مدلول الأحلام • وفي رأيه ، تتألف الفاعلية الشعورية للأنا من عدد هام من التوترات النفسية بحيث ان اتساعها مجهول على نحو عام : توترات سبَّبها تأرجح أفكار بلغت حد الفوضى والاختلال أو ولَّت وجهها شطر وجهات متناقضة ، واضطراب الأحاسيس والانفعالات ، والأهواء ،

والرغبات ، وأنواع التوق أو الحنين الخفية ، والمطامح أو الأطماع التي لم تُشبع ، والحماية الذاتية المرتبطة بالغرائز العدوانية العديدة ، الجسدية منها والنفسية ، الناتجة عن فقدان التوازن الاجتماعي، السياسي، الاقتصادي ، والحروب والعنف المتزايد ، والمخاوف بأنواعها ، والتلوث الخ • ومجمل القول أن اختلال الأمن وفقدان الطمأنينة يكمن في كل الحقول والمجالات •

ولا يتوانى كريشنا مورتي عن طرح أو ذكر مفهوم أو فكرة التوتر النفسي الدائمة الملازمة للفاعلية العقلية • فالفكر ، في معظمه ، تعبير عن غريزة حفظ وصيانة « الأنا » ، ورغبته في « الحدوث والسيرورة » ، وتطلعه الى « التملك » والتسلط • ولا شك أن الغالبية العظمى من بني البشر تقرن فعل « تملك » بزيادة التملك والسعي الى الشهرة • ونتيجة لهذا تتشكل شبكة أو ضفيرة من التوترات المتضمنة في جهد يهدف الى التملك ، زيادة التملك ، وحب الظهور •

لكن كريشنا مورتي ، بالاضافة الى يونغ ، يقترح علينا أن نقرن أو نصل فعل « الكون » بملحقاته • أما الطريقة المطروحة التي يتبصران بها هذا الفعل فتختلف اختلافاً ضئيلا • وبدون تصريف فعل « الكون » يظل المناخ النفسي للكائن البشري خاضعاً لارباك وارهاق التوترات المتناقضة • أما تصريف فعلي « تملك » أو « آل الى » فانه يحدث موقفاً أو وضعاً داخلياً نسقطه من شعور أو لا شعور باتجاه المستقبل في سبيل تحقيق ما نتمنى أن نصيره أو نتملكه في المستقبل •

والحق يقال أن ما ذكرناه بالاضافة الى تجزؤ النفسانية الى اتجاهات أو ميول متنوعة متناقضة ، يتضمن كل أنواع « المآل » و « التملك » التي تتعارض في غالبيتها • وموجز القول هو أن حياة النفسانية الشعورية واللاشعورية تستوجب حشداً من التوترات المتناقضة المشوشة التي لاتعرف الترتيب والنظام •

ولا شك أن التوترات الأكثر جلاء تتموضع على مستوى المحيط الخارجي الشعوري ، الأمر الذي يجعلها غالباً على خلاف أو تنافر مع العمق اللاشعوري • ففي الرقاد يظل القسم الأكبر من النشاط أو الفاعلية العقلية الشعورية معلقة • ويشير غياب التوترات التي تتضمنها الى تسهيل أو تهيئة ظهور الفاعليات التعويضية للاشعور • والواقع هو أن طبقات اللاشعور العميقة تستطيع التمدد الى السطح دائماً في حالات الانبساط

والاطمئنان ٠ وتدل الكشوف الهامة التي أجراها العلماء في هذا المجال أن النتائج التي توصلوا اليها في بحوثهم لا تتحقق في فترات التوترات الكبرى بل في مراحل أو حالات الهدوء والاستقرار والانفراج ٠ وفي النوم الهادىء المستقر يرسل اللاشعور رسائل أو تبليغات تعويضية أو تصحيحية بشأن التجاوزات والافراطات والارهاقات أو أخطاء الشعور ٠ وتتجلى هذه التبليغات في هيئة رموز ، صور ، وأشخاص متنوعين وحيوانات ٠

يعتبر يونغ والعديد من علماء التحليل النفسي أن غالبية الأشخاص الغرباء الذين يظهرون في أحلامنا ليسوا في حقيقتهم ، الا تجلياً للمعالم المتنوعة المجزأة لذواتنا التي نتجاهل وجودها أو نغفلها ٠ ويستحيل علينا، في دراسة وجيزة من هذا النوع ، أن نفسر بالتفصيل الأحلام ضمن الاطار الذي قدمته وجهة نظر يونغ ٠ ولذا ، نرشد القارىء الذي يهتم بهذا الموضوع للعودة الى مراجع البحث المذكورة في نهاية هذا الكتاب ٠

نعود الآن الى كريشنا مورتي لنتبين كيف يتصور دور الشعور واللاشعور بشكل مماثل ، بما فيه الكفاية ، لتصور يونغ ٠ يصرح كريشنا مورتي :

« ينشغل الشعور الواعي على نحو نشيط فاعل طيلة اليوم بأمور كثيرة تتبدى في كسب المال ، أو روتين العمل ، أو مشاغل تقنية الخ ٠

« وعندما نستسلم للنوم ، ماذا يحدث لنا ؟ تكون الروح السطحية هادئة نسبياً ؛ لكننا لا ننسى أن الشعور لا يشتمل ببساطة على رقاد سطحي ٠ فالنوم يتمثل في أنواع عديدة من طبقات الرقاد ٠ ويتمتع كل نوع من أنواع الرقاد بوعيه الخاص المستقل ٠ ومتى هدأت طبقة الرقاد السطحي ، أسقطت الطبقات الأخرى ذاتها على هذه الطبقة وظهرت فيها ؛ وعندئذ نقول بأننا نحلم ٠

« هنالك ، بحكم الطبيعة ، أحلام سطحية وأحلام أخرى تتميز بالمعنى والادراك ٠ وتنشأ الأحلام السطحية من ردود أفعال الجسد أو انعكاساته اللاارادية كعسر الهضم أو التخمة على سبيل المثال ٠ أما الأحلام الأخرى فهي رسائل أو تبليغات قادمة من طبقات الشعور الأكثر عمقاً ٠

« نتساءل الآن : هل نستطيع أن نفهم المحتوى الكلي للشعور ، فنحرره ، بحيث ان هذا المحتوى يستغني عن اسقاط ذاته والظهور على الطبقة السطحية أثناء النوم ؟

« ونتساءل من جديد بأسلوب آخر : هل يمكننا أن نتملك الوضوح والصفاء ، الوضوح الكلي لكل اختيار بحيث تبلّغ طبقات الشعور رسائلها طيلة الوقت ويصبح الشعور الباطني كلاً لا ينقسم ؟ » ٠

يتميز كريشنا مورتي ، من خلال هذا السؤال المطروح والاجابة المعطاة ، عن يونغ وعن غالبية علماء النفس والتحليل النفسي ٠ وبالفعل، يعترض أولئك العلماء في غالبيتهم على امكانية قيام توفيق أو توافق شبيه يؤدي الى توقف أو انقطاع الأحلام ٠

ويدّعي بعضهم بامكانية حصول اختلالات خطيرة وجسيمة في حال اختصاص أو انفراد الكائن البشري بالفاعلية التعويضية للشعور المتبدية بشكل الأحلام ٠ وان مثل هذا الاثبات أو التوكيد لا يتجرد في أساسه من الحقيقة في حال يتمثل فيها استمرار أو اصرار على توترات متناقضة نستحضرها ٠ ولكن كريشنا مورتي لا يتورع عن تذكيرنا بضرورة استبعاد أو الغاء هذه التوترات ٠ فهو يصرح بوضوح :

« يستطيع الشعور الواعي ، في حال هدوئه ، أن يستسلم أو يكرس ذاته الى مشاغل سطحية خارجية دون أن يتعرض هدوؤه الى أي ارتباك أو قلق ٠ وفي هذه الحال تتراءى لنا المعادلة التالية : كلما زاد شعورنا ، كان دور ملاحظتنا أكثر سلباً وانفعالا ، وحيوية ، وتجرداً من الاختبار ، وعلت وارتقت مضامين اللاشعور الى السطح ٠ وعندئذ ، لا نجد أنفسنا في وضع يسمح لنا بتفسيرها أو تأويلها ، لأنها تُدرك منذ اللحظة التي تنبثق فيها ٠ واذا ما اختبرنا هذه التجربة ، تحققنا من وجود حرية خارقة ، وذلك لأننا نحقق الكيان الكلي ٠

« في هذه الحال ، يصبح الشعور المتجزىء تكاملياً ، متجاوزاً للتقسيم والتفكك ٠ وتنتهي ، حينذاك ، الصراعات في الشعور فتتحول الى محبة ، وبالتالي يصبح الشعور كاملا وكلاً ٠ وعند هذا الحد تتوقف الحاجة الى الأحلام(٢٣) ٠

هذا هو السبب الذي يدعو كريشنا مورتي الى تقديم الاقتراح التالي : اقحام النظام والتنسيق في الاضطراب والاختلال ٠ ففي منظوره ، يحصل الحلم نتيجة لسياق عقلي ولكل موقف حياتي نشأ من أفعال ناقصة ، الأمر الذي يسمح للأفكار بالمثول الدائم في حقل روحنا ٠ ونضيف قائلين ان هذه الأفكار لا تكون مطابقة أو مكافئة الا في نور الظروف الحالية ،

وبالتالي تكمل أو تنجز جولتها · ولا تكاد فكرة تمثل في حقل روحنا حتى تعقبها فكرة أخرى تلقي بالفكرة السابقة في لجة النسيان · وما يحدث هو أن هذه الأفكار اللامكتملة ، وهذه الرغبات الناقصة تعمل على تضخيم اللاشعور وتدعّم شبكة توتراته · ولا غرو أنها تدوّن بكاملها وتشكل حزماً من الميول والنزعات التي تستدعي التعويض في المستقبل ، وتتطلب التكامليات وأنواع التوق الى الماضي أو الى أوضاع يتعذر استردادها · وعلى هذا الأساس تنشأ النسبة الكبرى من أحلامنا ·

ويصر كريشنا مورتي على أن مثل هذا السياق الفكري يحتجز ويكبل الكائن البشري في تواصل الشعور · وبشكل عام ، يتصف هذا الوضع بالاكراه على نحو أكثر مما نفترض · وبالمقابل ، نجد في الفعل المنسجم المتسق وفي نظام وتنسيق الفكر الذي يدعونا كريشنا مورتي الى تحقيقهما الفكرة وهي تتم جولتها وتنجز شوطها · وهكذا تكون فعلا تاماً لا يخلف وراءه راسباً أو بقية ، وتوتراً يتطلب تعويضات أو انجازات واكتمالات في المستقبل ·

تلكم هي الأسباب التي تحول دون ضرورة التعويضات ودون تبرير علة وجود الأحلام ، في حال تحقيق مثل هذا الانسجام ومثل هذا الانفراج والانبساط والاطمئنان ·

وفي النهاية ، يجدر بنا أن نشير الى أن بدء هذا الفعل العقلي يعني تكشف وتوسيع الخلاء الفاصل القائم بشكل عادي بين الأفكار · وعندئذ يتخلص الكائن البشري من ملزمة أو مقشطة التواصل الظاهري للشعور الأناني الذي يكبله ويحتجزه ·

وسوف ندقق في هذا المعلم الهام لقضيتنا ونتقصى دقائقه في فصل آخر ·

- ٧ -

تجاوز المعضلات

أحياناً يتعرض القــراء والمستمعون الغربيون الذين يقرؤون لــه أو يقصدونه لسماع أحاديثــه أو حضور مداولاتــه الى شيء من الحــيرة والسخط والاثارة وخيبة الأمل . ويوجه العديد منهم النقد اليه لأنه يبدو وكأنه لا يجيب أبداً بشــكل مباشــر على الأسئلة التي يطرحونها . أمــا الانطباع السائد بينهم فهو أن كريشنا مورتي يدور حول المعضلات دون أن يضع حلا لها .

واذا ما تفحصنا أسلوب الاجابة الذي يعتمده كريشنا مورتي في رده على سؤال مُجمل ألقي عليه يتعلق بمعضلة خاصة ، ولنفترض أنها ، على سبيل المثال ، الحرب ، أدركنا أن كريشنا مورتي ، في حالات معينة أكيدة ، يدعو الى ضــرورة تأليف حكومــة عالميــة ، ويحث على الغاء القوميــات المتطرفة ، وتأسيس اقتصاد يأخذ بمبدأ التوزيع العادل للثروة الخ .

ومع ذلك يقدم كريشنا مورتي حلولا مباشرة لأسئلة تتصل بقضيــة الحرب مثلا ، وبخاصة ان كان الجواب أو الحل يصيب حالات خاصة مــن هــذه القضيــة .

وعوضاً عن ذلك ، يدفعنا كريشنا مورتي على نحو غير مباشر الــى اشتقاق الأسباب الأولية والأصلية التي تبرز أو تتدفق من المعضلات الكلية للصراع والعنف والأنانية . ويقودنا الى حقل يكشف لنا فيه عما يكنــه الكائن البشري من حقيقة ، من الناحية النفسية ، في وضع تسود فيه الحرب ويسيطر النزاع والصراع . ويبلغ في حديثه حداً يجذب فيه انتباهنا الى ما أصاب الكائن البشري من تجزئة وتفكك من جراء العوامل أو العناصر المتنوعة المتناقضة التي تتصف بطبيعة نزاعية وصراعية .

ولكن كريشنا مورتي لا يألو جهداً أن يقترح على شخص طرح عليه سؤالا يتصل بمعضلة أو قضية خاصة أن يتبصر البواعث والأسباب التي تقف وراء اعلان مثل هذا السؤال • وفي هذا الوضع ، لا يتسم جوابه على السؤال الوجيز المتصل بالمجال الخاص المثار بأسلوب مباشر ؛ والواقع هو أن كريشنا مورتي يعرّض نفسه للغدر بالحقيقة في حال عرض جواب مباشر موجز تمناه السائل ، ذلك أنه لا يوفق في هذا الجواب الى حل أساسي للمعضلة أو القضية • وهكذا يعتقد أن الجواب لا يقدم الا حلا مؤقتاً عابراً لأعراض وقتية ، وتظل العلة الرئيسة خفية عن العقل والبصر •

واذا شئنا الوضوح قلنا أن كريشنا مورتي يسعى الى أن يجعلنا نقف وجهاً الى وجه مع « مختلقي المعضلات » الذين نحتويهم في ذواتنا • نذكر منهم : الفكر ، الأنانية ، انعدام معرفة النفس ، الفوضى والاختلال ، التجزؤ على مستوى العناصر أو العوامل المتنوعة أو الاتجاهات والميول المتناقضة • ويشير هذا المفكر الى أن المعضلات تهدأ وتتوقف في اللحظة التي نخلّص فكرنا من عيوب ونقائص فعله ومن القيم الزائفة التي ينشئها ويحدثها ، وفي اللحظة التي لم نعد مجزئين الى نتف وأقسام واتجاهات وميول متناقضة • ومتى حانت هذه اللحظة أصبحنا متحررين من العنف ، والغطرسة ، والحسد والغيرة ، والصراعات والنزاعات بأنواعها كلها • وعندئذ ، تجد هذه المعضلات طريق الحل ليس في صلاتها الخاصة مع الأنا بل ، بالأحرى ، لأن الأنا التي تحدثها تنحل على الصعيد النفسي •

أما يونغ ، فيستخدم لغة شبيهة ، ويعبر عن رأيه في العبارة التالية : « ان المعضلات الكبرى الهامة ، في واقعها ، مسائل يتعذر حلها ؛ ولا بد أن تكون كذلك لأنها تبين أو تحدد القطبية ـ حالة جسم يتكشف عن قطبين متناقضين ـ الضرورية ، الماثلة والمتأصلة في كل نسق أو نظام ذاتي التنظيم أو الانتظام • ولذا يتعذر علينا حلها ، انما نستطيع تجاوزها • ومع ذلك ، فان امكانية تجاوز المعضلات الشخصية الخاصة بالفرد تتوافق مع صعود في مستوى الشعور • وعندئذ يظهر في الأفق نفع أو خير رفيع رحب ، ذلك لأن المعضلة التي يتعذر حلها فقدت الحاحيتها • والواقع أن حلها لم يكن في ذاته منطقياً ، بل ان ما حدث هو أنها خبت ازاء اتجاه سلكته حياة جديدة أعظم اقتداراً من سابقتها • اذن ، فالمعضلة لم تُردْ أو تُكبت كما ولم يُدفع بها الى اللاشعور ، بل ظهرت في نور آخر ، الأمر الذي جعلها تصبح مسألة أخرى(٢٤) » •

وفي رأي ج • فان در ليو ، تعد قضايانا ومعضلاتنا كلها ، في أساسها ، معضلات وهمية كاذبة • ولا يتسنى لها الزوال أو الاضمحلال الا في الولوج الى محراب من القيم نتحرر فيه من تحقيق كلي أو تطابق كلي مع ذاتنا(٢٥) •

عندما نبلغ مستوى التحرر أو الانعتاق من توحيد أنفسنا مع الذات ، يتحقق فينا انقلاب كامل لقيمنا المألوفة والاعتيادية • وفي هذه الحال ، لا تكابد معضلاتنا الشخصية من تحول فحسب ، بل تتجلى اغلبية معضلات الحياة الكبرى ، وكذلك قضايا المتافيزياء التقليدية والفلسفة الكبرى ، في لا معقوليتها وسخفها • وتتكشف المعضلات التقليدية المرتبطة بالخلق والابداع ، وهدف أو غاية الكون ، والبدء ، عن أنها محصلة لمذهب التشبيه أو التشخيص ـ خلع الصفات البشرية على الله ـ الذي تم تجاوزه •

وفي الوقت الذي نقف على عتبة الألف الثالثة نشاهد الانطلاق المذهل للعلوم عامة ، وعلم الفلك والفيزياء الفلكية خاصة ، والتقدم الذي أحرزه اكتشاف الفضاء ، ونعلم أن هذه العلوم توضح الخاصية المضحكة والسخيفة التي يتميز بها مذهب المركزية البشرية ـ التي تزعم أن الانسان هو حقيقة الكون المركزية •

ولقد أبان كبار مفكري وحكماء العالم ، والهند بشكل خاص ، ضعف وسرعة عطب أو هشاشة الحلول التي يسهم بها الانسان ، وهو سجين تعريف نفسه بذاته أو توحيد ذاته بنفسه ، في كل المعضلات التي تظهر له أو تخطر له •

يقترح الحكيم الهندي ، شري بهاغفان ماهارشي ، على جمهور مستمعيه أن يدققوا بيقظة واهتمام أن « من » فيهم هو في أصله وأساسه قضايا مطروحة • « من » هو هذا الأنا ؟ وهذا الجسم ، وهذه الأفكار ، وهذه الانفعالات والأحاسيس ، وهذه الصورة الثابتة التي يمتلكها الانسان عن نفسه أو يشكلها لها ، وهذا الشعور أو الوعي الذي يبدو بظاهره منفرداً أو مستقلا ••• هل هي كلها مجموع أو كل حقيقي ؟ ألا يوجد فيما وراءه أو في داخل هذا كله حقيقة صحيحة ، بل أكثر صحة ، يتكشف لنا من خلالها أن غالبية معضلاتنا هي ، في أساسها ، معضلات زائفة وهمية(٢٦) ؟

- ٨ -

التحقيق يتم في كياننا كما نحن

يتضمن البحث الروحي ، والتأمل ، والتحولات المختلفة للحياة الباطنية ، والانتقال التدريجي لمضامين اللاشعور العميق في الشعور في ثبات العالم ويتنافى مع الهروب منه • ولا تقتضي هذه الأمور تبني أو اختيار وضع من الانطواء والانكماش في مجال الفاعليات • أما ما تستوجبه حقاً فهي النقيض •

يشدد يونغ في طلبه على أن نكون يقظين وحذرين ازاء اندفاعات أو اغراءات وتحريضات اللاشعور المختلفة دون أن نوحد هويتنا معها أو نتطابق معها • ولا يتورع كريشنا مورتي عن التشديد على الطلب ذاته • وهكذا ندرك هذه المجموعة كلها دون أن نبدي رأينا فيها ، دون تفسيرها أو تأويلها ، ودون تصنيفها في مقولاتنا أو في النطاقات الاعتيادية المألوفة لمراجعنا • وفي هذا الصدد يصرح يونغ :

« يتوجب علينا أن لا نماثل أنفسنا مع اندفاعات اللاشعور أو نهرب منها ؛ ولا شك أن التماثل مع هذه الاندفاعات يطلق عنان غرائزها ، والفرار منها يعني كبتها • وان ما نطلبه في هذا الموضوع يختلف اختلافاً كبيراً : اننا مدعوون الى ارجاع هذه الاندفاعات الى الوعي ، والتعرف على أو التحقق من حقيقتها لكي تصبح غير ضارة ومسالمة •

ويضيف يونغ :

« ان الهروب من اللاشعور يجعل الغاية المتوخاة من الاجراء وهماً • لذا يتوجب علينا أن نقاوم مثل هذا الأمر ونختبر ونتحقق ، في تغيراته المفاجئة ، السيرورة التي تشعلها أو تمهد لها المراقبة الذاتية لكي توثقه من جديد بالشعور على أفضل وجه ممكن » •

ولا تتطلب هذه القضية تعديل نطاقنا الخارجي الذي يتواصل في باطنه الوجود المادي • ويفضل أن لا يطرأ تعديل على المهنة ، والمسؤوليات الأسرية ، والرياضة ، والتدريبات والممارسات التي نقوم بها • ويوضح كريشنا مورتي رأيه في لغة شبيهة ، اذ يقول :

« تتخيل غالبية الناس أن الحقيقة محجوبة ، وأنها تقع خارج الوجود اليومي ، وخارج نطاق الروح الانسانية العادية ، كما وتظن أنها منيعة على الانسان الذي لا تكون أفكاره ومشاعره رائعة » •

« يُعتقد أن بلوغ الحقيقة يتطلب الانسحاب من العالم ، الابتعاد عن الناس ، واكتساب أو تملك صفات خاصة ، ومعارف ، ومعرفة أو اختبار آلام وأفراح معينة » •

« وعلى غير ذلك ، أؤكد أن فهمك للحقيقة يتم في اللحظة التي تفهم الحياة كما تتجلى أو تنبسط أمامك » • « فالجهد ينصب على ما أنت عليه وحيث تكون ، على ذاتك ، في وسط الفوضى وأنواع الارتباك والغموض ، والأفكار التي تتناقض تناقضاً كبيراً(٢٧) » •

وفي شكل عام ، نرفض القبول ببساطة تلك الأوضاع والحالات والظروف التي تحيطنا أو نجد أنفسنا في وسطها ، فنشكو منها ومن الوسط • وتتشكل لدينا نزعة تتجه الى اتهامها والقاء مسؤولية مشاكلنا ومعضلاتها ، وآلامنا وتعاستنا عليها • والواقع هو أننا نتحمل مسؤوليتها لأن النسبة الكبرى منها متأصلة في ذواتنا •

وكثيراً ما يخطر الهرب على بالنا ونفضل الفرار وذلك لأن تربيتنا كلها وبنية ذاتنا مشيدة على صرح من الخوف • اذن ، فالحل لا يكمن في الهروب •

وعوضاً عن هذا ، يوافقنا أن نعدّل الظروف الخارجية التي يظهر في أحشائها نزاع أكثر مما يوافقنا تعديل ردود الأفعال والانعكاسات اللاارادية التي يعاني منها قلبنا وروحنا • وان تفضيل تحويل المحيط أو الوسط الذي نحيا فيه على تحويل كياننا العميق ضرب من تصلب الرأس لا ينتج فقط من توانٍ وبطء الفهم أو من قصور ذاتي سطحي •

تقع كلية شعورنا ولا شعورنا تحت سلطان أو نفوذ شبكة كبيرة خطيرة

من ذاكرات تتجلى جزئياً في غريزة البقاء ، ورغبة التواصل ، وأعتياد يجعلنا نحسها جوهراً أو كياناً ، وخوف أساسي من التبدل ، ومن كل طارىء ليس في الحسبان • والمقصود من الاستمرار ، من خلال معدل سرعة مكتسبة، هو سيرورة عادات يقاس زمنها بزمن الكون ذاته • ذلكم هو التصرف الذي يزعزع الانسان العتيق المذكور في بعض الكتب المقدسة •

وعوضاً عن هروبنا الذي يتخذ صورة تغييرات خارجية ، ويلتصق أو ينتسب الى معتقدات أخرى ومناهج جديدة أو فاعليات أخرى ، يتوجب علينا أن ندرك ما نحن عليه بالفعل ونتأمل هذه كلها كما هي فينا ، في واقعية وفعلية الظروف• فما التبدلات الخارجية سوى تحويلات أو التهاءات تلقي قناعاً على عيوننا فلا نعود نبصر المعضلات والمعاني المتضمنة فيها •

ويلتقي يونغ وكريشنا مورتي تماماً في وجهة النظر المذكورة •

يقول يونغ : يتوجب علينا معرفة أنفسنا ، كما هي بالفعل ، أو كما نحن عليه ، وكما هي في طبيعتها ، وليس كما نريدها أن تكون(٢٨) •

هنا تكمن الصعوبة الكبرى • فانطلاقاً من اللحظة التي نعي فيها حالة كياننا، أو حقيقة واتجاهاً تبدو كلها مخادعة، نتحاشى معاينتهاعلى السطح. وعندئذ ، نسقط أنفسنا فوراً في حالة مثالية تشكل المقابل لوضع أو اتجاهات نحكم عليها وندينها ونرغب في الهروب منها • ويجرنا هذا الى طواف لا نهاية له من الأزواج المتعارضة التي عوضاً عن أن تحررنا ، تسترقنا أكثر فأكثر • ويغرب عن بالنا أن ذاتنا وعقلنا ــ اللذين يصطنعان المعضلات ــ في العمق يتوطدان ويثبتان تحت التغيرات التي أجريت « على السطح » •

★ ★ ★

يشيد كريشنامورتي بتحقيق معرفة كاملة للنفس تُنجز خلال علاقاتنا مع الكائنات والأشياء في نطاق الحياة اليومية • وفي نظره أن العلاقات البشرية تشكل عامل وحي ذاتي أو كشف ذاتي شرط أن نمارس موقفاً من الانتباه اليقظ بالنسبة الى الانعكاسات اللاارادية ورود الأفعال التي تتكشف أو تبرز في قلبنا وروحنا منذ تشكل هذه العلاقات • ويتطلب هذا الموقف اليقظ تطويرات عديدة آتينا على شرحها بالتفصيل في موضع آخر ؛ ومع ذلك نعود الى ذكرها من جديد عن قصد •

نستخلص مما تقدم أننا نحتاج الى انتباه طليق من سلطان كل حكم تقويمي • ومن حين الى حين ، يستعمل كريشنا مورتي صورة تساعدنا على فهم هذه البيئة • فهي صورة جهاز تصويري يكون الايضاح فيه كاملا • وعندما يقوم الجهاز بتصوير واجهة مخـزن ، أو متجر عام تتعـدد فيـه الأشياء وتكثر ، فانه يشاهد كل شيء على نحو لا موضوعي ، ومع ذلـك لا يتناول أي شيء •

تلكم هي الصورة التي يقدمها لنا كريشنا مورتي لندرك كيف يكون موقف الانتباه اليقظ وفق مستوى آخر • ففي رأيه أن هذا الموقف يتحرر من كل اختيار ، من كل حكم تقويمي •

- ٩ -

التباينات في وجهتي نظر يونغ وكريشنامورتي

استطعنا أن نوضح ، فيما سبق من حديثنا ، بعض المعالم المتفرقة من كتابات يونغ وكريشنا مورتي ، وسمحنا لأنفسنا أن نستشف الاتجاهات المتماثلة والمتوازيات ونلمح الى تكاملية أكيدة • وبالبداهة ، لا يتطلب مثل هذا التماثل والتكامل وحدة تفكيرهما •

ولئن كان هذان المفكران يتفقان في تعاليمهما ، لكن الآراء التي يطرحانها تحفل بالفروق والاختلافات بالاضافة الى تعارضات أساسية • فمن جانب ، يدعو يونغ ، تماماً كما تدعو غالبية علماء النفس والتحليل النفسي ، الانسان أن يبذل قصارى جهده ليحقق تكاملا في شخصيته وذلك عن طريق تحدر مضامين اللاشعور في الشعور • ولكن الهدف الذي تشير اليه غالبية أولئك العلماء يتمثل في تحقيق التوازن في الذات والابقاء على خاصية جوهر أو كيان هذا التوازن في حالة سليمة كاملة •

أما كريشنا مورتي فيبدو بأنه يسعى ، مؤقتاً ، الى غاية مماثلة موازية ، يعبر عنها في وجهة نظر مختلفة متعارضة • وان كان يونغ يقر ويسلم بضرورة توجيه الانسان الى تلك المنطقة العميقة من نفسه حيث يقيم الشامل ، لكن ما يدعوه « الكيان » يبدو بأنه الذروة النهائية للتطور النفسي والروحي • لذا ، يعتبر يونغ أن كلّ تجاوز « للكيان » أو للطور الذي يعيّنه بوصفه « الشخص المتكامل » أمر يتعذر تحقيقه على نحو كلي •

يتأمل يونغ هذا التحقيق في مؤلف من مؤلفاته « الانسان يكتشف روحه » ويستخلص أنه أمر يتعذر بلوغه • ويصرح : « بمقدار ما تكون الشخصية تحقيقاً كاملا لكلية كياننا تظل مثالا يتعذر بلوغه • انما لا يغيب عن بالنا أن تعذر بلوغه لا يحول دون المواظبة على التحقيق » •

يتجلى الفرق بين وجهتي نظر يونغ وكريشنا مورتي واضحاً في هذه النقطة • فمن جهة ، لا يدعونا كريشنا مورتي الى تحقيق تكامل الشخص عن طريق هبوط كلي لمضامين اللاشعور في الشعور فحسب بل يعتقد أن هذا التناسق والانسجام مرحلة مؤقتة • وينفي كريشنا مورتي أن يكون ثمة تمييز أو تفريق أساسي جوهري بين ما يدعوه البعض « الأنــا » الدنيا و « الأنــا » العليا • ويعترف أن الذات تتألف من مجموع الاثنين • وهكذا تضم الذات الشعور واللاشعور ، كما تضم ما عيّنه يونغ بأنه « الكيــان » ، ولو كان بعض أنصار يونغ يعترضون على تفسير وجهة نظر يونغ بهـذه الصورة • ويعتبر كريشنا مورتي أن الكلية الشعورية واللاشعورية للذات ليست هي ، في واقعهــا ، الا اشراطــاً للماضي شكلتــه شبكة ضخمــة من الذاكرات • ومن جهة ثانية ، يقــوم تناقض بين ما تتوافــق معه كلمــة « الكيان » على الرغم من كل الخصوصية ، الفردانيــة والماهية النهائيــة الشاملة للكائنات والأشياء •

ولا غرابة أن يكون كارلو سواريز قد استرعى أنظارنا الى ما نحن بصدد بحثه الآن في مؤلفه الرئيس « الكوميديا النفسية »(٢٩) الذي علقنا عليه في مكان آخر(٣٠) •

واذا ما تعمقنا في الوعي النسبي أو الخاص بالمعيار الانساني الفعلي الذي لم يدرك اليقظة الا في الطبقات السطحية من بنيته النفسية ، لوجدنا أن وعي نقيضه الداخلي غير موجود •

وفي اللحظة التي يتحقق شعور بوعي كل المستويات النفسية المتضمنة في بنية الشخص المتكامل (الذات) ، فان حدوده وتناقضاته تتكشف عــن أنها في ذاتها أعراض وهمية ، زائلــة • فالتناقض الأساسي في القاعــدة والمقياس ، الذي كان في القديم لا شعورياً ، يصبح بيناً جلياً ، فتتسرب اليه التجزؤات الناتجة •

وفي تحقيق وحدة الشعور واللاشعور ، تدرك الذات ، بنفاذ نظــر ، الاختلال والتعارض القائم بين سيرورة وجودها الأساسية ، و « كونهــا » سجينة الزمان ، وديمومتها من جهة ، والكائن اللازمني الذي يشكل جوهرها العميق • اذن ، فالذات محكومة بغريزة البقاء ، وظمأ الدوام ، وجوع الى التواصل والاستمرار • أما الجوهر الشامل الذي يُعد الحقيقة الوحيــدة فانه كامل في ذاته ، سرمدي ، لا زمني •

نكرر مرة أخرى أن الذات تصرّف أفعال تملك ، وزاد تملكه ، وآل ، وظهر ، ويقرن بينها • وبالمقابل يصرّف جوهرها فعلا واحداً هو «الكون». وحينما ينتهي تصريف أفعال التملك ، زيادة التملك ، والمآل ، يحدث تحول داخلي • ومن خلال هذا التحول تتجلى وتتألق حقيقة يدق وضعها هي المحبة ، والنور ، واليقظة ، والذكاء والوعي •

وكما يقول لويس لافيل ان الانسان مدعو الى « اجتياح واحتلال » الشعور واللاشعور بواسطة حضور وحيوية يتجاوزانهما نهائياً •

والتأمل ، في رأي كريشنا مورتي ، مجرد حالة من الجلاء الكامن ، وتحرر من سلطان الذاكرات ونهم وجشع الذات • وما نقصده في هذا الصدد هو سلبية أو انفعالية تعنى باضطرابات واهاجات الأنا • وفي هذه الحال لا تبقى الأنا نافية سالبة ؛ وعلى غير ذلك ، تصبح ايجابية ؛ وعندئذ تفسح للحقيقة السامية المجال لتؤثر فينا ، وتقطن في أعماقنا • ويمكننا القول أن انفعالية الذات تسوّغ فاعلية الوجود الحقيقي لكي يعبّر عن ذاته فينا وذلك بفضل قابليتنا للتحول •

قليل هو عدد الأشخاص الذين يعون بوضوح الأهمية التي يحتلها فيهم تصريف فعل « يمتلك » ، « يمتلك أكثر » ، « يصبح » ، « يمضي باتجاه » و « يظهر » • والمقصود هو سيرورة تماثل ذاتي ، وأعني نزعة للتماثل ، والارتباط ، والرسوخ في الموضوعات التي نحتك بها وفي الأشخاص الذين نتصل بهم •

وليس الشعور بوعي هذه السيرورة للتماثل الذاتي والنزعة التشاركية سوى قضية ضرورية للتحرر الانساني ، وذلك كما يتصوره كريشنا مورتي وغالبية المعلمين الذين يرشدوننا الى أكثر أشكال التقدم الروحي تجريداً •

أما الجلاء ، من دون تمييز ، الذي يقترحه كريشنا مورتي ، فانه يتميز بمضاء وعي طبيعي في غضونه تتلاشى في الحال ، التخوم الظاهرية التي على صدره تدون أو تنقش الأنا أو الكيان تماماً كما لو أن دارة داخلية جعلتها تتبخر أو تزول على نحو فجائي •

ونتساءل الآن : ماذا يبقى في هذه اللحظة ؟ ماذا يحدث ؟

ويكون الجواب : لا يبقى من الكيان غير ركنه أو دعامته المادية ،

وهي الجسد ؛ بينما ، تتحقق ، على المستويات النفسية ، شفافية شاملة للعاطفة والفكر ، وصمت ، وصفاء وسكون ، تتيح المجال للحقيقة السامية أن تعبر بحرية طالما أن موانع وعقبات الذات غائبة ٠

تلكم هي الأسباب التي دعت حكماء أدفيتا فيدانتا وعقيدة شان الى اعتبار الانسان المنعتق والمتحرر صدفة فارغة ٠ ولو تساءلنا : فارغة من أي شيء ؟ لأجبنا بأن الأمر يتمثل في الكائن البشري «المتحرر» أو «اليقظ» ، الكائن « الفارغ » أو « الخالي » من كل انعكاس لا ارادي أو رد فعل شخصي ، من كل جشع ونهم أناني ، ومن كل تصريف لأفعال « تملك » ، « تملك أكثر » ، « أصبح » الخ ٠ لكن مثل هذا الانعدام للفاعليات الاعتيادية للذات و « الانسان العتيق » تسمح بتهيئة أو قابلية ازاء غنى المحبة والجلاء الواضح « للحضور الالهي » ٠ ولا يؤدي هذا الى العطالة وانعدام الفعل ٠ وهو ، على غير ذلك ، فعل صرف طليق من الانعكاسات اللاارادية أو ردود الأفعال الأنانية ٠

نذكّر كل من تدهشه هذه اللغة بالعبارات التي تفوه بها المسيح أثناءموعظته على الجبل : « طوبى للمساكين في الروح لأنهم يرثون ملكوت السماء » ٠ وبالتأكيد ، لا تندرج هذه البساطة تحت عنوان التفكك والتنافر وانعدام الذكاء ٠ وعلى غير ذلك ، تُجسد حالة أو وضعاً من الشفافية تعبّر عن صفة سامية للذكاء والوعي طليق تماماً من الخاصية الميكانيكية المتكررة للذاكرات ٠

ولا نُنكر أن ما نعلنه في هذا المجال يُدهش غالبية الغربيين والشرقيين الذين اعتبروا الفكر متحداً اتحاداً لا يقبل الانفصال عن الذكاء ٠ فهم يعجزون عن تصور وضع للشعور المتجاوز المتسامي ونوعية للذكاء تتسامى على التفكير والاعتراف بهما ٠ وفي الواقع ، لا يتم تحقيق الجلاء الرفيع الا في حالة داخلية مجردة من كل فكرة ، من كل فكر واع أو غير واع ٠

وان مثل هذه الحالة تسمح لنا بقياس البعد الذي لا يفصل الغربيين بعضهم عن بعض فحسب ، انما ، بوجه خاص ، اغلبية علماء النفس والتحليل النفسي عن المعنى المتضمن في القيم التي يعلمها كريشنا مورتي ٠

★ ★ ★

ثمة اختلاف أساسي آخر ، أقل دقة وصرامة ، قائم بين موقف يونغ وتلاميذه من جهة وموقف كريشنا مورتي من جهة أخرى ·

يعتبر كل من يونغ وتلميذه جولان جاكوبي أن الخطر الذي يحيق بالانسان يتمثل في العودة الى نفسه وحيداً · ولهذا السبب يصرح جاكوبي:

« لهذا السبب يعد الحوار الناشيء بين المتدين المتزمت ومعرّفه أو مرشده مؤسسة حكيمة ؛ وبالنسبة للمؤمن الذي يتم واجباته الدينية تبلغ هذه الوسائط والمساعدات عمقاً أرحب(٣١) » ·

تكشف هذه الفقرة عن الهوة القائمة بين وجهة نظر كريشنا مورتي ووجهة نظر يونغ وعدد من محللي النفس الذين ينتمون الى مدرسته ·

ويحثنا كريشنا مورتي وفيفكنندا على أن « **نعرف كيف تستقيم أمورنا بقدرتنا الذاتية وامكاناتنا الخاصة** » · ولم يختلف موقف بوذا الذي نصح الانسان أن يكون « نوره الخاص » · ففي هذا النور ، ينعدم الاعتداد الفكري والعقلي ، وتختفي الغطرسة ، وينبثق احترام لقوانين الطبيعة على المستوى النفسي ، ويتم انجاز سوي للامكانات العليا التي يتميز بها الكائن الانساني ·

هكذا نجد أنفسنا في حضرة مثال مفيد ومثير للاهتمام · وعن طريق المحاكاة المعقولة من وجهة نظر التحليل النفسي يتم قبول وتشجيع ممارسة الاعتراف · وحقيقة الأمر هي أن المتزمتين يتبصرون هذه القضية بفهم مختلف · ولئن كانت معالم الاعتراف تقدم اتجاهات مماثلة للطرائق والمناهج المتبعة في التحليل النفسي المحررة للاشعور ، انما لا تكون سبباً كافياً للحض على الالتصاق بالمفاهيم المتضمنة المتعددة للاعتراف الذي يُعد سراً وسياقاً للخلاص من الآثام والتكفير عنها ·

ومن جديد ، نقف وجهاً لوجه أمام فكرات زائغة بكليتها تشرط الروح الانسانية وتحتجزها ضمن سياق من التبعية والخضوع، من العنف والنذالة، والكسل والتراخي ، تشل كل امكانية لمعرفة النفس وتجاوز حقيقي موثوق · حقاً ، ان العلاقات البشرية عامل أو وسيط للكشف الذاتي ·

وهكذا يعلمنا كريشنامورتي أننا نعرف أنفسناعندمانتنبه ونتيقظ في صلاتنا مع نظائرنا ، وفي معاشرتنا لهم · لكن هذه المعرفة للنفس تنتج من

اهتمام بأقل حركات فكرنا ، عاطفتنا ، ايماءاتنا وسلوكنا ، وألفاظنا أثناء علاقاتنا • وفي مثل هذه المعرفة والاهتمام لا يوجد أي تأثير أو سطوة أو محاكاة • لذا تقتضي ضرورة تحقيق سيرورة الشعور بالوعي في وقتية العلاقات والصلات الانسانية في النطاق الطبيعي للوجود اليومي •

تُعد هذه المعالجة الحية أكثر أصالة وموثوقية في أثرها النفسي الحاسم من مشاعر الوعي الحاصلة التي أتمها ونفذها استحضار جديد اصطناعي للظروف المنقضية التي سجلتها الذاكرة • والواقع ، أن هذا هو الجانب النافي أو السالب جزئياً لما نسميه بشكل عام « فحص الضمير » •

ولا شك ، أن فحص الضمير الذي تستعاد فيه من جديد الظروف اليومية المعاشة ، وردود الأفعال العقلية وانعكاساتها اللاارادية ، والمواقف ، والعواطف والانفعالات يُفضل ، مع ذلك ، على اللامبالاة أو الانعدام الكامل لكل مسعى أو محاولة لمعرفة النفس •

وفي عداد هذا التعقيد الهائل للعلاقات البشرية ، ثمة فرصة مؤاتية لمشاعر الوعي تتمثل في المحبة ، والعيش البسيط الواضح دون قناع • لذا ، يتميز الذين ينفتحون ، بكل بساطة ، على الصداقة والمحبة الحقيقية بموهبة تحقق سيرورة من العلاقات يكون أثناءها كل امرىء مرآة للآخر • وما من أمر أكثر ملاءمة لمعرفة النفس من الواقع الذي نبوح فيه بصعوباتنا الداخلية ، آلامنا الخفية وآمالنا •

وفي هذه الأثناء ، يُحتمل أن نحقق هدوء البال والاطمئنان الناتج عن واقع أننا نبوح للآخرين بما « نعاني منه في قلبنا » ببساطة ومثابرة عن طريق موقف النقاء الداخلي الذي يقترحه علينا كريشنا مورتي • فان كنا نحيا ببساطة ، وبأسلوب طبيعي ، دون سعي الى التملك ، والسيطرة ، ودون وضع الأقنعة ، فاننا لنخلق اتجاهاً لتحرير عفوي يتصل بمضامين اللاشعور دون حاجة للرجوع الى التحليل النفسي أو الاعتراف •

لا تبرز ضرورة التحليل النفسي الا انطلاقاً من اللحظة التي تبلغ فيها التوترات النفسية والتناقضات الداخلية حدة كتلك التي تتمثل بالعصاب النفسي ، وتؤول في النهاية الى خلل عضوي •

★ ★ ★

ثمة فكرة أخرى قاسرة ، على نحو نفسي وروحي ، تتمثل في الضرورة المطلقة التي تدعونا الى الاعتماد على وسطاء بين الكائن البشري والحقيقة السامية ٠

في هذه الحال ، نذكر من جديد أن هبوط مضامين اللاشعور في الشعور يتطلب انتباهاً ومواظبة مطمئنة في كل لحظة ٠ وكما قلنا ، تتركز طبقات اللاشعور في الحياة الخاصة أو في قرارة البنية النفسية الأكثر عمقاً في كل واحد منا ٠ وما من سبيل الى البوح أو الكشف عنها في كليتها الا في سياق أو سيرورة فردية صارمة ٠

واذا كان الأمر كذلك ، فمن الأفضل أن نستبدل الرأي الشائع « الوسطاء الحتميون » برأي آخر هو المنفعة المتوخاة من العلاقات البشرية التي تتحقق في مناخ من الحرية ، والوضوح ، والطمأنينة دون الأخذ بالمواقف الخاطئة ٠ لذا ، تقود فكرة حتمية الوسطاء الذين يقبلون بها الى وضع من التبعية والاتكال في علاقتهم مع الوسيط ٠ وهنا يكمن السبب الذي يلزم كل محلل نفسي شريف منصف ، وقد تقبل التبعية والاتكال الملازم للتحويلات وانتقال المشاعر ، أن يعيد المريض الى وضع يؤهله امتلاكاً كاملا لنفسه ٠

أما المهمة الأولى المتوجبة على كل انسان يسعى الى تحقيق معرفة نفسه عرفاناً كاملا فانها تتجسم في سيادته أو في حكم ذاته ٠ ومتى تمت هذه السيادة ، لن نلتزم بتبدل متبصر للقيم التي تطرحها أو تفرضها علينا حضارة زائفة ومهزومة ٠ ولقد أدرك يونغ هذا الواقع المتجسّد في أننا لا نمتلك استعداداتنا وملكاتنا بقدر ما تمتلكنا ٠ وقاوم هذا الحكم ، بل احتج بعقلانية على ، علم نفس « العامة » الذي يكون الفرد فيه مسحوقاً ، آلياً ، قاصراً وغير فعال من الوجهة النفسية والروحية ٠

ولا نبالغ اذا قلنا أننا نفقد فرديتنا في كل مرة نوحد أنفسنا مع نظام أو نسق من الأفكار ٠ وفي هذا التطابق والتوحيد ، نصبح مكيفين ، مشروطين و « مدفوعين » ٠ ومتى انطوينا في ثنايا مقتضيات العقائد ، طائفية كانت أم حزبية ، لم نعد شخصيات كاملة ٠ وعندئذ ، يظفر بنا النكوص والارتداد ، ونصبح فرائس مهيأة ومعدة لكل أنواع الديكتاتوريات والتواطؤات اللاشعورية لأنواع الطغيان ٠ ولهذا ، يتوجب على المرء الذي يسعى الى المعرفة أن يتيح المجال لروحه كي تعمل بلا تحفظ ، كما يتوجب

أن يهيىء الحد الأدنى من الحرية للروح لتكون قادرة على العمل بلا تحفظ ٠

ومن المؤكد أن اكتساب هذه الحرية ترافقه المشقة والجهد ٠ فالصرح الذي تقوم عليه « أنانا » استغرق تشييده مئات ملايين السنين على أثر جهد وعناء تطوري بطيء ومثابر ، كان في بداياته متناقضاً مع الحرية الملازمة أو الحالّة في الجوهر العميق للكائنات والأشياء ٠ ومنذ نشأة كوننا ، أي منذ ما يقارب ستة مليار من السنين ، تكيفت هذه السيرورات أو التطويرات وأُشرطت بالثنائية ، والزمان ، والمكان ، والسببية ، والحدوث والصيرورة ، والتوسع والامتداد ، والآلية ، بحيث يمثل الكائن البشري ودماغه ونفسانيته نهايات بلغتها هذه السيرورات ٠ وفي واقعها ، ليست هي مجرد نهاية تم بلوغها ، بل هي أيضاً تكاثف وتمدد ٠

أما عرفان النفس معرفة تامة ، المعرفة التي اقترحها كريشنا مورتي، فانها تشتمل على الكشف عن فعل هذه السيرورات الميكانيكية في النفس ٠ والشعور بالوعي ذي الاتساع العائد لسلطانها ونفوذها شعور ضروري وحتمي يرافق تحررها ٠ وتحقيق هذا التحرر النفسي والروحي يتضمن انعتاقاً من الماضي كله ، ومن محتويات اللاشعور ٠ اذن ، فالمقصود هو اكتشاف النفوذ الضخم الذي تمارسه ذاكرات الماضي على الحاضر ٠

وكما شددنا مراراً ، لا يشتمل هذا الانعتاق من سلطان ذاكرات الماضي تواري الذاكرة وأفولها ٠ وها نحن نكرر من جديد : ليست « الحرية » فقداناً للذاكرة ٠ ويتضمن التحرر في انعتاق من تأثير الذاكرة ٠

استطاع كارلو سواريز ، انطلاقاً من عام ١٩٣٢ ، أن يحدد الوسط الذي يترعرع فيه هذا الانعتاق في مؤلفه « الكوميديا النفسية »(٣٢) ٠ واننا نجد أنفسنا ، ونحن نقرأ هذا الكتاب ، نبتعد شيئاً فشيئاً عن المعنى الذي ضمنه يونغ في القيم ٠ وعندما يذكر سواريز سيرورة تبدل أو تحول نفسي يتم في غضونه تجاوز حدود الأنا والذات ، يعبر عن رأيه بالعبارة التالية :

« من الآن فصاعداً ، لا يستطيع منحنى الذاتي أن يتحول ويسمو الى كمال انجازه خالقاً على هذا الكوكب أنواعاً جديدة ٠ وكذلك لا يستطيع هذا المنحنى أن يتحول الا في أفراد من البشر ، مهيئين لتقصي الدوام الديناميكي للعالم الذي أضاعوه ، منذ نشوء «أناهم» ، ومستعدين لتقويض الدوام السكوني لهذه الأنا » ٠

نذكر في هذا المجال أن « **الدوام الديناميكي** » للعالم الذي يلمح اليه سواريز هو مستوى الحقيقة السامية الذي يتطابق مع ما يعنيه الفيزيائيون الكبار ، أمثال دافيد بوهم وفريتجوف كابرا عام ١٩٨١ ، بأنه « **دفق أو سيلان كوني** » وهو نوع من نبض خالق ، لا علة له ، لا زمني ، يشمل كوننا المألوف ويهيمن عليه · ويستوجب هذا الدفق الكوني حضوراً أبدياً » ·

أما « الدوام السكوني » الذي ذكره سواريز فانه يشير الى الجانب الميكانيكي ، المتكرر ، الساكن ، لمجموعة الذاكرات التي تشكل الأنا · وباختصار ، يعد هذا الدوام السكوني نتيجة أو حصيلة الماضي ·

وفي الواقع ، يشتمل التحول الروحي على انعتاق من هيمنة الماضي ، أي الأنا ، على الحاضر وهو الجوهر العميق للأنا والأشياء كلها ·

يثير كارلو سواريز هذا الصراع القائم بين المعلمين اللذين يستحضرهما فيُصرح :

« لا تترك لنا الأرض أية مهلة أو هدنة · ففي كفاح خارق ضد الطبيعة شيدت الشرنقات المغلقة التي هي « الأنات » عبر أجيال كوناً وهمياً ، هارفاً ، منفعلا ، متناقضاً في أساسه ·

« يعد هذا النضال ضد الطبيعة ظاهرة طبيعية · فكل أنا تخبىء في ذاتها ، في أعماق الجوهر المادي ، اللحظة الأبدية التي تحدرت منها · وفي هذا الاتحاد مع اللحظة الأبدية الذي يأتي منه هذا القسم ـ المقابل أو النسخة السجل ، ينتج النقيض · فهو يختبىء كما تخبىء قشرة البيض الحياة التي ستكسرها أو تحطمها يوماً ما ·

وان كنا نجسد ظاهرة فردية وجماعية في آن واحد ، لكننا ، مع ذلك ، ولجنا الى عصر أو عهد ، قد يتميز بفترة زمنية أطول وبالألم أكثر مما تميز به العصر الذي اندلعت فيه الحروب بين الآلهة والجبابرة : عصر من الحروب بين ما هو انساني وما هو الهي ، بين الشعور والأسطورة ، بين الحاضر والماضي ·

ان كان الآدمي قد ولد قبلا ، لكن التنقيب عن ما هو تحت الشعور ما زال عصياً ، وأنات « الجماهير الملتحمة والمتماسكة في جمعيات مرعبة ، ستُبعث بشكل خاص في سبيل النضال من أجل الحياة » ·

وعلى مر العصور ، نشاهد كيف أدت منهجية الفكر ، والعقائد ، والخرافات الدينية ، والطقوس ، وفتنة الاحتفالات السحرية الى تكوين مبدأ قصور ذاتي وخمول ، ومبدأ حفظ الماضي الذي شيدت عليه الأنا ٠

وهكذا ، تنشأ صعوبة التحول النفسي والروحي اللذين تفرضهما القوانين العليا السامية على الانسان لكي يكملهما أو ينجزهما من واقع هو أن الانسان ضحية ابداعاته الخاصة التي هي حصيلة الهام صادر عن الشبكة الضخمة من الذاكرات المشيدة في غضون عدة ملايين السنين ٠ ونحن نعلم أن هذه الذاكرات تحمل في صميمها بصمات أو نقوش غريزة بقاء تذكر الكائن الانساني بخوف دائم لا شعوري وبحث دائم الى الأمانة والطمأنينة ٠ وفي الواقع ، يعيش الكائن البشري ، وهو يعاني من حالة « لا تقوم على أسس صلبة » ازاء الحقيقة السامية ، في وضع واقعي يتصف بانعدام الأمانة والثقة ٠

* * *

عندما نتأمل البيئة النفسية الجسدية التي تعود للكائن البشري ، والتعقيد واللدانة اللذين تتصف بهما بنيته الخلوية ، والدقة أو النعومة الاستثنائية الخاصة والحساسية اللتين يتميز بهما جهازه العصبي ، وقابلية التأثر والاستقبال وخاصة التوحيد والتكامل اللذين تختص بهما القشرة الدماغية ، نستخلص أن هذه الخصائص كلها قضت بأن يكون الانسان آداة التعبير العظمى لحقيقة الكون الجوهرية ٠ ولا يغيب عن بالنا أنه يتوجب على الانسان ، قبل أن يتم أو يملأ أو يؤدي هذه الوظيفة الطبيعية العظيمة ــ التي يطلق عليها الصينيون القدامى مصطلح تا يونغ ، أي الوظيفة الكبرى ــ القيام بعمل يتمثل في اصلاح أو احكام جديد مباشر ٠

واذا كنا نتوخى الحقيقة ، قلنا أن الغالبية العظمى من البشر تحيا في مرحلة ابتدائية أولية تتصف بتكامل تام مع « الأنا » ، وعلى الجانب « السطحي الظاهري » للكائنات والأشياء ، وفي قيم مجملة ضيقة ومحافظة للذات ، وأحكامها المنحازة السبقية ، واعتياداتها العتيقة ، وخرافاتها ، ومخاوفها ، وأنواع عنفها ٠

وما الفوضى وانعدام المسؤولية القائمان في العالم الواقعي الا مظهر يدل على أن الناس المحدودين الذين يتصفون بقصر النظر ، يجذبون البقية الغالبة الى محاكاتهم ، والانصياع لهم ، ليكونوا نسخة ثانية لهم ٠ وهذا كله يعود الى نقص بائن في نضجهم النفسي ٠ والواقع هو أن هذا النقص في

نطاق الحس النقدي ، وهذه العطالة تقبع كلها في أصل النجاح الذي أحرزته حركات الجماهير وفي خلفية الكوارث التي ولدتها تلك الحركات ٠

ولما كنا نقف على عتبة الألف الثالثة ، فمن الأهمية بمكان أن نلغي الميزة السيئة المؤذية العائدة للعطالة والقصور الذاتي ، والخمول النفسي، والمحاكاة واللامسؤولية الملازمة لحركات الجماهير والمتأصلة فيها ٠ وينبغي أن نبطل خطر الاثباتات التي تزعم أن الانسان عاجز عن الاعتماد على نفسه طالما هو فرد مستقل ٠ والواقع هو أن الذين ينطقون بهذه اللغة هم المستفيدون الأوائل من استغلال الضعف والجهل الانسانيين ، والمنتفعون من تشجيع البشر على الاستمرار في هذا الضعف والجهل ٠

ولما عجز الانسان عن أن يجد في ذاته الثروات التي يمتلكها ، اقتضى عجزه هذا وجود الرؤساء ، والمعجزات الخارقة ، والسلطات السياسية والدينية ٠ اذن ، فشعائر السلطة وعبادتها ، وحركات الجماهير تحصل من تربية ترسّخ في ذهن الناس لكي يفوضوا أمرهم الى أناس آخرين يعملون على حل مشاكلهم الداخلية ٠

سبق أن رأينا كيف أن القدر أو المصير جازى اخفاقات الانسان التي نسميها « عبادة الآخر » و « حركات الجماهير » ٠ وتنفذ هذه الاخفاقات الى المستبدين ، وطغيانهم ، وأنواع اضطهادهم ، والابعاد والنفي وابادة الجنس والجماعة ٠

والحق يقال أن ابطال المحاكمة العقلية الفردية وخصائص النقد الذاتي أدى الى شلل يصيب الناس لأنهم يتطابقون مع الأفكار التي يحاكونها ويصبحون الفئات المتعصبة لنظام ٠ وباسم هذا النظام تُرتكب الجرائم ، وأنواع القسوة والقمع الكريهة ٠

ولا يتمكن الانسان من الازدهار والتفتح في امتلاء كمال وظائفه النفسية والروحية الا في وضع تتحقق فيه حريته ٠ والحق يقال أن الروح المشروطة والمكيفة بالمحاكاة والخضوع لا يمكنها أن تفعل بحرية ٠ فالعقائد وتطابقات الروح مع فكرة بشكل عام تشل وظيفة الروح المبدعة بحيث أنها تغرقها في حالة شبيهة أو قريبة من النوام الذاتي ٠

يقف كريشنا مورتي في طليعة المرشدين الروحيين النادرين لأنه يحترم بدقة عوامل وحالات حرية الحقيقة الجوهرية ، ويتنكر لمخاطر السلطة

الروحية ، مُدرجاً بنزاهة سلطته الروحية ذاتها ، ويناهض خاصية العقائد وأنواع التعصب الديني التي تؤدي الى الشلل الروحي • وفي هذه النقطة يتعارض موقف كريشنا مورتي تعارضاً جذرياً مع موقف يونغ وتلاميذه •

يصرح جولان جاكوبي في هذه المناسبة :

« لا يُلحق يونغ شيئاً الى شعور يترعرع في حمى الايمان ويلجأ الى مجموع رموز العقيدة ؛ لكنه لا يتورع عن تشجيع وجهة النظر التي تبحث عن الطريق الذي يرجعه الى المؤسسة الدينية(٣٣) » •

هذه العبارة تجيز لنا التعليق والتفسير !

تلكم هي اللغة التي تلذ للكسول الخامل • ولما كان الكسالى يشكلون الغالبية العظمى ، فان الراحة تدعو الى عدم تكديرها وهي ترقد في تعزيات هينـة تبغي الوضع الخامل وسطحية التفكير في حالة سليمة • ولقد هدفنا ، عن قصد ، استدعاء هذه البيئة الغافية للاشراط والنعاس النفسيين لنوضح كيف يمكننا أن نقيم تبايناً صارماً بينها وبين البيئة التي ينبثق فيها الابداع وتتم فيها اليقظة الداخلية التي تحدث عنها كريشنا مورتي •

* * *

لا يبلغ بحثنا كماله ما لم نذكر اختلافاً آخر بين تعليم يونغ وارشـاد كريشنا مورتي • ويصطبغ هذا الاختلاف بالعمومية والشمول ولا يخص تعليم يونغ وحده بل يتعداه الى منهج التحليل النفسي كله • وينضـوي هذا المنهج تحت لواء التحليل • فهو يدرس حصائل الماضي ، والصدمات المسجلة في اللاشعور منذ الطفولة الغضة واستتباعاتهـا في تشكل العقـد ، التوترات والحالات العصابية الحالية •

وبالتأكيد ، تعد هذه السيرورة مشروعة وصحيحة في منظور العلاجات النفسية المتصلة بحالات عصابية خطيرة أو خفيفة • ومن الممكن أن تكون هذه المعالجات النفسية مؤاتية ، خيرة وشافية أو ملائمة • فهي تعمل على اعادة الانسجام الى « الأنـا » ، وتحريرها من التوترات ، ومن ميولهـا الفصـاميـة •

لكن تعليم كريشنا مورتي لا يوجه الى مرضى من هذا النوع • ففي الامكان أن يدعي بعضهم ، دون أن نجردهم من الدراية ، وجود أمراض من هذا النوع أكثر مما نظن بشكل عام ، بالنظر الى حـدة الأزمات التـي

تمزق العالم على كل المستويات · وعلى غير ذلك ، يوجه كريشنا مورتي ارشاده الى كائنات بشرية يتصفون بما يكفي من التوازن والنضج ، ويطلب منهم أن يولوا وجههم شطر الطبقات العميقة من الشعور ويحققوا معرفة كاملة عن أنفسهم ·

ويصرح كريشنا مورتي ، ويؤكد ، أن السياقات الاعتيادية المتصلة بالتحليل غير فعالة وعديمة الفائدة · ففي بروكوود يدلي بالعبارة التالية : **« التحليل هو الشلل » ··· ويعتقد كريشنا مورتي أن كل تحليل يستخدم الفكر الذي هو الذاكرة ذاتها · ويقترح ، عوضاً عن هذا ، تهيؤاً أو قابلية لنوعية من الذكاء مجرد من سلطان الذاكرة · والحقيقة هي أن هذه الدعوة تسمح للباحثين أن يحللوا بأنهم يتفردون أو ينطوون على حسن نية دون أن يحللوا في الحلقة المفرغة « للمعلوم أو المدرك » العقلي حيث تكمن آفة النشاط والعمل في منبت كل المشاكل ·**

★ ★ ★

ينشأ القسم الأكبر من الاختلافات في وجهات النظر بين تعليم كريشنا مورتي وموقف يونغ وموقف معظم علماء التحليل النفسي من تكوينهما ومشاغلهما المهنية المختلفة اختلافاً بيناً ·

فلقد كان يونغ ، قبل أي شيء آخر ، طبيباً ؛ ومثل هذا التكوين يسمح لعدد من علماء التحليل النفسي أو علماء النفس أن يصيغوا أنفسهم صياغة تقترب من مفهوم الطب · وتقضي مهمة المحلل النفسي باعادة التوازن الى المرضى العقليين · وكثيراً ما تنحصر رسالتهم في امتحان واختبار اعادة تكيف وتلاؤم الكائنات البشرية العاجزين عن تلاؤمهم وتكيفهم مع المجتمع ·

لكن هذا لا يفضي الى القول ـ وقد شددنا باصرار على هذه النقطة في مكان آخر(٣٤) ـ ان جميع الفتيان المتكيفين فقدوا توازنهم · وهل يفيدنا الآن أن نذكر جملة الاختلافات وأنواع الاضطراب والشذوذ والضلال التي يعاني منها مجتمعنا المعاصر ؟

مراجـع القسـم الأول

١ ـ منشورات فايار ، باريس ، ١٩٧٤ ٠

٢ ـ ص ٠ ٧٧ ٠ منشورات ستوك ، باريس ٠

٣ ـ يونغ « علم النفس والدين » ص ١٤٢ ٠

٤ ـ كريشنا مورتي ، مدراس ، ١٩٤٧ ، ص ١٤ ٠

٥ ـ كريشنا مورتي ، مدراس ، ١٩٤٧ ، منشورات سركل ده ليفر ، ١٩٥٠ ، ص ٢٢١ ٠

٦ ـ جولان جاكوبي ، « علم نفس كارل غوستاف يونغ » منشورات دلاشو ونيسله ، ١٩٥٠ ٠

٧ ـ ريمون رويه ، « غنوص برنستون » ، منشورات فايار ، باريس ، ١٩٧٤ ٠

٨ ـ ج ٠ كريشنا مورتي ، المصدر السابق ٠ ص ١٥ ٠

٩ ـ ج ٠ كـريشـنا مورتي ، « كريشنـا مورتي يتحـدث » ص ، ١٩٧٠ ٠ منشورات مون بـلان باريس ١٩٥٠ ٠

١٠ـ فريتجوف كابرا ، « طريق الفيزياء » ، منشورات تشو ، باريس ، ١٩٧٨ ٠

١١ـ دافيد بوهم ، « الكل والنظام الضمني الكامن » كيغان ورتلدج ، لندن ١٩٨٠ ٠

١٢ـ ج ٠ كريشنا مورتي ، « مداولات أوجه » ١٩٤٤ ٠

١٣ـ كارل يونغ ، « علم النفس البدئي » ص ٦٩٠ ٠

١٤ـ كارل يونغ ، « الانسان يكتشف روحه » ص ١٩ ٠

١٥ـ كارل يونغ ، « الانسان يكتشف روحه » ص ١٩ ٠

١٦ـ كارل يونغ ، « الانسان يكتشف روحه » ص ٠ ١٩ ٠

١٧ـ جان شارون ، « الروح ذلك المجهول » باريس ١٩٧٥ ٠

١٨ـ روبير لنسن ، « التأمل الحقيقي » باريس ١٩٧٨ ٠

١٩ـ ج ٠ كريشنا مورتي ، « على عتبة الصمت » ص ٢١٨ ، ١٩٧٥ ٠

٢٠ـ ج ٠ كريشنا مورتي ، « احاديث في ساروبيا » ٠ لندن ، ١٩٤٠ ٠

٢١ـ ج ٠ كريشنا مورتي ، « يقظة الذكاء والوعي » ص ١٠٩ ٠

٢٢ـ ج ٠ كريشنا مورتي ، « مؤتمر مدراس » ص ٢٠٢ ، ١٩٤٧ ٠

٢٣ـ ج ٠ كريشنا مورتي ، مدراس ص ٢٠٧ ، باريس ١٩٥١ ٠

٢٤ـ كارل يونغ ، « حاضرة في جولان جاكوبي » ص ٠ ١٤٧ ٠

٢٥ـ ج ، ليو ، « غلبة الفكرات الخادعة » باريس ١٩٣٦ ٠

٢٦ـ راما نا ماهارشي دراسات ، ١٩٧٢ ٠

٢٧ـ ج ٠ كريشنا مورتي ، مدراس ١٩٤٧ ٠ باريس ١٩٥٠ ٠

٢٨ـ كارل يونغ ، « الانسان يكتشف روحه » ٠

٢٩ـ كارل سواريز ، « الكوميديا النفسية » باريس ١٩٣٢ ٠

٣٠ـ كارل سواريز « التأمل الحقيقي » ٠

٣١ـ جولان جاكوبي ، « علم نفس كارل يونغ » ص ٠ ١١٩ ٠

٣٢ـ كارلو سواريز ، « الكوميديا النفسية » ص ٠ ٢٣٦ ٠

٣٣ـ جولان جاكوبي ، « علم نفس يونغ » ص ٠ ١٤٦ ٠

٣٤ـ روبـير لنسن ، « كريشنا مورتي ، عالم نفس العهد الجديد » ٠ ١٩٧١ ٠

القسم الثاني

- ١٠ -

كريشنا مورتي ومعضلة الذاكرة

يمكننا القول أن الدراسة المعنية بسيرورة الذاكرة قادرة على حل معضلات التواصل الظاهري للشعور ، والمطابقة مع الزمان ، والتماثل مع الديمومة ٠ ومن جهة أخرى ، يمكننا تحديد التعليم الذي أتى به كريشنا مورتي بأنه ايضاح للعوائق التي تشل الروح وتعيقها عن اكتشاف طبيعتها العميقة الجوهرية ٠ فهذه الطبيعة حضور لا زمني ، مبدع خالق ، تلقائية ذاتية ، لا سببية ، مجرد من كل آلية ، من كل اعتياد ، ومن كل تكرار أو انعكاس ٠

تلعب الذاكرة دوراً كبيراً ، ليس في تشكيل حياة الكائن البشري فحسب ، بل أيضاً في تشكيل حياة الكون ٠ وفي هذا الصدد **يصرح كريشنا مورتي حيناً بعد حين بأننا لسنا الا « حزمة ذاكرات »** ٠ وكثيراً ما يحدث هذا الاثبات بوصفه حركة تتميز بالتراجع والتقهقر ٠

ولكي يتسنى لنا أن نفهم دور الذاكرة فهماً كاملا يفضل أن نقوم بسبر مختصر للسياقات البيولوجية التي تشرف على تشكيل الكائن البشري٠

في الفترة الزمنية الواقعة بين اللحظة التي تحبل بنا أمهاتنا التي تشهد ولادتنا ، يتحقق عمل من الترابطات والتداعيات الجزئية والخلوية الخارقة ٠ ويوضح التقدم الحديث الذي أحرزه علم الأجنة ، وساعدت الكيمياء الحية على ازدهاره ، ضخامة وأهمية هذه الفاعلية المذهلة والمثابرة ٠ **ففي لحظة الحمل تحمل خلية أو خليتان مليارات المعلومات** والأخبار ٠ وسوف تسهر هذه المعلومات على صياغة مولود جديد يحمل ، **وقت الولادة ٠ زهاء ٥٠٠٠٠ر٥٠ من الخلايا ٠** وخلال شهور تسعة ، تتوجه مئات ملايين الجواهر ، والجزيئات العملاقة ، والخلايا غير الاختصاصية الى

تشكيل أعضاء تباشر وظائف معينة • وتشكل خلايا معينة غير اختصاصية في الأصل دماغاً بشرياً بما تشتمل عليه من اثنتي عشر أو ثلاثة عشر مليار من الخلايا العصبية ؛ ومثل هذا العدد يشكل الكلية الخ •

وبالتأكيد ، لا يتم هذا التنظيم عن طريـق المصادفة • انه يحصـل نتيجة برمجة دقيقة مجملة للغاية تتلقى تعليماتها وتوجيهاتها من المعلومات المتضمنة في « مجموعة الشيفرة الوراثية » • فما هي هذه المعلومات ؟ وماهي طبيعتها ؟ وما المستوى الذي تحتله بين الأشكال المتنوعة للطاقة ؟ ولا شك أن توضيح الدور الذي تقوم به الجزيئات الجبارة لـ د•ن•١• و ر•ن•١• يسهم في ايضاحات عديدة لجزء كبير من هذه السياقات الشديدة التعقيد • ومع ذلك ، تظل أسئلة عديدة دون أجوبة •

تبين الفرضيـات الجريئـة التي توصل اليها جـان شارون في بحثـه عن الزمان والمكان النفسيين أو الروحيين ، اللذين يشكلان نطاقاً لتدوين الذاكرة ، وانجازات دافيد بوهم في الميكانيك الكوانتي للتحولات الواقعية أن سيرورات الذاكرة تشتمل على كلية مستويات الطاقة التي تحتل مكانها في الزمان ــ المكان الفيزيقي والزمان ــ المكان النفسي •

وعلى هذا الأساس ، نفضل أن نستبدل تعبير « معلومـات الشيفـرة الوراثية » ب « الذاكرات » • وفي الواقع ، تعد الخلايا الأولية التي تتحدر منها حاملات مليارات الذاكرات • وتتوارى هذه الخلايا عن الأنظار ويتحدد موقعها الى ما هو أبعد من الركيزة المعتـرف بأنها ، على نحو مؤقـت ، جزيئات الـ ر•ن•١• و د•ن•١ •

ولقد أدت كتابات جان شارون المتصلة بوجود مكان ــ زمان روحي نفضل أن نسميه « مكان ــ زمان نفسي » الى اثارة نوع من الارتيـاب ، وذلك بعد نشرها في عام ١٩٧٥ • وفي عـام ١٩٨١ ، وافق الفيزيائـي المرموق بريان جوزفسون ، حامل جائزة نوبل في الفيزياء ، وفيزيائيون آخرون ، على مضامين فرضية شارون • وتظهر الاكتشافات الحديثة التي قام بها العالمان غاردنر وسنوستاد عن **وجود نواة كروية** في وسط جزيئات د•ن•١• لا يمكننا الارتياب بوجودها • **وتؤلف بنيتها وهندستها تيبولوجيا أي نموذجية النوع الملائم لتأطير مكـان ــ زمان فيزيقي بعد مصـادرة أو مسلمة جان شارون(١) •**

قِـــدم ونشـــأة الـذاكـرة

تواجه الروح سؤالا يخطر لها على نحو مباشر : من أين تأتي هـذه المليارات من المعلومات ، وكيف تتشكل ؟ كيف تُختزن وتُحفظ ؟ ما نوع المحيط أو الوسط الذي يصلح أن يكون دعامة لها ؟ ما هـي ، بالضبط ، الطاقات التي تُعبئها ؟ ولما كان المجال لا يتيح لنا الاجابة الملائمة عـلى مجمل هذه الأسئلة فاننا نحاول الاجابة من وجهتي النظر النفسية والروحية خلال البحوث المتنوعة(٢) ٠

نعتقد أن الافادة تقضي بتوجيه القارىء الى دراسة مؤلف جـان شارون(٣) ٠

يوضح المؤلف ، وهو يتأمل أعماق المادة ، وجود مكان ـ زمان نفسي سُجلت فيه وحُفظت فيه كل الأحداث التي تمثل تاريخ كون منذ نشوئـه أو ولادته ٠ وترقى تطورات الذاكرة الى ما قبل تشكيل الكائنات الحية ٠ وينشأ عملها انطلاقاً من التشكل الأول للمادة ذاتها ؛ وهذا يعني العـودة بالزمان الأرضي الى ١٤ مليار عام تقريباً ٠

يعتقد ستيفان لوباسكوان بدايات الذاكرة تتوضع في النشوء الأول لكوننا ٠ والمعلوم أن كوكبنا ، في ذلك الزمـان ، لم يكن أكثر من كـون سديمي مكوّن من جواهر الهيدروجين المؤينة ٠ ويفسر ستيفان لوباسكو أن الحركة ، وتجلي الطاقة ، والحياة لم تكن ممكنة لولا حدوث سلسلـة متوالية من « وجودات بالقوة أو كمونات » و « تفعيلات أو اخراجـات الى الفعل » ٠ وفي هذه المناسبة يكتب :

« الطاقة ، بحكم تركيبها المضاد ومنطقها الديناميكي ، مُحدثة مـن علل فاعلة وعلل غائية ٠ ومثل هذا النظام يتوضح عن طريق الآلة الحيوية: الطاقة التي تنبسط أي تنتشر ، تتركز في بداءة الأمر في كمونات تطوراتها أو نشوءاتها الفردية كلها ، التي ، ما ان تخرج الى الفعل ، حتى تحقـق كامل العضوية أي الكائن الذي كانت تحملـه ـ وهذا يعني تمـدّي أو تجسيد شيفرة الوراثة ٠ ولكن ما تعلمـه البيولوجيا هو أن العنـاصـر الطبيعية ، وأعني الأنظمة الفعالة الطاقية ، بواقـع أنها قابلة للوجـود

الكموني التكويني الأساسي ، لا تكون موهوبة فقط بالغاية بل بالذاكرة : لا شيء اطلاقاً مما سيكون نباتاً أو حيواناً الا وكان مصوراً في البذار ، والبيضة • وهكذا توجد هذه الأنظمة الحيوية في حالة الكمون الفاعلي الطاقي الصرف ، وفي حالة العلة الغائية والذاكرة • ويكمن في قلب الطاقة مبدآن عليان ، علتان غائيتان ، وذاكرتان نقيضتان(٤) » •

★ ★ ★

جدير بالملاحظة أن العقائد الهندية والصينية القديمة التي ترقى الى آلاف السنين تبشر بوجود زمان ــ مكان نفسي تسجل فيه كل الأحداث الماثلة في تاريخ كون منذ نشأته • ولقد تصورت تلك العقائد هذا المكان ــ الزمان النفسي على هيئة نوع من أثير، كلي الحضور والوجود، كلي الاختراق والانبثاث يسمى أكاشا • وفي هذا الأكاشا الأصلي الأولي ودعت الأحداث ، والأفعال ، والأفكار ، والمشاعر ، طابعها وعلاماتها وبصماتها الدائمة المسماة « الكليشهات الأكاشية » • لذا ، كان اللا شعور الجمعي الذي تجثم فيه الشعورات واللاشعورات الفردية المجموع النامي أو المتكاثر على الدوام لهذه التسجيلات المحفوظة •

وفي منظور الدراسات والبحوث الحديثة التي قام بها البروفسور افارن ، تشكلت هذه التسجيلات بواسطة موجات ساكنة أو موجات «صورة» تشمل التراث الاعلامي لكوننا على نحو نمو وتكاثر دائم • وهذا هو السياق ذاته الذي يحمله جان شارون لمصطلحه « الأنتروبي السالبة » •

أما كريشنا مورتي فانه يطلق اسم « المعلوم أو المدرك » على هذه الشبكة الضخمة من المعلومات المختزنة منذ زمن طويل • ويعتقد أن جمع هذا المعلوم يمارس على الروح الانسانية فعلا مثبطاً لأنه محكوم بالآلية ، والتكرار والاعتياد • فالأفكار والعواطف وكل النشاطات العقلية الفعلية المألوفة والاعتيادية في الكائنات البشرية هي ، في نظر كريشنا مورتي ، أمور مشروطة بالذاكرة •

وجدير بالملاحظة أن نذكر أن الزمان ذاته ، وهو يتوازى مع سيرورة الذاكرة ونموها وتكاثرها الدائم والثابت بالمعلومات التي تتحقق في غضون فترات كبرى ، هو شكل للطاقة يوطد ، ينشط ويرسخ فعل الذاكرة • فلم يكون الأمر كذلك ؟

منذ عهد قريب ، وفي الفترة الواقعة بين ١٩٧٠ و ١٩٨١ ، أعلن علماء بارزون ، فيزيائيون ورياضيون ، أمثال جون هويلر من جامعة برنستون في الولايات المتحدة الأمريكية ، كوزيرف من الاتحاد السوفياتي ، موزه من الولايات المتحدة ، ودافيد بوهم ، تعاليمهم التي تتضمن ما معناه أن **الزمان شكل من أشكال الطاقة التي لا يمكننا ، بأي شكل من الأشكال ، فصلها عن الطاقة الشاملة للكون** • ويعترف معظم هؤلاء العلماء بوجود « جزيئات دقيقة للزمان » يكون الفعل فيها جميعا • ويعد هذا الجمع سبباً رئيسياً لنمو متسارع للسيرورات التطورية في كل الحقول والنطاقات(٥) • والتعبير الذي يستعمله كريشنا مورتي للدلالة على أن **الدماغ الانساني ليس الا الزمان المركز أو المكثف والمبلر يستغرق معناه الكامل** • ويستعمل البرفسور ريمون رويه في كتابه « غنوص برنستون »(٦) لغة شبيهة • فالمؤلف يعتبر ، وهو يستحضر ذكاء وذاكرة الجزيئات العضوية، **الكائن الانساني «ثري زمان»** • وفي الواقع لا يعد الكائن البشري ثري زمان فحسب بل ثري ذاكرة • ومثل هذا التعبير يوضح المغزى الخفي لرمز « الانسان العتيق » تماماً كما تميزناه سابقاً •

وتحتوي النسخة السجل أو القسم المقابل نفسية الزمان ــ المكان الفيزيقي لكل جزيء ، وربما لكل جوهر ، في صورة شاملة ومتكاملة ، كما تشتمل على العلم الرفيع المتصل بالكون كله • وليس هذا الا لأنه حصيلة الوحدة التامة لجوهره • وهكذا ، يكشف لنا التقدم الذي أحرزته البيولوجيا الذرية أن الجزيئات تمتلك ذاكرة وتتجهز بقدرة التعرّف ، عن بعد ، على الذرات الأخرى ، وامكانات تجانسها أو شوقها بحيث أنها تميز ، عن بعد ، بواسطة التزامن والتواقت الاهتزازي التكاملي الذاكرات المسجلة في زمانها ــ مكانها النفسي ل د•ن•ا• أو ر•ن•ا• ولقد قدم ريمون رويه بعض الأمثلة الهامة بهذا الخصوص :

تواجه البيولوجيا الذرية واقعاً غريباً يتمثل في تعرّف ذرة الى أخرى عن بعد • ففي التوجيه الهرموني ، حيث تتعرف الخلية الى الرسالة الهرمونية لأنها تتضمن جزيئات (ا•م•ب• حلقية) ، تكون المبعوثات أو الساعيات الثانية التي تحدث عنها سذرلاند قادرة على معرفة شكل الجزيء الهرموني عن بُعد ؛ وفي التوجيه الوراثي تكون جزيئات الهيولى قادرة على التعرف الى شكل ــ رسالة ر•ن•ا• وشكل ــ رسالة جزيئات د•ن•ا•(٧) •

من هذه الوقائع تتوضح أهمية الـدور الذي تلعبه الذاكرة عـلى المستويات الجزيئية والخلوية ٠ ويتبين أن هذا الدور يكبر على مستوى الكائن البشري ويكيف على نحو تقريبي كلية سلوكه ٠ وهكذا ندرك الآن أين يكمن الأصـل الأولي لآليات الفكـر ، الذاكرة ، سـيرورات اللفظ ، والتنظيم في مقولات ، والتصنيف ٠

تلكم هي الأسباب التي توجب أن تشتمل « المعرفة » في كل فعل مـن أفعالها وفي كل شعور للوعي لدى غالبية الكائنات البشرية على ٩٩٪ من « التعرف والتذكر » ٠ ولا غرو أن مثل هذه السيرورة ، المجردة من الابداع والتجديد والنمو يصفها كريشنا مورتي عن قصد بأنها المسيرة العقيمـة التي تنتقل من « المعلوم » الى « المعلوم » ٠ وأننا نجد من جديد أننا نواجه مرة أخرى معضلة التواصل ، التواني الداخلي ، الخوف ، غريزة البقاء ، وهي تجسد أربعة عوامل للاشراطات التي يمتنع فصلها وفكها ٠

* * *

تفسر القدرة الكبيرة التي يتسم بها سلطان الذاكرات ـ الماضي ـ على الخاصة الطبيعية للتيقظ والانتباه ـ الحاضر اللازمني ـ الذي يشير كريشنا مورتي الى تحقيقه عن طريق قدم سيرورات التذكر ٠ وحـول هذه القضية يكتب ريمون رويه بعض السطور المثيرة :

« لو أننا تأملنا ، ليس الانسان وحده في حياته الفردية بل السـلالة المتصلة ، غير المنقطعة ، التي ـ ما دامت أية خلية من الخلايا الحية لم تمت في وقت ما ـ ترقى الى بدء الحياة والى جزيئات ذاتية التوالد ، أي الـى بضع مليارات السنين ، لوجدنا أن الانسان بوصفه حياً لا يقل شـأناً في الزمان اذا قيس بالأزمنة الجيولوجية والكوزمولوجية ٠

« (٠٠٠) الانسان ، في حقيقته ، جبار زمني يفكر ، يجمع أفكاره ، ينظم ، ويبحث بهمة ونشـاط ويصون المعلومـات المدونـة في ذاكرتـه البيولوجية منذ مليارات السنين ٠ والانسان جرثوم ٠٠٠ انما جرثوم ثري كبير بالزمان(٨) » ٠ ونحن نكرر مع ريمون رويه ونقول انه ثري زمـان وعلى الأخص ، ثري ذاكرة ٠

ومن الملائم بوجه خاص أن نستشهد بهذا الشأن بجزء من قصيـدة سرية للشاعر ر٠ نيرمايانندا(٩) :

كن عديـم الشفقة ازاء
كـل ما هـو فيـك ···
احمـل سمة آلية عقيمـة ···
تجـرد من الانسـان العتيـق !
ألا تعلـم أنـك ثري بالزمـان !
ألا تعلـم أنك ثري بالذاكـرة !
انـك تحمل في أعماقـك عبئـاً
زمنـه هـو زمـن الكـون !

ان التحرر من عبء « زمنه هو زمن الكـون » يعني أن بضـع آلاف مليارات الخلايا المكونة للجسم الانساني تمتلك قوة قصور ذاتي كبـيرة ناشئة عن مراعاتها الملزمة لآليات واعتيادات · ولقد أمّنت هذه الآليـات والانعكاسات والأعمال اللاارادية وقاية وصيانة بقائها ودوامها ·

وعلى هذا الأساس ، يتطلب التحول النفسي والروحي الذي يقترحه كريشنامورتي انجازه انعتاقاً لقوانين التوازن والآليات البيولوجية بالاضافة الى الاطالات غير المناسبة لهذه الآليات في النطاق النفسي والروحي ، بحيث لا تكون هذه الاطالات في النطاق الروحي وافية بالغرض · والحقيقة أن المسؤولية في هذا تقع على عاتق تعسف الذاكرة وتعديها ·

دور الذاكـرة في التكـون النفسي للكائن الحي

ذكرنا سابقاً ، ونكرر من جديد ، أن كريشنا مورتي لا يحرم الذاكرة من رصيد منهجي ، لكنـه يرينا كيف تكون عامـل اشراط · فالذاكـرة سيرورة طبيعية لا يمكننا الحياة بدونها · ونردد معه مرة أخـرى : **ليس الكائن الانساني الذي امتلأ في يقظته كائناً مصاباً بالنسيان بل هو حر من التماثل مع سلطان الذاكرات الماضية ويسعى الى الانعتاق من سلطانها · ويسمح له هذا التحرر أن يحيا الحاضر حياة تامة ممتلئة ·**

ولا يضيرنا أن ندقق بايجاز في بعض المعالم الفيزيائية والبيولوجيـة للذاكرة · وسوف نبدأ الآن بتفحص طبيعة الذاكرة بعلاقاتها مع الفكر ·

ولا شك أن الموقف الذي يتخذه كريشنا مورتي جازم بات : **فهو يقر أن الفكر ليس شيئاً آخر سوى الذاكرة وان الذاكرة ليست شيئاً آخر سوى الفكر** • ولهذا يصرح بأن « **الفكر ليس هو الذكاء أو الوعي** » •

يؤدي هذا التأكيد الى اثارة حركة تقهقر لدى غالبية الغربيين الذين استمروا في تأليه الفكر • لكن الموضوع لا يتضح ما لم نتعرف على حقيقة الفكر • وفي الواقع ، ليس للفكر وجود ان هو فقد ارتباطه بالكلمات الشعورية واللاشعورية • فلا وجود لأفكار مجردة من الصور ، واضحة كانت أم غامضة ، شعورية كانت أم لا شعورية • واذا عبَّرنا عن هذه العبارة بأسلوب آخر قلنا أن هذه الكلمات ، وهذه الصور كانت مسجلة من قبل في الانطباعة الدماغية ــ الآثار المخلفة في الدماغ من أحداث • فهي اذن ذاكرات • وفي هذه الحال نجد أنفسنا ماثلين في حضرة اطالة سيرورات تعرّف وتذكّر ، ذرية وخلوية ، قائمة منذ مليارات السنين وتُستحضر الآن على نحو فقرات سالفة •

ويشدد كريشنا مورتي على واقع هو أن عملياتنا العقلية أكثر آلية مما نفترض أو نريد أن نعترف • فالفكر يعمل عن طريق الاستقراء والاستدلال • وهكذا يتوغل مبدأ التعويض الى الشعور ويكشف اللاشعور عن المدى الذي تخضع فيه الفاعليات العقلية والعاطفية لسياق آلي للعلل والمعلولات •

ويجذب كريشنا مورتي انتباهنا الى آلية السيرورة العقلية والى السرعة القصوى التي يعود بها الفكر الى الأوضاع القديمة عوضاً عن أن يترك للكائن البشري امكان تحقيق صمت أو سكون داخلي ، وامكان تجدد وابداع • وفي الحال ، وبسرعة البرق ، وفي واحد بالمائة من الثانية ، تنتظم ظروف حديثة العهد ، متبدلة ومتصلة بالوسط الخارجي في مقولات، تحاكم ، تصنف ، ويعبِّر عنها بألفاظ وعبارات • وتخفي السرعة التي تتم فيها هذه الآليات في حقيقتها خوفاً أصيلا يمتلك زمناً يعادل عمر الكون• وهكذا يتأكد تواصل الذات • وتسهر ستراتيجية « الانسان العتيق » على توطيد وصيانة وجودها وذلك في سبيل اطفاء شعلة الحياة الابداعية •

وكما ذكرنا سابقاً : هـذا هو المعنى العميق المتضمن في رمزية ابليس ــ ساتان ، هذا الاسم الذي يشتق من العربية القديمة شيط آن • فالانسان العتيق، مجموعة الذاكرات التييمتد زمانها الى مليارات السنين،

يمثل الماضي • والواقع هو أن الماضي لا يرغب في التنازل عن ذاته • **وتشكل شبكة الذاكرات وجوداً أو كياناً • ويتميز هذا الكيان بالمقاومة • ولكن لا بد من التساؤل : ماذا يقاوم ؟ ويشير الجواب الى أنه يقاوم التجديد ، الابداع ، والحاضر اللازمني** • وهكذا يكمن التعارض بين الماضي والحاضر في قاعدة وأساس كل الصعوبات ، والعطالات والمقاومات التي تكشف عنها الذات في نطاق الحياة الداخلية •

في هذا المنظور ، يظل الفكر فكراً ؛ وتتابع المسيرة العقيمة « للمعلوم أو المدرك » الى « المعلوم » كما نرغب بها على نحو لا شعوري ، ويظل الذكاء أو الوعي مختفياً في ثنايا العدم • وتؤدي الظلمة التي نحملها عبر لحظات سابقة الى انعدام وضوح وقدرة ارادة الالهام أو الوحي المتصل بكل دقيقة جديدة • ويستغرق كل ظرف جديد ، كل موضوع جديد في الآليات الدماغية للتعرف والتذكر التي تتجه الى ترتيبها في مستودع الذاكرات القديمة ، والقيم المعروفة • وفي الحال تتأسس طرق مميزة وسط مليارات العصبونات المتهيئة على نحو دائم لتعلم ومعرفة العوامل الجديدة التي ترسبها في هاوية « المعلوم » القديم والاعتيادي • لكن الذكاء الذي يقصده كريشنا مورتي فلا وجود له في هذه الحال • اذن ، تنشأ ضرورة احداث خدعة حاذقة •

حقيقة الأمر أن الذكاء أو الوعي غريب عن نطاق التكرار والاعتياد ، ولا يأتلف معهما • فهو يقف خارج السيرورات الآلية التي تسوس المعالم السطحية للكون • اذن ، فالذكاء أو الوعي لا سببي ، ولا زمني • وينجو من اشراطات الزمان ، والدوام والتواصل • وفي الواقع ، لسنا في وضع يؤهلنا الا بذكر ما ليس عليه • ولو كنا نمتلك القدرة على تعريفه وتحديده لما كان ذكاء أو وعياً ، والقول بأنه الابداع قول لا يجدي أو لا يكفي •

واذا حدث أن قلصنا فينا العوامل المخلتفة التي ، كما يتضح ، ليست هي الذكاء أو الوعي ، فلا بد وأن نمنحها الامكان أو القدرة على العمل فينا والمشاركة بفعل من أفعال الابداع الذي يتجاوز كل صياغة ، كل خيال وكل قبْلية •

هكذا يتضح أن الشعور بالوعي المرافق لشعور بعجز الفكر أو الدماغ عن حل معضلة الذكاء هو الخطوة الأولى على طريق يقظة الذكاء والوعي• وبهذا الصدد يصرح كريشنا مورتي :

« متى تأكد الدماغ القديم من عجزه عن ادراك ماهية الحرية ، ومن قصوره في اكتشاف كل ما يكون عليه الجديد ، يكون ادراكه ذاتــه بذار الذكاء • ذلكم هو الذكاء أو الوعي •

« ولا يُعد هذا الذكاء أو الوعي ذاتياً ، كما وأنه ليس نتيجة المباحثة، الرأي أو العقل • انه ينبثق الى الوجود عندما يكتشف الدماغ حـدوده الخـاصـة(١٠) » •

واذا عمدنا الى المقارنة بين الذكاء أو الوعي والفكر توخينا أن نجد التباين في المثال التالي : ان المسافة التي تفصل الذكاء أو الوعي عن الفكر تعادل المسافة التي تفصل النور عن الظلمة • أما على المستوى البيولوجي للظاهرات ، فيمكننا اقامة مقارنة العلاقات بين الذكاء أو الوعي الحقيقي والفكر بعلاقات قائمة بين عضوية حية وفضالاتها • وفي هذه الحال ، تكون الذاكرات ، مهما كانت طبيعتها ومستواها ، صـورة خلاصات وكذلـك مجموعة العالم المتجلي • وان هذا القول لا يحرم الذاكرات من امكان التعبير عن الأشكال والصور الرقيقة المرهفة للمؤهلات والخدع • وهكذا لا يجردها المعلم المتبقي للعالم الظاهري من الجمال أو العظمة ، الأمر الذي لا يجعل تعقيد الطاقات التي تشكل الجوهر المادي الظاهري يعيق أو يتداخل مـع التلقائية المبدعة التي تعود لجوهره الأقصى •

- ١١ -

صورة النفس في منظور كريشنا مورتي

ان دراسة الصورة التي يمتلكها كل انسان عن ذاته ، على المستويين الشعوري واللاشعوري ، تستشف واحداً من التطبيقات العملية للتأمل بالمعنى الذي يصيغه كريشنا مورتي ٠

تعد الصورة التي يمتلكها كل انسان عن ذاته حصيلة من الحصائل الأكثر أهمية لسيرورات الذاكرة التي تفحصناها بايجاز في الفصل السابق٠ ويشدد كريشنا مورتي ، وهو يعتمد معقوليته على الفعل المثبط الذي تحدثه هذه الصورة في كل الظروف ٠ وهذا لا يعني أننا نرتاب في وجودها أو نفيه ، بمقدار ما نقول ان هذه الصورة اعتيادية ومستمرة ٠

ومن وجهة النظر الواقعية ، نذكر ، من أجل الانتفاع من تأملنا أو من شعورنا بالوعي ، أن قدم وتعقيد سيرورة الذاكرة يتحملان مسؤولية استمرارية هذه الصورة في كل واحد من الناس ٠ ونحن لا نحتاج ، من أجل الكشف عن حضورها الدائم المثابر ، الا الى الملاحظة البسيطة التي ترينا بوضوح أهمية الدور الذي تلعبه في اشراطنا وتكيفنا ٠ ولا شك أن هذه الصورة تدخل في الظروف كلها ، ان كانت هذه الظروف عادية أو ظروفاً نحمّلها أهمية أعظم ٠ فاذا ما تحدثنا الى صديق وألقينا عليه تحية الصباح وسألناه : كيف حالك يا صديقي العزيز ؟ رأينا الصورة التي نكوّنها عن أنفسنا تتدخل في هذه اللحظة ذاتها ، على نحو خفي وبسرعة البرق ، فتقول لنا « ها أنذا أشعر أنني على أفضل ما يرام » ، ان كنا نتمتع بعافية جيدة ٠ أما ان كنا نعاني من احساس بالمرض والضيق ، فلا بد وأن تنشغل الصورة التي نحملها عن أنفسنا بفكرة أو برأي أقل ملاءمة مما يستطيع صديقي أن يكوّنه ، في داخله أو خارجه ، عني ٠

وبالاضافة الى ما ذكرناه ، فانني أمتلك دوماً عن صديقي صورة مشروطة بالذاكرات الطبيعية والحتمية للقاءاتنا السابقة معه ، وأحاديثنا الممتعة والمزعجة ، واتفاقاتنا في الرأي واختلافاتنا حول الموضوعات الخ · ولا شك أن صديقي ذاته ، من جانبه ، يكوّن صورة عني شكلها وأنشأها بالطريقة ذاتها · فهو أيضاً ، بوجه الاحتمال ، يعد موضوعاً يتميز بسياق واحد لصورته عندما ألقي عليه التحية · وعلاوة على هذا ، يضع قناعاً ليتوافق مع الصورة المثالية التي يكوّنها عن نفسه ، تماماً كما أضع قناعاً، هو « موقف » يساعدني على التوافق مع الصورة المثالية التي امتلكها عن نفسي · وفي الواقع ، لا تتطابق هذه الصورة أبداً مع الحقيقة · وفي الغالب نرفض أن نشاهد حقيقتنا كما هي في واقعها ونسقط الصورة التي نرغب أن نكونها ·

ومن البداهة أن نعترف ونقر ببساطة كاملة بالدليل الذي يشير الى وجود هذه الآليات وهي تفعل وتنشط خلال صلاتنا كلها وخارج ظروف حياتنا اليومية كلها · فالصورة التي نكوّنها عن أنفسنا ماثلة فينا على نحو دائم وفاعلة بشدة ، وتتبعنا غالباً في أحلامنا · وحضورها الدائم في ذواتنا وفي الآخرين يشل كل امكانية لتشكيل علاقة أو ادراك حسي مباشر · وفي هذه المناسبة يكتب كريشنا مورتي :

« لو أننا ندقق في علاقات بعضنا مع بعض الفعلية ، ان كانت هذه الصلات ودية أو سطحية ، عميقة أو مؤقتة ، لوجدنا أن التجزئة والانقسام يسودان حياتنا ·

« فالمرأة أو الزوج ، والفتى أو الفتاة ، يرى كل واحد منهما طموحه الخاص ، وغاياته الفردية والأنانية ، لأنه محتجز في داخل قوقعته ·

« لذا ، تسهم هذه العوامل كلها في بناء أو رسم صورة للذات ، وبالتالي ، تنعدم العلاقة الحقة المباشرة · وبالفعل لا أعلم ان كنت ، أيها القارىء ، تعي بنية وطبيعة هذه الصورة التي يبنيها كل واحد منا حول نفسه وفي ذاته(١١) ·

ونحن بدورنا نتساءل : ما السبب الذي يدعو الصورة المكونة عن الذات الى تشكيل ستارة نفسية تشكل كل امكان لاقامة صلة مباشرة ، كلية وكاشفة ؟ وفي اجابة صريحة واضحة نقول : انها تشكل هذه الستارة لأنها

صدى ماض ضخم يعيقنا اللفظ الداخلي عن أن نتيقظ ونحن نصغي الى رسالة فذة فريدة تلهمنا في كل لحظة حاضـرة • وعوضاً عـن أن نكـون « جديدين في اللحظة الجديدة » فاننا ندنو من كل لحظـة حاضرة ونحـن نحتمي على نحو لا شعوري وراء قشرة الماضي السميكة • وتتشكل هذه القشرة في وقت واحد من الصور التي نكو ّنها عن أنفسنا ومن تلك الصور التي نشكلها عن الآخرين وعن الأشياء كلها •

ولو كنا نتصف بالتحمل لنمنح القليل من الانتباه الى ردود الأفعال والانعكاسات اللاارادية الحاصلة فينـا في اللحظة التي تتشكل الظـروف الأكثر بساطة وواقعية لوجودنا اليومي لتأكدنا من صحة ما هو معروض •

عندما يواجهنا جارنا أو صديقنا بموقف معين أو حديث عدائي ، أو ينظر الينا نظرة تحمل الاحتقار ، يخطر على بالنا سيل من الأسئلة • وأما هذه الأسئلة فانها ترتسم على لوحـة في عمق الصـورة التي نكو ّنها عـن أنفسنا • ولئن كنا نهتم كثيراً باقامة الانسجام في الألبسة التي نرتديهـا فلأننا ، نتيجة انشغال البال ، نقي ونوطد الصورة التي نشكلها عن أنفسنا أكثر مما نبالي بالرغبة البسيطة في الأناقة والجمال الطبيعي •

واذا ابتلينا بوضع حرج أو بضرر جسماني نسيء تقديره ، فاننـا نعمد الى قياس مدى دور الصورة التي نشكلهـا عن أنفسنا • وعنـدئذ ، نصبح عرضة لأسئلة كالتالي : « الام يشير هذا ، وما المغزى الذي يحملـه لي ؟ ••• » ماذا يتوجب علي أن أفكر ؟ ••• هل أجعل من نفسي انساناً مضحكاً ؟ » • وفي هذه الحال ، نُباغت بأننا نُسـقط ظروفاً فرضيـة في غضونها توجه الينا شخصيات خيالية النقد أو الاهانة •

وباختصار ، يتهيأ لنا جانبان للموضوع : جانب أول نقترب فيه مـن الآخرين ونفهمهم من خلال الصورة التي نشـكلها عنهم في الوقت الـذي يتعارض سياق حفظ الذات مع صورتنا الخاصـة ومع صورتنا عنهـم ؛ وجانب آخر ، يقترب الآخرون منا ويفهموننـا من خلال صورة تكونـت لديهم عن ذواتنا في الوقت الذي يتعارض سـياق حفظ ذواتهم لصورتهـم الخاصة مع صورتهم عنا • وهكذا نستخلص أن العلاقات البشرية تتأثر بهذا الواقع الذي يقوم بين الصور المعدّة في عقل الكائنات ، على الرغم من أنها لم تتلامس على نحو مباشر حقيقي • ولا شك ، ان كل واحد يحمل في ذاته أكثر من قناع •

والحقيقة ، كما تبدو لنا ، هي ان اتخـاذ الأقنعة يتطلب جهـوداً أو توترات عقلية • وبناء على هذا الواقع ، لا نرى أنفسنا في وضع يسمح لنا أبداً بتحقيق رصانة ووضوح الصمت الداخلي • وعلى نحو دائم نسمع في داخلنا صدى الضجيج العقلي الناتج عن اختلاف الصور والأقنعة • أما امتلاء وسعة اليقظة الطبيعية والكلية التي هي » انتباهنا ويقظتنا » فانه يكمن في صمت داخلي •

ويضفي كريشنا مورتي أهمية كبرى على تحقيق هذا الصمت وهذه الكيفية لليقظة الداخلية والانتباه • واننا نتساءل ان كان تحررنا مـن الفعل الشال الناتج عن الصورة الثابتة والمثابرة للذات ممكناً ؟ ولا يتوانى كريشنا مورتي عن طرح مثل هذا السؤال فيضعه بهذه الصيغة : هل يمكننا التطلع الى الشجرة بمعزل عن صورتها ، أي دون أن نشكل صورة عنها ؟

يبدو هذا السؤال ، بمجمله ، بسيطاً ؛ لكنه يزداد تعقيداً ان كنت أتطلع الى ذاتي خارج كل صورة • **فأنا ممتلىء بالصور (•••) وان لـم تكن الصور موجـودة ، فما تعنـي « الرؤيـة » ؟ (•••) ليس ثمة عـلى الاطلاق ما يمكننا رؤيته ؛ ومن هذا الزعم يتولد خوفنا، أي نخاف أن نرى• ونكرر هذا القول بأسلوب آخر : لست على الاطلاق شيئاً • والواقع هـو أننا عاجزون عن رؤية الشيء أمامنا أو مواجهته وجهاً لوجه ؛ ومن هـذا السبب تتولد هذه الصور التي نشكلها عن ذواتنا(١٢) » •**

تعد العبارة الأخيرة المذكورة على غاية كبرى من الأهمية • وبالتأكيد يتعرض الكثيرون للخداع في اللحظة التي يتم فيها وصف المظاهر بحيث أنه يتضمن واحداً من مفاتيح السعادة الحقة • وفي العبارة « من هذا السبب تتولد هذه الصور التي نشكلها عن ذواتنا » يستدعي كريشنا مورتي سياق الدفاع الذاتي الذي يتمتع به « الانسان العتيق » أو شبكة الذاكرات التي ، بسببها ، اعتدنا أن نعتبرها وجودات حقيقية ونختبرها باحساس مـن الرسوخ النفسي والتواصل •

وعلى الرغم منا تظهر الصور التي نشكلهـا عن أنفسنا • ويشـير الواقع الى أنها تحصل من ستراتيجية تنبثق من أعماق اللاشعور الذي يهدف الى اغراقنا في بحر الجهل الذي تتميز به الصفة الوهمية لذاتنـا • وان هذا النوع من رد الفعل والانعكاس اللاارادي يتطلب دفاعاً ذاتياً لذاكرات ماض ضخم ضد مقتضيات حقيقة حاضرة على نحو دائم وجديدة • وبالمثل،

تقتضي هذه الحقيقة القضاء على سلطان الماضي لكي تهيئنا بالجاهزية التي تتقبل ثروات الحاضر الابداعية الخالقة ·

ومع ذلك ، نذكّر أن مجرد الشعور بوعي سيرورة يولد الصور على نحو دائم ، لا يكفي لتحريره · والأمر كلـه يتوقف على نوعية الانتبـاه واليقظة الكامنين في هذا الشعور بالوعي · وان تحقيق النوعية أو الكيفية التي يتم فيها الانتباه الصحيح يكون أكثـر بساطة وأكثـر صعوبة ممـا نفترض · وبالتأكيد ، يتجدد انتباهنا في البدء في تحليل هذه الصـور ، ويتوجب عليه أن يدقق بوضوح بالاشراطات المتضمنـة في كل سياق مـن سياقـات التحليـل ·

يعتقد كريشنا مورتي أن اليقظة الحقة غريبة وعصية على التحليل · فالتحليل ، في رأيه ، يتضمن سياقاً من الرجوع الى قيم تم تأسيسها مسبقاً ، كما يتضمن الاختيار ، المقارنة ، وتنظيم القضايا في مقولات · وفي هـذا التضمن والتنظيم نرتمي من جديد في الحلقة المفرغـة لسيرورة الذاكـرة المولدة المركزية للصور التي نأمل الخلاص والتحرر منها · **واذا كان الأمر كذلك ، فان الحل يكمن في تحقيق كيفية أو نوعية يقظة جديدة بكاملهـا يحدث فيها التجرد من آليات أحكـام قيمنا السابقة الماضية ، واختياراتنا ، وأفضلياتنا ، ونفوراتنا واشمئزازاتنا ·** ويلخص كريشنا مورتي فكرتـه هذه في تصريحه التالي :

« هل يمكنني أن أراقب ، خلال حياتي اليومية ، زوجي ، ولـدي ، وكل ما يحيط بي دون أن يعترض هذه المراقبة ظل صورة ؟ ولذا ، أراني أقول : اكتشفوا أنفسكم · وأضيف قائلا : الصمت ينشأ من هذه اليقظـة · وهذه اليقظة تجسد الصمت ذاته · فهي ليست حصيلة ممارسات وتمارين مكررة تعود الى الذاكرة ذاتها(١٣) » ·

نتبين مرة أخرى أن المستوى الروحي فوق العقلي يكشف عن سيرورة من السيرورات الأساسية للتحول الداخلي · ويتضمن هذا التحول في تحرر من آليات العبارات وخلق صور في نظام ووضوح · ولا يخفي علينـا أن تحقيقاً من هذا النوع لا يمكن حصوله دون شعور بالوعي سابق على وجود هذه الصور في كل واحد منا ·

أما المؤلفون الآخرون فانهـم ينكرون حدود صورة النفس ويعبّـرون

عنها بمعنى مواز • فقد علق ألفونس دو شاتوبريان على الدور المشؤوم الذي تقوم به الصورة والصفة الوهمية للشخصية • وكتب بهذا الخصوص:

« انني أتطلع من حولي ، فأشاهد أنواعاً من الصور والأشكال ، وزواحف كريهة ، وآلاف رؤوس الأصنام وقد رسمت على الجدران • ويقف عدد كبير من القدامى الذين ينتمون الى بني اسرائيل أمام هذه الأصنام يبخرونها بمبخرة تتصاعد منها هجمة كثيفة من البخور • « يا ابن الانسان ، انظر ما يمارسه في الظلمات جميع القدامى من بني اسرائيل ؛ فكل واحد منهم يعتمد على صورة أو خزانة ذاكراته ويقول : « الأبدي السرمدي لا يرانا ؛ الأبدي تخلى عن البلاد » •

« فيا صديقي ! ماذا يفعل كل واحد في خزانة صوره ؟ وأعني ، في روحه الخاصة ، تحت السور أو الحرم في خبايا شخصيته • ان ما يفعله كل شخص ، يكشف عنه الاله الى ابن الانسان المميز المحترم الذي يريد أن يعلم : انه يرسم على جدران زنزانته ، وغرفته الخاصة ـ هذه الزنزانة التي يحتجز في داخلها كل شخص ـ صوراً ، رسوماً وأشكالا •

« تلكم هي الأمثال كلها التي نثقل حياتنا بها ، ولا نعرفها لأننا نجهل بأننا محتجزون ومسجونون ••• وان كل ما يتراءى لنا بأنه أفكار ، انتقاها ذكاؤنا ، ليس الا رسوماً خاطئة ، كريهة منفرة أو غريبة غير مألوفة رسمتها انفعالاتنا وجلهنا على الجدران •

« وبأسلوب آخر نقول : لا ينظر الناس الا الى الصور التي أنشأتها انفعالاتهم في ذواتهم ، في هذا النوع من الابداع الخاطىء الذي يدعونه فرديتهم(١٤) » •

- ١٢ -

كريشنا مورتي والتحول الروحي

تسمح الدراسة التي تشير الى وجود بعض الفروق بين تعليم كريشنا مورتي من جهة وموقف يونغ ، وبخاصة كما تفهمه غالبية علماء التحليل النفسي ، من جهة أخرى ، بتحديد دقيق للمعنى الذي يقصده كريشنا مورتي بكلمة « تحول » • ففي الوقت الذي لا يتجاوز يونغ وغالبية علماء التحليل النفسي حدود الذات ، يتصور كريشنا مورتي ، على غير ذلك ، امكان بلوغ تحول روحي بعد تحقيق هذا التجاوز • ففي رأيه ان **هذا التحول الروحي يتوضع في نظام طبيعي • زد على ذلك ، ليس هذا التحول شيئاً آخر سوى اجلال الطبيعة الجوهرية للكائنات والأشياء •** ومن جهة أخرى ، يوافق دافيد بوهم على المعنى الذي ضمنه كريشنا مورتي **في الطبيعة الجوهرية ، ويحددها بدقة بأنها كل يشتمل ، فيما يشتمل ، على الطاقات الفيزيائية وكذلك الطاقات التي نعتبرها نفسية وروحية •**

وعلى الرغم من أن يونغ وغالبية المحللين النفسيين ، يسعون الى اقامة انسجام في « الذات » والى تكيفها مع المجتمع ، والى خلاصها من التوترات المتناقضة ، لكنهم يحافظون على بقائها • ومع ذلك ، لا يمكننا أن ننكر الفائدة القائمة في هذا السياق الذي يتم فيه الانسجام طالما انه يطبق في حال المصابين بالعصاب • لكن الأمر بدأ يختلف بعد النصف الثاني من القرن العشرين • فقد أصبح التحليل النفسي أمراً مطابقاً لذوق العصر ، وأخذ أشخاص كثيرون يتلقون العلاج النفسي على الرغم من أنهم ليسوا في حاجة الى مثل هذا العلاج •

ويسمي كريشنا مورتي السياق المتبع في هذا العلاج « سياق التواصل المعدل » • ويجذب انتباهنا الى أن الذات ، في واقعها ، معدلة وأن التواصل الأساسي لشعورها المشروط يظل سليماً على الرغم من التحولات والتبدلات

المختلفة التي تجتازها • لذا ، **يقترح كريشنا مورتي بديلا لهذا « التواصل المعدل » يتمثل في تحقيق تبـدل اجمـالي كلي يدعوه « التحـول »** • ففي المحاضرة التي ألقاها في الهنـد ، عام ١٩٦٥ ، أكد كريشـنا مورتي على **ضرورة هذا التحول النفسي والروحي مقابل الفوضى والتشوش والعنف الذي يسود العالم** • يقول كريشنا مورتي :

« القسم الأكبر من الدماغ حيواني يعبر عن ذاته بالجشع ، الشراهة، الطموح ، الحسد ، الغيرة ، والعنف • ونحن نحيا في وسط هذا التشوش والفوضى ، كما نحيا هذا التناقض ، الأمر الذي جعل الروح الانسانيـة تبدو غير قادرة على تحويلـه وتحسينه من أجـل تحقيـق تبدل وتحـول في ذاتهـــا •

« ولا نقصد هنا أننا نتحدث عن تغيير • وان ما نعنيه حقا فهو أمر يختلف كل الاختلاف • اننا نتحدث عن تحول كامل ، وعن ثورة كلية شاملة• ويستحيل أن يحصل هذا التحول ما لم تكن الروح خالية من كل فكر »(١٥) •

تضمن هذه العبارة الأخيرة تحقيق حالة من الشعور الطبيعي منعتق من الاشراطات الناتجة عن الوظيفية العقلية التي نألفها والمتمثلة ، كما نذكر ، بالآلية ، والاعتياد ، والتكرار والتواصل على نحو خاص • لذا ، يتمثل جوهر التبدل الذي يقترحه كريشنا مورتي في انقطاع تواصل الشـعور الذي يحتجزنا • ونحن لا نبالغ اذا قلنا أن الجنس البشري ، في غالبيتـه العظمى ، سجين ملزمة أي مقشطة تواصل الشـعور • ولما كان الانسـان لا يرتاب بوجوده فمن الطبيعي أن لا يشغل أحد باله فيه ، وبالتالي يجسد مصدر همومنا • لذلك ، لا نستغرب أن يسهم هـذا الجهل وبطء الفهـم والخمول والقصور الذاتي في تشكيل حالة من نعاس أو حلم ، نكون فيـه مستيقظـين نصف يقظة ، يتحـول الى رؤيـة كابوس • وقـد استطـاع جرار تيري أن يعبر عن الاشراطات المتضمنة في التوحد مع الزمان ، والدوام والتواصل تعبيراً رائعاً في العبارات التالية(١٦) :

« نحن نعلم أن المعرفة هي التعرف ، أي التذكر ؛ وهذا بدوره يعني وصل واقعة جديدة بذكرى أو تذكـار • وما المعرفـة التي تعد البنـى والتاليفات الا تصوراً في الديمومة والبقـاء • أما الواقع فيشـير الى أن لا شيء يدوم سوى التواني والعطالة ، وان العمل آني •

« والعناصر التي تشكل شخصية الفرد تسوّغ ذاتها أيضـاً في الدوام

بالأشكال التالية : رغبة في النجاح والفلاح ، الشخصيات المختلفة ، الخيلاء ، العبث ، والزهو • لذا ، كانت الكلمة والمعاناة تتوافق مع فكرة التواصل • ومن وجهة النظر هذه تعد التعابير التالية « استرداد الزمان المفقود » و « قتل الوقت » عبارات مطابقة وتعريفية • ولقد خاطب كريشنا مورتي الناس وأنذرهم في التنبيه الشهير التالي :

« حضرت الى العالم على هيئة الزمان ، صورة الزمان ، مبدد الشعوب •
وهاءنذا متأهب للساعة التي تنضج بسقوطهم » •
غير أن جوهر الزمان يمكث في الحاضر • الساعة حاضرة •

وحقيقة الأمر هي أننا لم ننقطع عن التوكيد على أهمية الاشراط الذي يفرضه على الروح كل من التواصل والذاكرات ، كما واننا قد خصصنا دراسات تفصيلية لهذه المسألة(١٧) •

وعلى سبيل الذكر نقول ان التعاليم التي تمثل درجات السرية العليا في عقائد بوذية زن وشان الوعرة ، والحديثة منها المتصلة بالعلوم الفيزيائية المتطورة التي يمثلها فريتجوف كابرا ودافيد بوهم ، تتقارب وتلتقي على نحو كامل في هذا المجال •

أما الخفق أو النبض المبدع الذي نتذكر فيه على نحو دائم الأهمية الأساسية على المستوى الجوهري والأقصى للكون فانه يختلف كل الاختلاف عن كل تواصل •

ولقد أقامت مؤلفات العديد من الفيزيائيين الرائعين أمثال بوهم ، بريبرام ، ويغنر ، وبروس الدليل على وجود علاقات صحيحة بين حالات الشعور والميكانيك الكوانتي والجوهر الأساسي للمادة • واذا كان الأمر كذلك ، فان صلات حميمة تقوم بين اللاتواصل الكوانتي وما تحت الكوانتي ولا تواصل الشعور •

هكذا يمكننا أن نقول ان حالات الخلاء الفاصل بين الخلايا الحية ــ بين الأفكار ــ تتمتع بقيمة استثنائية نادرة • وعلى هذا الأساس أشارت الحكمة الهندوسية والتيبتية والصينية القديمة الى امكان الكشف الروحي•

ولا يفتأ كريشنا مورتي يذكرنا بالأهمية الكشفية أو الرؤوية التي

تمتاز بها حالات الخلاء الفاصل · ويبرهن لنا كيف يكون نفوذ الذاكــرة وعملها المقوي والمنشط في تواصل الماضي عقبة لغنى حالة الخلاء الفاصل · ويحدثنا كريشنا مورتي بهذا الخصوص بالكلمات التالية :

« الذاكرة عقبة في سبيل فهم ما هو « كائن » · ألم تتبين كيف أن الفكرة الجديدة ، والشعور الجديد لا ينبثقان الا متى أفلتت الروح من شبكة أو شرك الذاكرة ؟ ولما كان هنالك خــلاء فاصل بين فكرتين ، خــلاء يمكننا صيانته والحفاظ عليه ، فان حالــة جديدة تنتــج ، لكنها لا تـعــد حصيلــة الذاكــرة ·

« وفي هذا الخلاء الفاصل أو التوقف ــ الذي ليس هو حصيلة الذاكرة ــ تكمن حرية خارقة بالنسبة « للأنا » و « مــا يخصني » ، بحيث ان هــذا الخلاء الفاصل يتميز بلا زمنيته وأبديته(١٨) » ·

يتيح هذا الخلاء الفاصل فرصة تحقيق التحول · وهكذا نعلــم أن هذا التحول لا يمت الى الأنا أو الذات بصلة ، كما وأنه ليس نتاجاً لهمــا · ففي حالة الخلاء الفاصل يوجد ، من وجهة النظر النفسية ، ما هو أكثــر من الذات والأنــا ·

وكما يعبر كل مــن كريشــنا مورتي في محــاورات بروكــوود ، ايلول ١٩٨٠ ودافيد بوهم(١٩) ، يُعد هذا التحول التعبير المباشر للجوهر الأساسي ذاته · وفي الواقع ، يعد التحول ، في نظر كريشنا مورتي ، حالــة من حالات الابداع · وفي رأينا أن أحداً من الناس لم يتمكن من توضيــح شدة وجلاء حالة الابداع على نحو أفضل من توضيح كارلو سواريز · كتب سوارين موضحاً :

« نتصور انساناً مجرداً من هذه الصقالة أو التكديس الكموني للأنا · والحق نقول ان هذا الانسان يهتدي الى حالة مستمرة دائمــة من الولادة الواعية ، حالة لدنة قابلة للتشكل ، حالــة لينة يتصف بها الكائــن الذي يدرك حضور الآن ، حالة لا تخنقها أو تضيق عليها رسوبات الزمان المتبلورة في كل لحظة ، حالة هي رجع ديناميكي لكل آن أي كل حضور من حضوراته · وفي هذه الحال ، تبدع شخصية الفرد ، وتكون المنحنى الفريد لردود أفعاله التي تنسجم من الآن فصاعداً ، انسجاماً تاماً مع الحاضر ، بحيث أنها لا تبقى في حقيقة الأمر ، ردود أفعال وانعكاســات لا ارادية بل تكون تعبــيرات

دقيقة ولا فردية للحياة الابداعية في نقطة واحدة • ويكون الفرد ، في كل آن من هذه الأنات ، نهاية أو اكمالا لماضيه ، لماضي الذرية كلها ، والأزمنة كلها ، والأكوان كلها • وعندئذ يكون الفرد غائباً عن ذاته وحاضراً في العالم ، كما يكون على اتصال مع الأشياء بحيث أنه يتبين بيقين القيمة الحقة ، والجوهر ، والأسماء التي تحملها بالنسبة للأبدية • ولكنه سيصبح لا منظوراً لنفسه ، أي أنه لا يقدر أن يرى ذاته ، وبالتالي يعجز عن أن يحدد أو يُحل في مكان في الكون ذوات أو كيانات تقول «أنا هو أنا ••»(٢٠).

يؤيد هذا التوضيح الرائع الذي أتى به كارلو سواريز تعاليم معلمي الحكمة السرية السامية المدعوة « الطريق الوعر » وكشوف أو تجليات أو الهامات علماء الفيزياء الكبار الذين يقفون الآن على عتبة الألف الثالثة •

ولقد بسط دافيد بوهم أثناء محادثته في مؤتمر كوردو عام ١٩٧٩ نظريته التي تبين أن **العالم الخارجي ، بالاضافة الى تعدد مظاهره ، مشيد على عالم داخلي أوحد ، ويستمد منه وجوده وجوهر مادته**(٢١) •

تحتل هذه الحقيقة الأساسية مكان الأولوية في علاقتها بالظاهرات العديدة للعالم الخارجي الذي نألفه • وفي الواقع ، تتوافق هذه الحقيقة ـ الواحدة التي استشفها الفيزيائيون الكبار ، والتي حاول دافيد بوهم تفسير عملها من خلال اصطلاحه « النظام أو النسق المنطوي أو المتضمن » مع ما تعنيه جمهرة الناس بكلمة الله •

أما فريتجوف كابرا فقد استطاع أن يوضح في كتابه «طريق الفيزياء» الذي ذكرناه مراراً ، الأهمية الكبرى لوجود خفق أو نبض ابداعي خالق يعد أساساً جوهرياً للكون • ويؤكد المؤلف أن فيزيائيين آخرين ، أمثال ك• فورد ، يتبصرون بدقة ويأخذون بعين الاعتبار الدور الأصلي لهذا « الرقص » الدائم الذي تنجزه الجزيئات الجوهرية للمادة(٢٢) • ويصرح ك• فورد : « يتم كل بروتون ، بين الفينة والفينة ، هذا الرقص الذي يتحقق فيه الخلق والتدمير » •

ويصور لنا كابرا في هذا الخصوص المغزى العميق المتضمن في رمز هو من أكثر الرموز شهرة في الهند القديمة هو رقص شيفا • ويصرح قائلا : « دلت النتائج التي بلغتها الفيزياء الحديثة أن التواتر أو التكرار النظامي والايقاع والحركة هي خصائص جوهرية للمادة وان كل مادة ، مهما كانت،

على هـذه الأرض أو في الحيّز تشـارك عـلى نحو متتابـع في الرقص الكـونـي(٢٣) » ٠

تلكم هي القواعد التي اعتمدتها العقيدة القديمة « للبصيرة الصافية » في الهند القديمة التي اقتبست تعاليمها في وقت لاحق الحكمة التيبتية بشكل عام ومدرسة الصراط المستقيم الأسمى بشكل خاص ٠ وقد عملت صديقتنا ونصيرتنا ، الكسندار دافيد ـ نيل المتوفاة ، أن تنقل الينا مقطعاً اقتطفته، أثناء محادثاتها مع لا ما من التيبت خلال اقامتها الطويلة في تلك البلاد(٢٤) ٠ كتبت الكسندار دافيد ـ نيل :

« الأشياء كلها هي تراكمات أو مجموعات جواهر ترقص وتصدر ، بحركاتها ، أنغاماً ٠ ولما كان الايقاع الصادر عن الرقص يتنوع ، فـان النغم الحاصل يتبدل أيضاً ٠ وهكذا ينشد كل جوهر على نحو دائم أنشودته بحيث أن النغم يخلق ، في كل لحظة ، أشكالا ثقيلة أو دقيقة » ٠

واستطاعت أنواع عديدة من عقيدة اليوغا ، مثل الشامانيـة ، أن تـُعد ، خلال العصور ، مناهج ، كما بذلت جهداً لكي تعثر من جديد على أصداء النغم البدئي الأصلي الذي يرن ويُسمع صداه على نحو دائم في قلب الكائنات والأشياء ٠ وقد استشف بعض هذه المناهج امكان تكامـل وتوحد في النغم ذاته بوصفه الكلمة الخالقة التي هي الحركة اللازمنية لفعل الخلـق ذاتـه ٠

يعلن كابرا بهذا الشأن(٢٥) : « وفقاً للنظرية الكوانتية للمجالات ، ينشد كل جزيء أنشودته الدائمة » وتنتج أنسقة أو أنظمة ايقاعية مـن الطاقات ـ الجزيئات الافتراضية ـ ضمن أشكال ثقيلة أو دقيقة (٠٠٠) ووفقاً للاعتقاد الهندوسي ، تشارك كل حياة في سياق ضخم ايقاعي للخلق والتهديم ، للموت والتجديد ، بحيث ان رقص شيفا يرمز الى هذا الايقاع الأبدي « الحياة ـ الموت » الذي يمتد عبر أدوار لامنتهية » (٠٠٠) ولقد بينت لنا الفيزياء الحديثة أن كل جزيء كوانتي لا ينجز رقصاً من الطاقـة فحسب ، بل « يكون » ذلك الرقص ذاته ، الذي هو خفق أو نبض خلـق وتهـديـم » ٠

وأخيراً ، لا نرى ضرورة للتشديد على فكرة التكاملية التامة بـين الأفكار التي وضحناها بشكل وجيز وتعليـم كريشنا مورتـي ٠ فليس التحول الروحي الذي يدعونا الى تحقيقه في أنفسنا سوى فعل ابداع يكون

تهديم سلطان الماضي واعتياداته واشراطاته النفسية فداء له ٠ وفي الواقع ، يعد التحول الروحي التجلي الطبيعي على المستوى الانساني للسـيرورة الكونية للخلق ــ التهديم الذي يشكل الجوهر الفائق للكائنات والأشياء ٠ وكذلك ، لا نرى ضـرورة توضيح ان هـذا السـياق لا يضمـر شـيئاً من النفي لكنه ، على غير ذلك ، يسمح بتألق امتلاء وكمال الحياة من حيث أنها تمتلك القدرة الخالقة والتلقائية الذاتية ٠

- ١٣ -

كريشنامورتي وموضوع القدسيّة

يتخيل كثيرون من الناس أن تعليم كريشنا مورتي يحفل بالالحاد · ونحن نقول لهم مباشرة بأنهم مخطئون · لذا ، لا يمكننا تصنيف تعليم كريشنا مورتي في المقولات التقليدية لمفهوم الالحاد أو المذهب التأليهي · ولما كانت التصورات التشخيصية والخرافات أو المعتقدات الباطلة اللامعقولة قد شوهت كلمة « الله » وجعلتها سُخرة ، فان كريشنا مورتي يفضل أن لا يستعملها ·

وفي رأي الكثيرين ، ينشأ غموض أو لبس معين بين كلمة الله والحقيقة التي تحاول هذه الكلمة التعبير عنها · وكما يقترح علينا كورزبسكي في « علم الدلالة العام »(٢٦) ، الذي لا ينقطع عن جذب انتباهنا الى واقع أن « **الكلمة ليست هي الشيء** » تماماً كما أن « الخريطة ليست هي الاقليم ».

وعلى الرغم من أن غالبية الكائنات البشرية يمنحون موافقتهم العقلية لحقيقة بسيطة وجلية في آن واحد ، لكن الكلمات تحتفظ بأثر حاسم كبير · وهي محملة بقوة كامنة نفسية هامة قادرة على تحريض ردود أفعال انفعالية وعقلية تفلت منا أهميتها وسعتها · وعلى هذا الأساس ، يتفق جميع الناس على أن كلمة الله لا تمثل الله كما ان كلمة الحب لا تمثل الحب · والحال ، ان هذه الكلمات هي حاملات شحنة نفسية على غاية من الأهمية · وفي الواقع ، ومن وجهة النظر العملية ، تعد سعة وأهمية خلل هذه الشحنة في النفسانية الى درجة ان ترداد كلمتي الله والحب دون فهمهما يخلّف فينا انطباعاً لتجربة تقترب على نحو حقيقي من كلمتي الله والحب·

ذلك هو الخطأ الذي يود كريشنا مورتي تجنبه · ويعتقد أن هذا لانخداع واسع الانتشار ، وينتج عن غفلتنا واهمالنا ، ومن لا مبالاتنا

ازاء القيم الملازمة لحياتنا الروحية والنفسية • فقد أسلمنا العالم الحديث، والحضارة المزعومة المتعاظمة بتقنيتها والمبالغة بعقلانيتها ، وثقافتنا الى نقطة سطحية لا تساعدنا في الغالب على الاهتمام بمعرفة أنفسنا • ولهذه الأسباب يصر كريشنا مورتي باستمرار على أهمية معرفة النفس وعلى الضرورة التي تقضي بتأسيس مزيد من النظام والوضوح على مستوى حياتنا الداخلية •

يشير واقع الحال الى أن تعليم كريشنا مورتي لا يستدعي الوضع البائس الذي تعاني منه الكائنات البشرية الذين سجنوا أنفسهم في نشاطاتهم ، وأنانياتهم ، وأنواع عنفهم ، ومطالباتهم وادعاءاتهم ، وخرافاتهم ، بل أنه يلمح الى **وجود حقيقة غير مشروطة ، لا زمنية ، ابداعية ، كائنة بذاتها • وليست هذه الحقيقة اللا مشروطة الا الذكاء أو الوعي الحقيقي** • وتتطابق هذه الحقيقة مع ما تعنيه غالبية الكائنات **البشرية بكلمة الله : الاله المجرد من كل تشبيه أو تشخيص بشري ، ومطلق من أفكارنا التي تهدف الى « مقاصد » تسعى الى بلوغها ، ومنعتق من « الابتداء » ، من « الخطة » أو « المشروع » ، من « الثواب » أو «العقاب»، من « الخلاص » أو من « التكفير » ومن الآثام الخ •**

وفي سبيل تعيين هذه الحقيقة ، يفضل كريشنا مورتي استعمال المصطلحات التالية : اللامعلوم ، اللازمني ، السرمدي ، اللانهائي • ولكي نحدد بدقة ان هذه الحقيقة هي « آخر أو غير » يتجاوز كلياً كل ما نحن قادرون على تصوره ، يعمد كريشنا مورتي الى اقتباس كلمة « الغيرية » • ويمكننا ترجمة هذا الاصطلاح ب « الآخر مقابل الأنا »(٢٧) •

هكذا نرى أن وجهة نظر كريشنا مورتي ازاء معضلة الله وثيقة الصلة بوجهة النظر الطاوية والبوذية • فلقد صرح لاوتسو ، الحكيم الصيني ، بهذا الخصوص : « من يتحدث عنه لا يعرفه •• ومن يعرفه لا يتحدث عنه » •

واذا تساءلنا عن موقف الفيزياء الحديثة المتقدمة من معضلة الله أجبنا : انها تقدم لنا فكرة مفارقة لكنها تصلح لأن تداني فكرة كريشنا مورتي بالنسبة لمعضلة الله حتى ولو لم تكن هنالك فكرة واحدة ، أو صورة واحدة، أو صياغة واحدة تلائم القضية • ففي نظر دافيد بوهم، الفيزيائي اللامع الذي يتفق مع كريشنا مورتي ، **ان الحقيقة الجوهرية للكون هي**

حقل وعي دائم الابداع والخلق • ويصف دافيد بوهم هذا الابداع الدائم فيشبهه بنهر ضخم دائم التكون والتفتح ، يشتمل في ذاته على معالم الطاقة المنظورة وغير المنظــورة ، المتجلية والخفيـــة • وفي صدر هذا الدفــق أو السيلان توجد دوامات صغيرة احتياطية مؤقتة ، موهوبة باستقلال أو حكم ذاتي ظاهري ووقتي • لذا ، كان كل كائن بشري ، كل شيء ، كل جبل ، كل نجم « لحظــات » تتلاشى وتفنى في صـــدر هــذه الضخامة الكونيــة اللازمنيــة •

ثمة كلمة نسوقها وهي أننا نعتذر من القارىء لأننا نستعيد ونشرح ونعلق على هذه الصورة الأساسية والايحائية في استرجاعات كثيرة • ففي المنظور الحديث الذي بسطه الفيزيائيــون الطليعيون ، يؤلف هذا النهـــر الضخم المتميز بخفقابداعي دائم ليس هو الحقيقة ـ الواحدةللكون فحسب، بل يحتل مركز الصدارة الأصلية • لذا ، كان الكل ، كل موضوع أو شيء ، حياً كان أم لا حياً ، انطلاقا من حبة القمح ، والحصاة الى الزهرة والكائن البشري : هذا الكل لا ينضوي تحت الحقيقة الجوهرية الشاملة ويشتــق منها بل « يكون » هذه الحقيقة الكلية •

وما يجدر ذكره هو أننا نتحمل مسؤولية كاملة اذ نعين هذه الحقيقة بوصفها « المبدأ الالهي » ، على غير ما أتي به كريشنا مورتي ودافيد بوهم ، بشكل خاص ، اللذين يتحاشان استعمال هذا الاصطلاح للأسباب التـــي بسطناها في عرضنا السابق •

وفي الواقع ، يمثل الانسان الألوهة لسبب هو ان هذه الألوهة تكمن في جوهر الأشياء كلها ، الكائنات كلها ، وذلك على مستوى يتجاوز عــلى نحو لا نهائي التمييزات التي أقمناها على نحو عام بين الموضوعات المادية الحية واللا حية ، بين الكائنات الحية وهي في ملء تفتحها وتالقها والأجسام الصلبة التي تعود للأحياء القدامى التي فعل فيها الموت مهمته ، بين الأشياء التي نصفها بالجمال وتلك التي ننعتها بالقبح • وهكذا تكون الألوهة •• انما النقيصة الحاصلة عن قيام فكرنا بوظيفته والجهل التام يولدانمجموعة من القيم الباطلة ، الأمر الذي يجعلنا نغمر أنفسنا في كابوس التقمصات النفسية أي التماثلات الوهمية المولدة للآلام •

أخيراً ، وبناء على ما تقدم ، نبلغ اللحظة التي تمكننا من الاستشهاد، دون أن نخلق أي نوع من أنواع سوء الفهم ، بتصريح أدلى به كريشـــنا مورتي عام ١٩٢٨ يتعلق بقضية الله : « لا اله آخر الا الانسان النقي » •

والحقيقة هي أن تأمل هذه العبارة يقودنا الى ملاحظة أن كريشنا مورتي لم يستخدم تعبيراً شبيهاً بالتالي « ليس من اله آخر سوى الاله الكامن في الانسان النقي الطاهر » • لذا ، كان قولنا « الانسان هو الله » تعبيراً تتأكد لا معقوليته ومحاله • لكن تصريحنا « لا اله آخر الا الانسان النقي الطاهر » يتضمن مغزى مختلفاً كل الاختلاف • ويتضح هذا المغزى لدى ادراكنا أن الانسان النقي الطاهر كائن منعتق كل الانعتاق من وهم الذات• وعلى هذا الأساس ، لا ينظر الى نفسه بوصفه كياناً متميزاً ، منفصلا • وان كل ما يفعله يشير الى أنه يتخلص من سلطان الشبكة الضخمة للذاكرات التي شكلت مقاومات لا شعوره وعارضت خلاصه وتحرره الداخلي • **اذن ، فالانسان الطاهر النقي انسان « ماتت ذاته » ، ماتت أنواع جشعه ، ماتت تعلقاته،وتماثلاته** • انه معصوم عن كل أشكال الأنانية،وخالص من كل نقيصة تنتج من الفعل العقلي • وحياته الباطنية تتألف من شفافية ومن تهيئة أو قابلية لما هو جوهري • واذا كان الأمر كذلك ، فحري بنا أن لا نتهم انساناً ، تلك هي مزاياه ، بالغطرسة والخيلاء •

ان شرحنا هذا ، وتعليقنا على ما ورد ، يجد دعامته في نص كتبه كريشنا مورتي يؤهلنا أن ندرك ، دون أن يجتاحنا ارتياب ، أن **اللحظة التي يتجرد فيها الكائن البشري من القيم الزائفة الناشئة عن نقيصة الفعل العقلي ، كفيلة أن تحرره من سراب التماثل والتطابق مع ذاته ، فيكتشف انه ، هو نفسه ، الجوهر الطاهر النقي الشامل والكوني الذي ندعوه الألوهة • ولكي نفي الموضوع حقه نقول :** يجدر بنا أن نصرح على نحو ملائم أن « الألوهة » تحتل من جديد مكان صدارتها وأسبقيتها ، هذه الأسبقية التي ، كما يفكر الكثيرون ، لم تغادر منزلة أولويتها أبداً • ومتى بلغنا هذه النقطة من الحديث أدركنا أن نقائص وعيوب اللغة من جانب ، واستحالة قياس الحقيقي أو استحالة التناظر معه من جانب آخر ، تنصب لنا أفخاخاً وخدعات على مستوى التعبير اللفظي • أما نص كريشنا مورتي الذي ألمعنا اليه فهو التالي :

« اذن ، الروح ذاته هو الخفي اللامعلوم ، هو الجديد ، الطاهر الذي لم يفسده أو يلوثه شيء ••• ومن ثم هو الحقيقي الذي لا يقبل الانحلال والفساد •

« ولما كان الروح متحرراً من ماضي الذاكرة ، من المعرفة ، فانه الخفي اللامعلوم • والحقيقة هي ان الموت لا يُدرك هذا الروح » •

هكذا ندرك أن العالم الخارجي ، بما في ذلك الكائنات الحية ، يشكل قسماً من الحقيقة · فالعالم والكائنات الحية تأبى أن تكون وهماً مطلقاً بالمعنى المألوف لمصطلح « مايا » الذي تنادي به الفلسفات الهندية ؛ والواقع هو أننا نشكل عن هذا العالم وعن أنفسنا أفكاراً وهمية · ويمكننا أن نقول ان كل شيء هو « الهي » ؛ ومع ذلك يمكننا أن نضيف ان ادراكاتنا الحسية تقدم لنا صوراً عن العالم وعن أنفسنا لا تتوافق مع الحقيقة العميقة · ومرد هذا الى ان ادراكاتنا الحسية « تطفو على السطح » ·

واذا عدنا الى الفيزياء نجد أنها توضح لنا ان النسبة الكبرى من الصفات والخصائص التي نميل الى أن نضفي عليها قيمة مطلقة ، مثل الصلابة ، والمقدار ، والكتلة ، والانطباعات الأولية الخ ظاهرات متداخلة ومتلاقية مشروطة بالأوضاع الخاصة المتعلقة بالملاحظين الذين يستعملون مقاييس ملاحظة مستقلة · ففي الوهلة الأولى ، يبدو الاثبات الذي ، ضمن حدوده ، نصرح أن حبة بسيطة من الرمل أو حصاة مبتذلة « الهية » في حقيقتها ، اثبات باطل وزائف كلياً · لكن الأمر يختلف وفق معطيات الفيزياء الحديثة · فقد ألقت هذه الفيزياء ضوءاً على وجهة النظر التي تبنتها المدارس السرية الرفيعة ، وبرهنت أن مثل هذه الاثبات كلام محال لا يستند الى حقيقة · وعلى غير ذلك ، أصبحنا ندرك ، في وقتنا الحاضر ، انه ما من شيء أو موضوع يحيا بمعزل أو في انفصال ، وان جميع الأشياء تنغمس أو تستحم ، ان كان تعبيرنا هذا يجد ما يبرره ، في جوهر شامل مشترك يكوّن الحقيقة الأكثر جوهرية ·

نجد في دفتر ملحوظات كريشنا مورتي وصفاً لما نعتبره « الألوهة » · في هذه المفكرة يطرح كريشنا مورتي صفات أو خصائص رسوخ مفارقة وظاهرية التناقض ، وكذلك وضعاً من الأسبقية المطلقة للجوهر الأوحد للأعماق في علاقته بالظاهرات المتعددة للعالم الخارجي · وبهذا الخصوص يصرح :

« من هذا الصمت الرحب ، هدأ الفكر وسكن على نحو مباغت ··· من هذا الصمت الواسع ، أقبل ما هو الآن الكيان الصلب الراسخ الذي لا ينضب · « ذلك » صلب راسخ ، لا وزن له ، لا قياس له ؛ «ذلك» موجود ، ولم يكن شيء الى جانبه · « ذلك » كائن دون وجود شيء آخر · الكلمات الصلبة ، الثابتة اللامتحركة ، الخالدة لا تتفق ، بأي شكل من الأشكال ، مع هذه الخاصية من الرسوخ والثبات اللازمني · وليس بمقدور

كلمة من هذه الكلمات أن تفيدنا بشيء عن « ذلك » الذي كان هنالك · « ذلك » هو نفسه بكليته ولا شيء آخر ؛ انه كلية الأشياء كلها ، الجوهر » ·

اذا عدنا الى المدارس السرية السامية نراها ، في غالب الأحيان ، تستحضر المعنى المتضمن في هذه الصلابة الروحية كما تستدعي أسبقية الجوهر اللازمني للأعماق في علاقته بظاهرات عالمنا التي لا تحصى · وما التعابير المجسدة في كلمات مثل « جسد بوذا » أو « جسد الحقيقة » في البوذية ، و « جسد المسيح » في المسيحية ، الا الأصداء المتأخرة للحكمة القديمة المفقودة · أما الصرح المخيف الذي شادته غالبية المدارس اللاهوتية وقوانينها المدونة الجامدة فقد أصابت بضربة قاضية القدرة على فهم هذه القيم بشموليتها وتسامحها وأنزلت بالولوج الى سريتها مصيبة كبرى · واننا لواجدون في قصيدة « الرؤية أو الروعة الالهية » التي كتبها نيرما ماينائدا الصدى الحي للحكمة القديمة(٢٩) :

أيتها الحياة الواسعة التي لا تحد تخومها !
أيتها الحياة الخالدة ، المتألقة ببهائها وسناها
انك ، من الآن فصاعداً ، جسدي الأوحد !

أنت مسكني الأوحد !
أنا الألق الخفي السري ، المُغفل ، المجهول ،
الذي يتألق في جوف الدياجير الخارجية
بضياء حقيقي سماوي ؛
اني أتجلى دائماً
وتتجلى معي جميع الأشياء ·

عند نهايات الشعاع الأبدي الذي أكونه !
والى ما وراء مملكة الظلال
حيث اللعبة الكونية الكبرى ،
أشاهد نفسي الممثل الوحيد
في جسد النار والضياء !
جسدي الأوحد !

ليس المعنى المتضمن في تكامل الفردي في الكوني في كل الأزمنة الا تلك الصورة التي تذكرنا بها الأشكال الأكثر تجريداً للسرية السامية · واننا نجد صدى مثيلا رائعاً في مؤلف وضعه جون بلوفلد(٣٠) ·

« يتجاوز الطاو النهائي واللانهائي معاً • ولما كان الطاو هـو الكـل في الكل وما من شيء يقع خارجاً عنه ، فأن الكائن الذي ينتهي باسقاط وهم الوجود المنفصل والمنفرد ، لن يفقد ذاته في الطاو مثلما تذوب قطرة الندى في البحر • وفي الوقت الذي يطرح عنه تحديداته الخيالية ، لن يعود خاضعاً للقياس ، ويصبح لا محدوداً •

« ومتى فك ارتباطه من مقولات هذا العالم الذي هو الجزء والكل ، يكتشف بأنه ممتد ومتسع مع الطاو • ومتى استغرق النهائي في اللانهائي ، بحيث لا يبقى غير واحد ، اتخذ النهائي ، دون أن يتعرض للانتقاص ، قامة أو قوام اللانهائي •

« أولئك الذين يعتمدون المنطق لا يصادقون على هذه الحقيقة ؛ أمـا الذين يدركون ويعاينون المغزى الخفي ، يضحكون من حجة معتمدي المنطق الفارغة وجدلهم ولعقيم • وهكذا ، يضعنا الادراك وجهاً لوجه مع السر الحقيقي الذي يقدره الحكماء الذين حققوا كمالهم ـ سرّ واسع ، لا يكاد يدرك • فالروح التي تعود الى الينبوع ، تصبح الينبوع • فلقد قُدر على الروح أن تصبـح الكـون » •

★ ★ ★

نرشد القراء الذين يهتمون اهتماماً خاصاً بموقف كريشنا مورتـي المتصل بوجود حقيقة يعتبرها البعض الهية الى قراءة دفتر ملحوظاته قراءة دقيقـة يقظـة •

ـ ١٤ ـ

الحركة الخالقة المبدعة ـ الحركة الكلية التلقائية ـ الميكانيكية

يشتمل التحول الروحي الذي يعد تعليم كريشنا مورتي كله تعبيراً أو تفسيراً له على تحقيق تبدل مباغت على مستوى الطاقات الروحية • وقد تساعدنا بعض الشروح والتعليقات المتصلة بمقولات متعددة للحركة القائمة في الكون على القاء ضوء على المعنى العميق لهذا التبدل • وان كانت هذه الحركة كلا لا ينقسم ، انما نتبين نوعيات متنوعة لها •

وفي سبيل تناول جلي بالصلات القائمة بين مقولات الحركة التي سنوضحها وبين تلك الصلات التي يستدعيها تعليم كريشنامورتي ، علينا أن نتذكر أن هذا التعليم لا يفتأ يشهِّر ويلغي اشراطات الاعتياد ، الآلية ، التي تعارض تلقائية « حركة الحياة » • ويتضح لنا ان السياقات الميكانيكية للاعتياد والتكرار تختلف عن سياقات الابداع والخلق ، والتلقائية ، ولازمنية اللاسببية •

ويعبر كل من هذه السياقات عن ذاته عن طريق مقولات الحركة بحيث يسمح التقدم الذي أحرزته العلوم الحديثة باظهار وعرض بعض المزايا المعينة •

ولما كنا نقف على عتبة الألف الثالثة ، فان الفيزياء تتيح لنا مجال استشفاف **ثلاثة أنواع من الحركة موجودة في الكون في آن واحد** • وتنتشر هذه الأنواع الثلاثة على ثلاثة مستويات مختلفة من الطاقة • ويجدر بنا أن نقول ان هذا التقسيم يرمي الى سهولة العرض رغم انه كيفي بشكل ما • ويمكننا أن نضيف ان هذه الكيفية تنتج من الوضع الذي يكون فيه المراقب وكذلك من المقياس المستعمل أثناء المراقبة • لذا نرى أن جميع الناس الذين يجدون أنفسهم في هذا الوضع يلتزمون باستعمال لغتهم الخاصة

والمعنى الذي يضمنونه في قيمهم لكي يبسطوا بوضوح صحة أو شرعية التحول الروحي • وفي حال توفر هذا الأمر نستطيع أن نوضح باختصار المزايا المعينة لأنواع الحركة الثلاثة •

أولا : **حركة التحويل أو النقل •**

تعد هذه الحركة المقولة التي نألفها أكثر من غيرها • والحق هو أن هذه الحركة تسوس وتنظم كلية الكون الخارجي : حركة النجوم ، حركة الطائرة ، حركة قطار ، حركة كرة المضرب ، حركة البليار ، الايماء أو الاشارة ، حركة السباق الخ • هذه هي مقولة الحركة التي يدرسها الميكانيك الكلاسيكي • ففي أثناء نقل أو تغيير متحرك من نقطة آ الى نقطة ب ، بمعدل سرعة ف ، لا يتحمل المتحرك أي تحول للطبيعة • لذا ، تظل كرة البليار كرة بليار •

ثانياً : **حركة تحول الطبيعة •**

تتكشف لنا ، ونحن نتوغل الى الأعماق القصوى للمادة ، سيرورات حركة تختلف كثيراً عن سابقتها • وما تعلمناه من الفيزياء هو ان النيوترونات والبروتونات التي تشكل النواة المركزية للأنظمة الجوهرية تكون ، في كل لحظة ، موضوع تحولات خارقة • وفي غضون هذه التحولات تصبح النيوترونات بروتونات ، وبالتبادل ، بمعدل مليار مليار من المرات في اللحظة عن طريق تواضع ، أي تبادل أمكنة الميزونات (Pi (Pions . وقد استشف العالم الياباني يوكاوا عام ١٩٣٥ هذا الاجراء على نحو فرضية • لكن هذه الفرضية أخذت تتحقق على نحو تجريبي منذ عام ١٩٤٧ •

واذا صح القول ، تتجمع الحركة على ذاتها وهي على المستوى الجوهري • ويقل انتشارها على نحو لا نهائي في المكان وهي تُكثف تواتراتها وايقاعاتها بطريقة لا تصدق • وتنتشر هذه الحركة في مكان يمثل واحداً على عشرة ملايين من قطر كرة بليار • وهكذا ، يوجد اختلاف أساسي بين مقولة هذه الحركة ومقولة حركة النقل أو التحويل التي نألفها• **ووفق مقياس ملاحظتنا الاعتيادية ، لا تغيّر الحركة التي تحدث نقل أو تغيير محل كرة البليار من نقطة الى نقطة أخرى شيئاً من خصائصها • وعلى غير ذلك ، تؤثر الحركة المنتشرة في قلب النواة الجوهرية في خصائص المتحركات ــ النيوترونات والبروتونات • وتلك هي حركة تحول الطبيعة •**

ومع ذلك ، تقع مقولتا الحركة اللتان ذكرناهما تحت تأثير الميكانيكية، التكرار والاعتياد • فهما تخصان المتحركات الخاصة المستقلة • وفي حالة النقل والتحويل ، تتفرد المتحركات بوضوح وتستوجب دوائر أو حدوداً معينة • أما في حال حركات تحول الطبيعة ، لا تستوجب المتحركات حدوداً معينة ، وتكون أكثر اختلاطاً و « فضفضة » وأقل تفرداً • فهي تنزع الى الامتزاج بالحركة التي تنشطها وتحييها •

ثالثاً : حركة الخلق والابداع •

يتخذ وضع هذه الحركة ودورها أهمية كبرى لدرجة أنه لا يلائم أو لا يوافق أن نشير اليها بوصفها « مقولة » حركة • لكن الفيزيائيين ، أمثال بوهم ، كابرا ، دوماش ، ويغنر وجوزفسون ، **يعينونها بوصفها الحقيقة الجوهرية للكون** • والواقع هو أننا نحاول عبثاً أن نعتمد صورة ملائمة لتفسير هذه الحقيقة الجوهرية في اللغة الشائعة الرائجة •

وواقع الأمر ان **هذه الحقيقة هي** ، في نظر عدد كبير من الفيزيائيين كما في نظر كريشنامورتي ، **وعي كوني ذو خفق ابداعي أبدي • هي حقيقة لازمنية ، لاسببية ، ذاتية التولد ، لا مشروطة** • ولا تنطبق حركة الخلق والابداع على المتحركات المستقلة المعروفة بدوائرها المحدودة • انها تكوّن الجوهر الأوحد لكل المتحركات المنفصلة ظاهرياً أو المتميزة بحسب مقياسنا • والحق يقال ان هذه الحركة هي الكيان الأوحد ذاته ، الحاضر الذي يقع الى ما بعد صيروراتنا كلها ، و « موجوداتنا » كلها •

تنضوي مجموعة مستويات الطاقة التي تشكل الكون المادي والنفسي، كما تشتق ، من « حقل الخلق الخالص » الذي يحيا في حالة دائمة من التدفق والانبجاس • فكل ما يشاهده الانسان ويختبره أو يتحقق منه على المستويات المادية ، النفسية والعقلية ليس الا « المتبقي » بالنسبة لهذا الأبدي الحاضر •

وفي رأي كريشنامورتي ودافيد بوهم ، يشتمل التحول الروحي على حقيقة تنقذنا من سلطان الحركات المتبقية للطاقة وذلك لكي تفعل فينا حركة الخلق والابداع ذاتها • ولسوف تكشف لنا عتبة الألف الثالثة عن تماثل ولقاء رائعين بين الفيزياء المتطورة التي يقودها دافيد بوهم وبين السرية السامية التي يقودها كريشنا مورتي •

ولئن كان الكون في حقيقته العميقة كوناً واحداً حياً ، فلا عجب أن تكون الحركة الجوهرية حركة واحدة حية في قلب ما ندركه أو نتصوره بطريقة خاطئة عناصر منفصلة ومتفردة • وهذه الحركة الواحدة الحية هي ما ندعوها الحركة الكلية الشاملة • فكل نقطة من نقاط الكون يعزلها مقياس ملاحظتنا وموقفنا الظاهري الامتياز على نحو تحكمي ، تحوي في عمقها علم الكون كله كما تحتوي وتخفي حضور الحركة الكلية في كليتها • وهكذا ينهار قناع أو مظهر انفصال وانعزال الكائنات والأشياء على المستوى الحقيقي •

يتضمن التحول الروحي في انعتاق وتحرر من سلطان ينزع الى أن يمارس علينا التماثل والتوحد مع المعلم السطحي للأشياء الذي يجعلنا نستشفها موضوعات أو أشياء خارجية • لذا ينصحنا كريشنامورتي بتحقيق تيقظ يسمح لنا بالافلات من السلطان الضخم الذي تتصف به الذاكرات والاعتيادات الفكرية التي شوهتها هذه التطابقات والتوحيدات •

وعلى هذا الأساس ، يتضح لنا المغزى المتضمن في نداءات كريشنامورتي المتكررة المتصلة بخلاص اشراطاتنا واستحضار حقيقة مبدعة شديدة الحياة • ويصرح بهذا الشأن :

« يتيح الجلاء أو الوضوح الذي يدركه المرء عن نفسه باكتشاف نموذج ، اعتياد واشراط الفكر • لذا يعني الوضوح الذاتي ومعرفة النفس رفع الحجاب أو الكشف عن السكون المبدع للحقيقة(٣٢) » •

في المحاضرة التي ألقاها في مؤتمر اوجه ، عام ١٩٤٤ ، عرّف كريشنامورتي الحكمة بأنها « تتجلى مع السكون المبدع للقلب ــ الروح(٣٣) » • ولا شك أن مصطلح «السكون» الذي يستعمله كريشنامورتي يثير التباين القائم بين مقولتي الحركة التي نألفهما و « الحركة الجوهرية للخلق والابداع » • وبالفعل ، تظهر المقولتان الأوليتان بأنهما بصمات أو سمات الاثارة والتحريض • أما الحركة الأخيرة فهي سمة السكون والصفاء •

وتتوضح البيئة العينية المختصة بشدة وخلق اليقظة الداخلية في مقطع كتبه كريشنامورتي في تأليفه « محادثات في الهند » عام ١٩٤٨ • يقول :

« هي حالة كينونة لاسببية ، لا تستوجب الزمان ؛ حالة نحياها بشدتها وحدتها • في هذه الحالة أو البيئة يتحقق تجديد ونمو لا يتصف

بالتكرار • ولا ينبثق هذا التجديد من تجربة منفصلة أو منعزلة بل من حالة اختبار دائم » •

نلمس في هذا الحديث دعوة مباشرة للحركة الكلية التي هي سيرورة حركة لامنفصلة ،شاملة ، لازمنية ولاسببية • وهكذا يشتمل التحول الروحي الذي يبشرنا به كريشنامورتي على خلاص من سلطان الزمان ، والدوام ، وتواصل « ما نؤول اليه » ، والتماثل أو التوحد النفسي مع مقولتي الحركة الأوليتين • والواقع هو أن غالبية الحركات تبين وتحدد اتجاهاً ، قصداً ، وصيرورة • لذا نرى الانسان الذي يتطابق مع ذاته ويتوحد معها يرغب أن « يؤول الى مصير » ، كما يرغب أن يكبر ويتعظم ، ويمتلك المزيد ، ويسير باتجاه • وهكذا ، تتحدر الحركات التي تشير اليها أفعال التملك والصيرورة من مقولة أفعال موسومة بالاثارة والتحريض ، والخوف ، والعنف والجشع •

أما الحركة التي يشير اليها فعل « الكون » في معناه العميق ، فانه لا يُشرط بوجهة مميزة • انها توجه الشعور الى أعماقه الخاصة وتهيئه ليتقبل ثروات اللازمني السرمدي التي لا تنضب • هكذا يكون التحول الروحي الذي يقترحه كريشنامورتي تجربة معاشة كاملة لحركة الخلق السرمدي •

ـ ١٥ ـ
الأبدي الحاضر.. اللازمني أو السرمدي

يشدد كريشنامورتي على الاختلاف القائم بين فعلي « الكون » و « المآل أو الصيرورة » • ويعتبر ان النسبة الكبرى من بني البشر محتجزون ضمن فعلي « التملك » و « الصيرورة أو المآل » • ويبدو الأمر سوياً على نحو مؤقت ان كنا نفهم أننا ، من جانب ، « ذاكرات » ، ومن جانب آخر ، ان التاريخ الكلي لتكوين كون حتى بلوغ الكائن البشري يتوضح عن طريق سيرورات ، رابطات ، وتداعيات (التملك ـ التملك أكثر) ، وتكاثر وازدياد (التملك ، التملك أكثر ، المآل ، السير باتجاه) • وهكذا يحمل كل كائن بشري بصمات وسمات هذه السيرورات التي لا تُمحى ، بحيث تتشكل عقب انقضاء مليارات سني الوجود •

ولقد حدثتنا فلسفات عديدة عن الأبدي الحاضر وأثار كريشنامورتي مراراً وجود هذا السرمدي • ولسوء الحظ لا تحمل كلمتا «الأبدي الحاضر» أي مغزى في رأي الكثيرين من الناس • لذا ، يجدر بنا أن نهب انتباهنا لصور أو أفكار مبهمة توحي لروحنا ايضاح هاتين الكلمتين : الأبدي الحاضر ، تماثلان كلمتي « اللازمني » و « الحقيقة السامية » • ولا غرو ان مثل هذه الحقائق تنجو ، ضمن كل احتمال ، من كل احتمال ، من كل تمثل أو قصور عقلي • و عن هذا الموضوع يصرح كريشنامورتي :

« الحاضر هو الأبدي • ففي وسط البقاء والدوام لا نُدرك ما ليس دون بقاء • ولا يحصل هذا الادراك الا عبر الحاضر : فالارجاء الى الغد لا يولد الادراك والفهم • ولا يمكن تجاوز الزمان الا بسكون الحاضر(٣٤)» •

هكذا ندرك أن هذا السكون ليس هو سكون العدم أو اللاشيء ، أو الموت ، كما ليس هو نوم الشعور • وعلى غير ذلك ، يتميز هذا السكون

بشدة خارقة تعود لخفق أو نبض خالق ابداعي غريب كل الغرابة عن الحركات والاحتياجات التي نألفها • ومع ذلك ، نشير الى حقيقة هي انه بامكاننا أن نحيا الأبدي الحاضر حتى ولو لم يكن بامكاننا أن نتمثله من خلال فكرة أو تصور أو قاعدة • وهذا يعني أننا نعجز عن تصور وادراك الأبدي الحاضر ، انما يمكننا أن نحياه • وعلى هذا الأساس ، نتساءل : كيف نحيا هذا الأبدي ونعيشه ؟

ولا يغرب عن بالنا ، بل قد نجهل ، ان هذا الأبدي الحاضر هو كياننا الحقيقي والحقيقة الأوحد لكل الكائنات البشرية • وتضم هذه الحقيقة ليس الكون وحده كما نعرفه بل يشتمل على أبعاد أخرى • لذا ، ليس بامكاننا تحقيق التجربة المعاشة للأبدي الحاضر دون صمت داخلي ، وهدوء الفكر ، والنجاة من سلطان الذاكرات • هذا لأن شبكة الذاكرات ترهق وتربك نفسانيتنا بشكل كبير • فهي تشكل صدى الماضي اللجب الصاخب الذي يشل امكان الاصغاء الى الحاضر • **لذا كان الصمت الداخلي لانتباه كلي ، متحرر من آليات الماضي المقتدرة ، هو الوحيد الذي يسمح بعيش الأبدي الحاضر • وليس هذا الصمت الا الأبدي الحاضر** • ويكون هذا الصمت على نحو لا نهائي أكثر حياة مما وُهبته الكائنات الانسانية المشروطة بشدة العيش •

وبالفعل ، لا نعرف سوى شدّات مثارة أو منهمكة تولد تبذيرات وتبديدات كبرى للطاقة • وهذه الشدّات ظاهرية أكثر منها حقيقية • فهي تجر معها التقهقر والمهانة والانهاك أو التلف المبتسر السابق لأوانه • لكن الشدة الحقة لا تسبب أي تبديل للطاقة • وعلى غير ذلك ، تتكوّن من تضافر طاقات الشعور المنعتق من سلطان ذاكرات الماضي ، طاقات مكثفة في وقتية كل لحظة • وتتكشف هذه الشدة الطبيعية ، المترابطة والملتحمة ، والمنظمة للانتباه ، في بعد جديد • وتشكل هذه الشدة معلماً من معالم العيش اللامتصوَّر للحاضر الأبدي •

ومن وجهة النظر التجريبية ، **تكشف قوة المحبة الحاصلة من الصمت العقلي الحقيقي والموثوق به عن شدة ملازمة للأبدي الحاضر** • ومن هذه اللحظة ، لا تكون صفة أولوية الحقيقي تصوراً • فالحقيقة تفرض ذاتها علينا بطريقة يتعذر علينا مقاومتها • فهي تبدد ضباب بنانا الفكرية السابقة لكي لا يبقى لدينا سوى وضوح ونور حالة الكيان الطبيعي الأقصى •

- ١٦ -

كريشنامورتي والعلم الحديث

يعد كل مؤلف من مؤلفات كريشنامورتي عبارة عن مدخل تجريبي الى حقيقة روحية تتموضع في ماوراء قيم الزمان ، الديمومة ، السببية والقوانين الميكانيكية التي تدير وتنظم العالم المادي • وفي رأيه ان هذه الحقيقة تحتل مكان الأسبقية الأساسية في علاقتها بظاهرات العالم المادي ولو استطاع كل كائن بشري الوصول اليها عن طريق ممارسة يقظة عميقة تتحقق في غضون ظروف واقعية للحياة اليومية •

لكن تعليم كريشنامورتي لا يتخلص فحسب من التماثل والتوحد مع قيم الزمان وآلية العالم المادي ، بل يقترح علينا أن نتحرر من اطالات أو نتائج غير مناسبة لقيم الزمان والآلية في النطاق النفسي •

والكون ، في رأي كريشنامورتي ، كل عضوي تكون فيه الوحدة الحية سيرورة خلق مستمر • وبالنسبة لهذه الوحدة الحيةتكون مظاهر انفصالية أو انعزالية الأشياء المادية أو الكيانات النفسية ثانوية • أما التشابه مع الفيزياء الطليعية فانه تام •

ولو كانت تجربة كريشنامورتي لا تُرد الى معلومات علمية ، فمن الممتع أن نتفحص بايجاز كيف ان العلوم الحديثة ، والفيزياء بشكل خاص ، تنتهي الى أن تقدم لنا عن العالم رؤية تتحرر تماماً من قيم نوفق بينها سواء مع العالم المادي أو معنا •

وفي غضون القرن العشرين ، تعقبت الفيزياء خط سير تقودنا من خلاله كل مرحلة بشكل لا يقاوم الى تطوّق ـ تحويل المادة الى طاقة ـ المادة، ويجعلنا نستشف ما يقع وراءها وما يكمن في أعماقها الخاصة : وحدة حقيقية لازمنية ، لاسببية ، تناهز قيم الروح أكثر من تلك القيم التي

نعزوها الى المادة ٠ وانه لأمر ممتع أن نقدم تلخيصاً لهذه المراحل المختلفة التي بلغت على نحو نهائي شأواً بعيداً في توضيح فهم القيم التي تزودنا بتشابه أكيد مع تلك القيم التي تتبرأ من تعليم كريشنامورتي ٠

□ المرحلـة الأولـى :

ألحق اكتشاف النشاط الاشعاعي هزيمة أولى بخصائص المادة التي لا تقبل التلف أو الانقسام على الاطلاق ٠ ففي عام ١٨٩٦ ، اكتشف العالم الفرنسي هنري بكريل ، الذي تقاسم جائزة نوبل عام ١٩٠٣ مع جوليو ـ كوري ، الاشعاع الذاتي ، التلقائي لأملاح البوتاسيوم ٠

وحوالي عام ١٩٠٠ ، أقام اينشتاين الدليل على وجود علاقة معادلة وتكافؤ بين المادة والطاقة ، وصاغها في قانونه الذي أكد فيه اينشتاين أن طاقة جسم تعادل كتلته مضروبة بمربع سرعة الضوء ٠

وبين عامي ١٩٠٠ و ١٩٠٥ ، وضع ماكس بلانك قواعد الميكانيك الكوانتي وأبان ان ترتيبات أو توزيعات الطاقة غير قابلة للانقسام الـى ما لانهاية ٠ **فهنالك حد لا يمكننا تجاوزه في صغر كميات الطاقات الـذي يظهر وينتشر في الظاهرات الفيزيائية كلها** ٠ ولقد أطلق بلانك اصطلاح « كوانتوم » على هذه الكم الصغـير ٠ ويمكننـا القول ان كل توزيـع أو تقسيم للطاقة على مستوى اللامتناهي الصغير لا يكون على شكل مستمر كما يكون انبجاس ماء مستمر ٠ انه يتشـكل من « حزمات » صغـيرة أو « طفرات ، وثبات » نعينها أحياناً بتعبير « الكوانتية » ٠

هكذا نطرح فكرتين تعارضان الأفكار القديمة التي أشارت الى عدم انقسا مالمادة والى استمرارها ٠

□ المرحلـة الثانيـة :

حدث بين عـام ١٩٠٨ و ١٩١٩ أن عانت فكرتا عـدم تلف المـادة واستقرار ودوام المادة هزيمة قطعية ٠ فلقد أتمت جهود العالم الانكليزي اللورد رذرفورد (١٨٧١ ـ ١٩٣٧) الحائز على جائزة نوبل في الكيميـاء عام ١٩٠٨ ، جهود هنري بكريل وجوليو ـ كوري حول النشاط الاشعاعي ٠ وفي عام ١٩١٩ ، حقق رذرفورد التحول الأول للمادة عندمـا حوّل الآزوت الـى اوكسـجين ٠

عُدت نتائج هذه الاكتشافات مذهلة ٠ وقبل هذه الاكتشافات طـرح

الفيزيائي الذائع الصيت نيلز بور ، حامل جائزة نوبل في الفيزياء ، نموذجاً من الجوهر حمل اسمه • فالجوهر مكوّن من نواة مركزية موجبة تدور حولها الكترونات مكهربة سالبة • وتتوزع هذه الالكترونات الى سبع طبقات متحدة المراكز ـ تندفع نحو المركز ـ وتدور حول النواة المركزية بواقع ٢٠٠ر٠٠٠ الى ٦ر٠٠٠ر٠٠٠ مليار من الدورات في الثانية .

وبالاضافة الى ما سبق ، أقامت الفيزياء الدليل على ان المسافات التي تفصل الجواهر ، مع اعتبار الفارق النسبي ، تماثل المسافات التي تفصل بين النجوم • وأدت هذه الفكرة الى انهيار معتقدين قديمين مرتبطين بالمادة • فلم تعد عصية على الفهم ، أو جامدة لا متحركة •

وانطلق عدد كبير من الفيزيائيين يطرحون أسئلة كثيرة تدور حول الطبيعة الصحيحة للمادة • وصرح البرفسور بول لانجفن منذ بداية القرن ان أياً من قيمنا المألوفة والاعتيادية التي تقترحها أدراكاتنا الحسية لا تنطبق في نطاق الأعماق النهائية القصوى للمادة : المزيد من الصلابة، المزيد من اللانفاذية ، المزيد من الدوام ، المزيد من عدم الاتلاف ، المزيد من الاستقرار ، والمزيد من الثبات واللاحركة •

☐ المرحلة الثالثة :

تقع هذه المرحلة بين ١٩٢٥ و ١٩٣٣ • يكشف التقدم الذي أحرزته التجربة العلمية عن وجود متزامن لخاصتين متناقضتين للألكترون : في بعض التجارب يُظهر الالكترون سلوكاً جسيمياً وفي بعض التجارب الأخرى يُظهر سلوكاً تموجياً • ففي عام ١٩٢٥ ، أسس لوي ده بروي ، حامل جائزة نوبل في الفيزياء ، ميكانيكه التموجي ، واستعاد مبدأ التكاملية الذي صاغه نيلز بور من قبله • فالالكترون يكشف عن كونه جسيماً أو موجة متأثراً بالزاوية التجريبية التي تدرسه •

وحوالي عام ١٩٢٩ و ١٩٣٠ ، اكتشف شادويك جسيماً حيادياً هو النيوترون ، في الوقت الذي أصدر ديراك فرضية وجود الكترونات موجبة أو بوزيترونات • وهذا ما يؤكده اندرسون عام ١٩٣٢ •

حظيت هذه المكتشفات والفرضيات بشهرة كبيرة ، فقد أدت بدورها الى اكتشاف المادة المضادة والطاقة الذرية • وبعد ذلك بعدة سنوات ، أي بين ١٩٣٦ و ١٩٣٨ ، استعمل فرنسيس برّن النيوترونات قذائف ممتازة

في المدفعية الذرية لتحطيم مقاومة الدروع الالكترونية التي تحمي نواة جوهر اليورانيوم ، وتوصل الى تحطيمها · وفي تلك اللحظة ولد العصر الذري الذي لا تحصى نتائجه وعواقبه · وفي غضون تجارب عديدة في الفيزياء ، تحولت المادة الى اشعاع ؛ وبالمقابل أصبح بالامكان تكثيف الاشعاع في مادة ·

□ المرحلة الرابعة :

يعتبر الفيزيائيون هذه المرحلة اعادة كاملة للأفكار القديمة ، ومراجعة لطبيعة المادة · أما الفترة التي حدثت فيها فكانت بين عامي ١٩٣٦ و ١٩٥٠ ·

في عام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ وصف لوي ده بروي الجسيمات الجوهرية بأنها « مناطق نفوذ » أو « حزم موجات » وتمركزات أو تجمعات مؤقتة لموجات احتمال يَتوجب علينا أن لا نتصورها بوصفها اهتزاز شيء مادي بالمعنى الذي نسمعه بشكل عام · وقد اضطر لوي ده بروي ، عام ١٩٤١ ، الى التصريح في كتابه « مستقبل العلم » ان « الفيزياء ، وهي علم المادة بلا منازع ، بلغت درجة تحويل المادة الى طاقة كما جعلتنا نستشف عالماً من الموجات والضوء الخالص » ·

وبعد انقضاء بضع سنوات ، صرح كل من جيمس جينز وآرثر ادنيغتون أن العلم جعلهما يعتبران الكون فكرة عظمى بدلا من آلة ضخمة ·

هكذا ، أسهمت هذه التوجهات الفكرية بشكل غير مباشر في تشكيل « جماعة برنستون » الشهيرة الذين سنعتمد عليهم في تعليقاتنا المقبلة عندما نضع تفصيلا لتصريحاتهم · لكننا نتقدم الآن بملخص هام وأساسي لآرائهم لكي يكون القارىء قادراً على تتبع المقارنة المتدرجة بين تفكير العلماء الطليعيين وتعليم كريشنامورتي · واذا رغبنا في الاطلاع على النتائج التي توصل اليها غنوصيو ، أي عارفو برنستون ، فلا بد من عودة الى ريمون رويّه الذي يبسط معرفتهم ويطورها في كتاب « غنوص ، أي عرفان ، برنستون »(٣٥) :

النقطة الأولى : العالم الخارجي الذي نألفه بالاضافة الى ظاهراته العديدة هو قفا وجه أو موضع وحيد وأصلي ، هو قاعدته وأساسه ·

النقطة الثانية : هذا الوجه أو الموضع الوحيد الذي عنى به الفيزيائيون بأنه « حقل موحد جاذبي فوقي » هو وعي كوني ·

النقطة الثالثة : ذكاء ووعي جوهر أو ذرة لا يحتلان رتبة أدنى من ذكاء ووعي الكائن البشري ، وانما ، قد ، يسموان أو يتفوقان عليه ٠

والحقيقة هي ان كل امرىء يدرك أهمية هذه النتائج التي هي ثمرة تبصرات ومحاورات ودية قام بها عدة مئات من العلماء الذين يُعرفون بشهرتهم العالمية ، ويحمل الكثير منهم جائزة نوبل ٠

□ المرحلة الخامسة :

تتحقق هذه المرحلة بشكل مواز للمراحل السابقة ٠ فهي تعنى باقامة الدليل على انه **يوجد في أعماق الكون المادي جوهر غير مشروط ، لازمني ، لاسببي ، ذاتي التوالد : جوهر موجود بذاته ومجرد من كل آلية** ٠ وعلى هذا السفح الآخر للكون ، أعطى كوستاده بورغار اسم « موضع آخر » ٠ وهذا الاسم يجعلنا نفكر ب « الغيرية » أو « الآخر » الذي استحضره كريشنامورتي أحياناً كثيرة ٠ وأما حقيقة « الآخر » التي نألفها فتشتمل ليس فقط على المعالم الفيزيقية للكون بل الطاقات المشاركة بأفعال وعينا ٠

ولقد وضحت الفيزياء الكوانتية ، في تقدمها المطرد ، أهمية الاخلالات التي يحدثها كل فعل من أفعال المراقبة على العناصر المراقبة ٠ فما مبدأ اللاتعيّن الذي نادى به هايزنبرغ سوى انطلاق الجهود التي أقامت الدليل على الترابط والاتكال المتبادل بين أفعال وعي المراقِب والظاهرات المراقبَة ، لدرجة ان المراقب ، كما أبان شرودنغر ، لم يعد يعتبر مراقباً بقدر ما يعتبر مشاركاً ٠

في مقدمة المؤلف الهام الذي وضعه الفيزيائيان الأمريكيان تارغ وبوتهوف(٣٦) ، يفسّر لنا كوستاده بورغار كيف تجاوزت الفيزياء الحديثة أفكاراً عديدة مألوفة في الفيزياء الكلاسيكية نذكر منها « فكرة انفصال الأشياء التي تمتلك خصائص ، أي امكان « معرفة » خاصة بواسطة مراقبة لا تخلّ بالشيء ؛ الاستقلالية المتبادلة أو المشتركة العائدة لملاحظات عديدة لانتقال أو تحول كوانتي ٠

هكذا تتوضح ، شيئاً فشيئاً ، أهمية الطاقات المعبأة في كل فعل من أفعال المراقبة ، ووحدة الكون أيضاً ٠ وبهذا الخصوص يكتب كوستاده بورغار :

« تمثل أمامنا مفارقة اينشتاين ٠ وما تتضمنه هذه المفارقة هو وجود تداخل تموجي بين كل أفعال الوعي ــ ارادية كانت أم معرفية ــ مهما

كانت قصية عن بعضها ، على نحو زماني أو مكـاني • **الكون كله يهتـز للتساوق والفة التناغم** ، ان تجرأنا على القول ، في وضوح شفاف » •

□ المرحلـة السادسـة :

لم يستجب الفيزيائيون استجابة كاملة لمضامين مبدأ التكاملية الذي أعلنه نيلزبور وتبنّاه لوي ده بروي في ميكانيكه التموجي • **وبمقتضى هذا المبدأ ، يتم التسليم بمرافقة الموجة للجسيم** • ولكن الصعوبة الكامنة في هذا المبدأ هي صعوبة ضبط الاثنين في آن واحد • ولقد أدّى هذا الرفض أو الانكار الناتج عن تصور مرافقة متزامنة للاثنـين معاً الى طـرح أسـئلة عديدة في عقول العلماء لم تتلق اجابات لها •

لكن مبدأ التكاملية ، في رأي كل من كوستا ده بورغار وألفونس غاي، ليس الا سبيلا لفظياً يهدف الى خلاصه من تناقض ظاهري • **والحقيقة هي ان الموجة وحدها موجودة بقدر ما نستطيع رؤيتها • أما المعلم الجسيمـي فليس هو الا معلماً تداخلياً ، بالمعنى الذي يتحمله المعلم الظاهري •**

ان اقامة وزن للفعل الذي تخلفه سلوكات الشـعور على الظاهـرات المراقبَة تعود الى تحولات عميقة في معنى القيم التي وضحتها الفيـزياء الكلاسيكية • فثمة الزام يجعلنا نتجاوز التداخلات الاعتيادية المألوفة بين الصفة الشخصية الذاتية والظاهرية التداخلية على نحو فريد لادراكاتنـا الحسية كلها • **والواقع هو أن هذه الادراكات الحسية لا تزودنا بمعلومـات عن الحقيقة العميقة الواقعة تحت الظاهرات الخارجية • لذا** ، كانت هذه الادراكات مفيدة لنا بحيث أنه لا يمكننا الاستغناء عنها للعيش الوافي على صعيـد الظاهـرات •

أما على صعيد أعماق المادة الذي يسميه البعض « داخل أو باطن » الأشياء ، كما يسميه البعض الآخر « قاعدة وموضع » الكون ، فان الأمـر يختلف اختلافاً كبيراً • ولا شك ان الفيزياء المتطورة والمتقدمة تنسجم تماماً مع موقف كريشنامورتي ، وهو : ثمة الزام يدفعنا الى تجاوز التداخلات الاعتيادية بين الفكر المراقب ومقاييس المراقبَة المستعملة والظاهـرات المراقبَة • ولما كان جوهر المادة والوعي شيئاً واحداً في ذاته ، فان واجب تجاوز ثنائية المراقـب والظاهرات المراقبة ينطبق ، بالطريقة ذاتها ، على فيزياء وعلم نفس الكائن البشري •

اذن ، فاتخاذ موقف الفيزيائيين الطليعيين مفعم بهذا الخصوص بشكل خاص • وعلى هذا الأساس يصرح كل من كوستا دو بورغار والفونس غاي بما يلي : **لا يظهر المعلم الجسيمي الا بمقـدار ما يتجلى وعي أو عائـق يلزمانه على الكشف عن وجوده »** •

تزودنا الفوتونات بمثال بسيط يتصل بما نحن في صدد اقامة الدليل عليه.عندما نصعد الى ارتفاع عال يميل لون الفضاء الى أزرق عاتم ، الى لون بنفسجي ومن ثم الى ظلمة • لذا ، كان الضوء ظاهرة تداخلية • واذا كان الأمر كذلك ، فان الضوء ــ الفوتونات ــ لا يتجلى في تألقه الا في حال تداخله مع عائق هو الأرض •

يعبّر البروفسور رويه عن رأيه ويصف هذا الوضع بالكلمات التالية: « الفضاء الذي لم يمتلىء بخطايا البشر مكان مدلهم مثل باطن الأرض • والأنباء المنتقلة في المكان ــ الزمان تظل مواداً استعلامية ما لم يتم تحويلها عن طريق الكائنات البشرية الذين يستخدمونها(٣٧) » •

وفي الواقع ، ليس جوهر الكون ، ان هو تجرد من معالمه التداخلية ، سوى اشعاع • ويتصاعد هذا الاشعاع الخالص في التجارب التي وضعهـا كريشنامورتي(٣٨) •

□ المرحلـة السابعـة :

آلت النقاط المختلفة السابقة الى ثورات كبرى قلبت مفهوم قيمنـا المألوف • ولقد نتج هذا الانقلاب من المؤلفات والبحوث الحديثة التي قام بها فيزيائيون كبار أمثال بوهم ، كابرا ، جوزفسون وويغنر • **ففي رأيهم ان جوهر الكون ليس مجرد اشعاع خالص بل ان هذه الحقيقة ــ الجوهـر تحتل مركز الأولوية في علاقتها بالمظاهر العديدة للعالم المألوف • وهكـذا يعتبر أولئك الفيزيائيون الكون وحدة عضوية هي قطعة واحدة ، الأمـر الذي جعلهم يعتبرونه حياً واحداً** • ولمـا كان الفيزيائيـون الطليعيـون يتحدثون عن الكون بالطريقة المذكورة ، فانهم لا يتصورونه ، كما تفعل غالبية الناس ، من خلال الهيئة المألوفة للمعلم الظاهري للأشياء والكائنات• فهم يهدفون الى القول ان **الكون هو الحقيقة الأساسية التي تشتمل عـلى ظاهر وباطن الكائنات في آن واحد ، ويمنحون الباطن أي الداخل الأسبقية•** وهكذا تستحضر كلمة « كون » في عقول العلماء الطليعيين حقيقة حيـة ، شبيهة بنهر ضخم يكون دفقه أو سيلانه انبجاساً دائماً مستمراً • وما يدعوه

أولئك الفيزيائيون « **الحقل الموحد الجاذبي الفوقي** » **ويعتبرونه وعياً كونياً شاملا ، قضية يمكن مقارنتها بخفق أو نبض خالق مثابر هو « الموت ـ الحياة » ، أو « الخلق ـ التدمير »** • ويتضح عدم ملاءمة أو كفاية هذه الصور للتعبير عن الحقيقة بكلمات نستمدها من ادراكاتنا الحسية • لذا ، تقتضي الضرورة اكتشاف لغة جديدة ، تعمل على تصاعد رؤيتنا القديمة الظاهرية للكائنات والأشياء •

يبدو لنا أننا في وضع يسمح لنا استعمال لغتنا القديمة المشروطة ، وفق قياس معين ، لكي تعيننا على شعور بوعي اتساع مدى الثورات التي أحدثتها الفيزياء المتطورة • ويسمح لنا هذا الوضع أيضاً ، وبصورة غير متوقعة ، أن ندرك النقطة التي بلغتها في نطاق مفهوم القيم وفي نظام للفكر شبيهين بما اقترحه كريشنامورتي •

واذا عدنا مرة أخرى الى صورة **النهر الكوني** الذي اقترحه دافيد بوهم ، شاهدنا في صدر هذا النهر العظيم الكائن ، تماماً كما نشاهد على ضفتي الأنهار المألوفة لدينا ، دوامات صغيرة تدور حول ذاتها وتمضي في اتجاه معاكس لمسلك السيلان العام • هكذا يكون كل كائن بشري ، وكل شيء آخر ، مهما كان منفصلا ومستقلا في ظاهره ، « لحظة » مؤقتة في صدر ضخامة النهر الكوني • وقد تدوم هذه « اللحظة » قرناً ، بل قد تدوم ملايين السنين ، لكنها تظل مؤقتة وتنضوي تحت جناحي النهر طالما أنها تستشفف وجودها من كلية النهر الكبير •

يصرح دافيد بوهم في كتاب حديث بما يلي :

« تتضمن النظرية الكوانتية والنسبية ضرورة أن نعتبر العالم كلاً لا يتجزأ ، تستند اليه وتتأسس فيه أجزاء الكون كلها ، بما في ذلك المراقب وأدواته ، وتتحد في كل واحد • وفي هذا الكل ، يكون أسلوب المشاهدة الذرية والجوهرية تبسيطاً وتجريداً لا تصح الا في قرينة محددة •

يحق لنا أن نسمي هذه الطريقة الجديدة للرؤية « الكل اللا منقسم للدفق أو السيلان المتحرك » • وتتضمن هذه الرؤية معنى هو ان الدفق يحتل مكان الأولوية في علاقته بالأشياء التي تبدو بأنها تتشكل وتنحل في هذا الدفق •

« وفي هذا الدفق ، لا يقوم انفصال بين المادة والروح لأنهما ليسا جوهرين متباعدين • فهما معلمان مختلفان لحركة واحدة لا تقبل الانقسام »(٣٩) •

يتعين في هذا الكلام واقع هام ، يعبر فيه كريشنامورتي بقوة ودقة عن مفهوم الأولوية في دفتر ملحوظاته · وفي حديث له عن ولوجه محراب هذه الحقيقة ، كتب :

« « ذلك » وجود ، ولا يوجد شيء الى جانبه (···) « ذلك » هنالك دون أي شيء آخر (···) ، « ذلك » كلية الأشياء كلها ، الجوهر »(٤٠) ·

وعلى غرار كريشنامورتي يستدعي دافيد بوهم الصعوبات التي تشرطها الكائنات البشرية حينما يحاولون التوصل الى ما هو عليه جوهر الوجود من لا مشروطية ولا نهاية غير قابلة للقياس · كتب بوهم :

« ما يستطيع المرء القيام به ينحصر في أن يهب انتباهه الكامل وطاقاته الابداعية ليُسهم في الوضوح والنظام داخل كلية الحقل الذي لا يقبل القياس · ولما كانت الحقيقة البدئية الأصلية تقع الى ما وراء كل ما هو مدرج في الأشكال الثابتة للقياس فيجب على طرق الرؤية أن تتوقف عن ملاءمتها لأنها تفسح المجال لأشكال عديدة من الفوضى والارتباك ·

« ومع ذلك ، لما كانت كلية ما هو قابل للقياس مفتوحة على طريقة الرؤية الأصلية والابداعية ، دون أن يقف أمامها عائق أو حد ثابت ، فان مفهوم القيم الذي نعزوه الى العالم يبطل أن يكون جامداً ، وتصبح كلية الحقل القابل للقياس متناغمة ، وذلك لانتهاء سياق التقسيم والتجزئة · ومع ذلك ، تكون طريقة الرؤية الأصلية الابداعية في كلية الحقل القابل للقياس عملا من أعمال لا نهاية غير قابلة للقياس » ·

في هذا الكلام نلقى تماثلا كلياً في اللغة يستعمله كريشنامورتي ، ليس في العمق وحده بل في الشكل أيضاً ·

وانطلاقاً من محادثات بروكوود ، في نهاية عام ١٩٨٠ ، طرح كريشنامورتي قضية معرفة ما يجب على الكائنات البشرية فعله للولوج والدخول بحيث يصبحون مهيئين لقبول الحقيقة الجوهرية اللا مشروطة التي تؤلف الكون ، الكائنات والأشياء ·

وضمن خلاصات هذه اللقاءات، ظهر أنه لا يطلب منا «فعل أي شيء» بالمعنى الاعتيادي لهذا الاصطلاح ، كما ظهرت ضرورة احلال النظام في لا نظامنا والشعور بوعي الاشراطات التي ترهقنا وتذلنا · وفي كلمات أخرى ، ليس

ثمة ما يمكننا أن « نجريه » أو نحدثه على الحقيقة ، وذلك لأننا ، في هذه الحال ، نظل سجناء حلقة مفرغة تفرضها علينا اشراطاتنا • ولدى ممارسة انتباه متيقظ ، متحرر من سلطان اشراطات المعلوم والمُدرك ، ومنعتق من نفوذ ما هو قابل للقياس ، نحقق صمتاً داخلياً في غضونه تستطيع الحقيقة أن تجري عملها فينا • ولن تكون هذه السيرورة من صنعنا بقدر ما هي فعل ما هو جوهري فينا •

يضيف دافيد بوهم : « متى تحققت طريقة الرؤية هذه ، يتوقف المصدر عن التولّد عن تصورات سبق طيها وتضمينها في حقل ما هو قابل للقياس ، لكنها تتولد من لا نهائي غير قابل للقياس يشتمل على العلة المكوّنة لما يحدث في الحقل القابل للقياس • لذا ، يحيا ما يقاس ومالا يقاس في انسجام وندرك أنهما معلمان لكلٍ واحد لا ينقسم »(٤١) •

تلكم هي الحالة التي تعتبر الغاية القصوى للحالة الطبيعية للعيش • وأحياناً يصفها كريشنامورتي بأنها فن الحياة في « المعلوم والمُدرك » الذي يستقر في أساسه على اللامعلوم واللامدرَك » • وهذه الحالة هي وجهة نظر أعلنها الكاتب الطاوي وي وو وي(٤٢) في الكلمات التالية : « **يلخّص الكل بأنه فن حياة على نحو شيء في ذاته ــ نومن ــ وسط الظاهرات ــ فنومن** » •

وان ما يصرح به دافيد بوهم حول فعل مالا يقاس في ما يقاس نجده واضحاً في كلمات فرتجوف كابرا :

« انقضى وقت طويل عانت فيه رؤيتنا للعالم من التقطيع والتجزئة، وأعني أنها كانت مشروطة « بما هو قابل للقياس » ؛ انقضى هذا الوقت الطويل ونحن نخضع لسلطان مايا ونعتقد بأننا مميزون عن بيئتنا ووسطنا، ونستطيع أن نتصرف بمعزل عنها ، الأمر الذي جعلنا سجناء كارما •

« **يعني التحرر من فتنة وسحر مايا ــ ما هو قابل للقياس ــ وتحطيم قيود كارما ــ عجلة الوجود ــ ، التحقق من ان جميع الظاهرات التي ندركها بحواسنا هي عناصر تمت بصلة الى حقيقة واحدة** •

« **وهذا يعني انه يتوجب علينا أن نختبر ، على نحو واقعي وشخصي، حقيقة ان كل شيء ، بما فيه أنفسنا ، هو الجوهر القدسي ••• »(٤٣)** •

□ **المرحلـة الثامنـة :**

لا تُحد الفيزياء المتطورة باعتبارات تم ذكرها وايضاحها • ومـا كتابات وجهود دافيد بوهم ، وويغنر ، وبريبرام ، ودوماش ، الا توضيحات واكمالات لبعض المعالم التي لا نقدر استشفافها الا على نحـو ملخص • واذا كان الأمر كذلك ، فتقتضي الحال انقلاباً كلياً لأفكار تقترح علينـا كلمات مثل « خـلاء » أو « حقيقـة » أو « جوهر مـادي » أو « مـادة » • **وقد اعتبر اينشتاين ان المادة ليست هي أكثر من تموج أو تجعد على صدر ضخامة الحقل الموحَّد • وصرح فريتجوف كابرا بهذا الخصوص : « على غرار اينشتاين يعتبر المعلمون الروحيون الشرقيون هذه الوحـدة التحتية هي الحقيقة الواحدة ، كما يعتبرون تجلياتهـا الفينومنولوجية ظهورات عابـرة ووهميـة »** •

يطور دافيد بوهم هذه اللغة ويعبر عنها بالكلمات التالية : « **تتمثل هذه الطاقة في الحيِّز الخالي ، والمادة كما نعرفها ليست سوى موجة صغيرة في هذا البحر الضخم • ويتموضع هذا البحر في النظام المتضمن المنطوي ، وليس في الزمان والمكان • غير ان كلية الكون ، التي تشمل المكان والزمان والمـادة التي نـدركهـا ، هـي التي تتجلى في هـذا التجعـد أو التمـوج الخفيـف** »(٤٤) •

بهذا الاتجاه تعلن الثورة الكبرى : عدم اعتبار « الخلاء » عدماً بـل امتلاء • وبالاتجاه ذاته يصرح دافيد بوهم :

« في كل الأشياء يعد الجوهري في العوامل والوسائط التي تشارك في اللعبة محيط الطاقة الضخـم الذي يمثل ما ندعوه **الحيـز الخـالي الـذي « يمتلىء » في حقيقته** • والكون المادي ، كما نعرفه ، « تجعد أو تمـوج » بسيط لا تشارك فيه العوامل في المجموع الكلي الا بطريقة لاجوهرية تكاد تكون متلاشية »(٤٥) •

هكذا يبرز الاحساس والمعنى المتضمن في قيمة جديدة شيئاً فشيئاً : أولوية حقيقية تزداد أهمية ، حقيقة جوهرية لا تكون فيها المادة التي نألفها الا انبثاقاً أو صدوراً ، هو في الحقيقة ، أقل جوهرية مما نعتقد بالنسبة الى رِفعـة وتفوق ادراكاتنا الحسية • ويوضح دافيد بوهم بهذا الشأن :

« **ان ما ندركه بأحاسيسنا ونعدّه حيزاً خالياً هو في الحقيقة امتـلاء يكون أساس وجوهر كل وجود ، بما فيه نحن أنفسنا • اذن ، فالموضوعات**

المدركة بحواسنا هي أشكال وصور مشتقة ، بحيث انه لا يمكننا ادراك مغزاها الحقيقي الا باعادتها الى « الامتلاء » الذي نشأت منه وتوطدت فيه قبل أن تفضي حتماً الى النهاية »(٤٦) ٠

هذه النظرة الى الأشياء تبدو لنا جديدة وثورية تماماً أعلنتها النصوص الكلاسيكية للحكمة الهندية والتيبتية والصينية القديمة ٠ وتنظر الحكمة الى العالم المألوف بوصفه ظلاً لحقيقة أساسية ٠ أما التجارب السامية التي اختبرتها هذه الحكمة السرية الفائقة فانها تعزو لهذه الحقيقة القاعدية صفة الأولوية ، صفة أساسية شبيهة بتلك الصفة التي تضفى على الذين يناهزون منهم الجسمانية أو الطبيعية المادية الكونية ٠

أما جسم المراقب ، والموضوعات التي تحيط به ، وكون الكائنات والأشياء ، فتدخل في الدرجة الثانية ، كما وأنها تشتق من الجوهر الأقصى أو « الحقل الموحّد » ٠ وتفرض هذه الحقيقة نفسها على رؤيتنا الداخلية بوصفها « جسماً كونياً » عن طريق أولويتها الكلية الاختراق ، والانبثاث ، والكلية الحضور والوجود ، والجوهرية ٠

يستحضر كابرا هذه الفكرة المدهشة في الكلمات التالية(٤٧) :

« تشدد التقاليد الشرقية على تجربة الجسد الكوني وتعتبرها المدخل الى التجربة السرية للعالم (٠٠٠٠) فالروحاني السرّي يدرك كمال الكون ، أي كله ، بوصفه امتداداً للجسد » ٠

نفسّر المغزى المتضمن في العبارة السابقة في قصيندة « الكون جسدي »(٤٨) ٠

وراء غصن المـوت
الذي حمل نُسغ الأزهار والثمار ،
أمثّل النور الخفي السري
المتألق في ربيع دائم ٠

الكون جسدي
جسدي الأوحد !

جسد الصمت والسكون العظيم !
الصمت العظيم ، الكلي الحضور ،
الصمت الأعظم ، الكلي الانبثاث والاختراق ،
جسد النور الالهي ٠

★ ★ ★

يوضح دافيد بوهم الثورة التامة التي حدثت في الفيزياء الغنوصية ــ العرفانية ــ وقلبت المفاهيم المألوفة ٠ يقول بوهم :

« يضطرم النظام المتضمن أو المنطوي في كماله وكله بشيء ما لطيف دقيق يتعذر لمسه ٠ ولما كان لا محسوساً ، لطيفاً ورقيقاً في جوهره فيجدر بنا أن نتخذه قاعدة ومصدراً أساسياً للفعل ٠ ذلكم هو الانقلاب الكامل الذي وقع في نطاق الاجراء الاعتيادي : عوضاً أن نشتق أو نستمد اللطيف الرقيق من الكثيف المحسوس بصورة مجردة ، نستمد هذا المحسوس الكثيف من اللطيف الحاذق على هيئة مجردة »(٤٩) ٠

هكذا نجد أنفسنا من جديد نؤكد التماثل القائم بين هذا المفهوم الجديد للجوهرية المادية لما نسميه « اللطيف الرقيق » والعلاقة التي يخبرنا بها كريشنامورتي حينما يطرح اقتراحه بصدد الملامسة أو التماس مع « اللطيف الحاذق » ٠

اذن ، فالتصدي الذي يستدعيه كريشنا مورتي ازاء «صلابة ضخمة» يتقارب بشكل أكيد وصريح من مفهوم القيم الذي شرحته الأشكال المتطورة للفيزياء وذلك فيما يخص الميزة التامة للجوهرية المادية التي تعود للجوهر الأقصى للكون ٠

□ المرحلة التاسعة :

تتوغل اكتشافات وبحوث الفيزيائيين ، يوماً بعد يوم ، الى الأعماق القصوى للمادة ٠ وتترقّى الأدوات والوسائل المستعملة في هذه البحوث بحيث أنها تسير في خط مواز مع معطيات فيزياء نظرية مجهزة بأدوات رياضية يزداد اتقانها وكمالها ٠ لذا ، ينصب عدد من الفيزيائيين ، أمثال لورانس ، دوماش ، وويغنر على دراسة الطاقات التي توضح موضع

الحركة عن طريق أفكارنا ، أحكام وعينا وفعل أو تأثير تداخلاتها مع الظاهرات الملاحظة ٠

وفي نهاية القرن العشرين نتصدّى ، ونحن نغوص في حقل الفيزياء الكوانتية ، لمرحلة تنأى كثيراً عن تلك المرحلة التي هيمن عليها مبدأ اللاتعين الذي جاء به هايزنبرغ ، وتكشف عن استحالة تعيين أو تحديد مركز الالكترون وسرعته في آن واحد ٠ وقد حصل هذا الكشف من واقع ان طرائق البحث استفادت من استعمال أدوات قياس أحدثت انقلابات وتشويشات هامة في الظاهرات الملاحظة ٠ ولهذا السبب ، نؤكد ان ماحدث بعد القاء الاضطراب في الالكترون ، وقد هدف الى مراقبته ، هو ان التأثير الحاصل وقع نتيجة تأثير طاقات شبيهة بطاقاته تقريباً ٠ وقد أقام شرودنغر ، فيما بعد ، الدليل على وجود تفاعل بين المراقِب والمراقَب ٠ وفي الوقت الحاضر ، يصرح الفيزيائيون ان القياس في حقل الفيزياء الكوانتية هو الذي يشكّل الظاهرة ٠

والحقيقة ان اصطلاح « القياس » لا يذكرنا فقط بمبدأ الفيزيائي اوجين غوي الذي يصرح ، وهو متفق في رأيه مع الفيزيائي فرديناند غونسث ، ان « المقياس أو القياس المعتمد في الملاحظة يخلق الظاهرة » ، بل أن هذا الاصطلاح ، وهو القياس ، يحتوي ، على صعيد الفيزياء الكوانتية ، موقف فعل الوعي والشعور الصادر عن المراقب ٠

ولا نبالغ في قولنا ان بحوث وجهود دافيد بوهم تهدف الى اقامة الدليل على وجود وحدة الوعي والشعور ووحدة المادة ، كما تسعى الى البرهان على كلية الكوزموس ، أي ان الكون كل ــ واحد ٠ وفي هذه الوحدة تتحقق فكرة أولى هي : تفاعل كوني للعناصر تحت الجوهرية كلها، وفكرة ثانية هي : حركة كلية ٠ وينتج عن هذا ان تغيّر نقطة ، أياً كانت، للعالم الخارجي يحدث أثراً أو رد فعل ، في الحال ، يرتد حتى المجرات البعيدة في الكون ٠

بالاضافة الى ما ذكرناه عن ان الجوهر الأقصى للكون والعالم المادي هو وعي كلي الحضور لآن واحد ، يشتمل كل جزء من أجزاء الكون أي كل نقطة خاصة ، على علم الكل قاطبة ٠

هكذا ترجع الفيزياء الحديثة الى بارامتر ــ ثابت ــ جديد هو : الهولوغرام ٠ ويعد كابرا ، بوهم ، وبريبرام وفيزيائيون آخرون أنصاراً

رئيسين ، بين الأنصار الآخرين ، لهذا العلم الجديد « الهولوغرافي » • ففي منظور كارل بريبرام ــ وهو أستاذ علم النفس والطب النفسي في جامعة ستانفورد ــ **يعتبر الوعي الانساني والدماغ الذي يستعمله هذا الوعي « هولوغراماً » تكمن وظيفته في تفسير وشرح كون هولوغرافي ــ كلّي •**

★ ★ ★

بالاضافة الى ما تم عرضه وبحثه ، يقيم الفيزيائيون علاقات وثام بين حالات النظام وترابط المادة وتماسكها عند درجة الصفر المطلق أي ــ ٢٧٣ درجة تحت الصفر ، وبين حالة النظام وترابط الصفر العقلي أو سكون الفكر وهدوئه • وهكذا ، تتعيَّن الحالة « الكريمة » للمادة بالتماسك والالتحام والنظام • وتدعى هذه الحالة ، حالة الانتروبي السالبة ، في مقابل حالة الانتروبي التي تحدث أو تسبب الفوضى والارتباك والتشويش ــ اللانظام • اذن ، فالحالة الكريمة « للوعي والشعور ، هي أيضاً ، حالة نظام وتماسك تنشأ من صمت أو سكون أو هدوء عقلي •

يصرح ويغنر ، حامل جائزة نوبل في الفيزياء ، ان « الصلة الوثيقة بين الوعي والشعور والنظرية الكوانتية للقياس تقتضي **توضيح طبيعة الوعي ذاته » • ولا شك ، ان هذه الطبيعة تسلك مسلك الموجة في الميكانيك الكوانتي •**

تلكم هي الأسباب التي دعت بعض جماعات الفيزيائيين والاختصاصيين في الفيزيولوجيا العصبية الى دراسة مخبرية لميزات التحولات الكوانتية ، والنظام والتماسك على صعيد الطاقات الكهربائية الملازمة للسيرورات أو للتطورات الدماغية طالما أن التأمل يحقق الانتقال من حالة شعور أو وعي مضطرب أو متداع يتميز بالأفكار ــ انتروبي ــ الى حالة وعي أو شعور خالص ، خال من الفكر ــ انتروبي سالبة •

بناء على ما تقدم ، هدفت البحوث التي أجريت في معهد ميرو في سلزبورغ في سويسرا وتمت باشراف الفيزيائي الذائع الصيت لورانس دوماش الى دراسة التسجيلات الحاصلة عن متأملين قادرين على تحقيق فترات من الصمت العقلي • ولقد ساعد على انجاز هذه التسجيلات التصوير الكهربائي للدماغ • وحول هذا الموضوع كتبت الدكتورة تيريز بروس ما يلي :(٥١)

« تتكشف لنا ، نتيجة لتناقص أو هبوط الفاعلية العقلية ، تحولات تتجه عن طريقها حالات الى حالات أكثر انتظاماً وترتيباً وأكثر رحابة وانبساطاً • ويلاحظ تماسك وترابط مكاني ينتشر الى النطاقات التي تم تسجيلها ، الأمر الذي يشير الى ان التزامن يؤثر في الدماغ الأيمن أكثر مما يؤثر في الدماغ الأيسر • ويحدث هذا في اللحظة التي يصبح فيها التنفس أمراً ثانوياً ، ويسجل الفكر ــ في ذات الوقت الذي يتم فقد الشعور الذاتي ــ اتساعاً للوعي • في حالة لا منتهية ، يعقبها جلاء ووضوح كبير للروح والخلق (•••) وليس هذا الا برهاناً على ان **الوعي لا يعتمد على الأفكار بالقدر الذي يريده علم النفس الغربي** » •

وقد استطاع فريق من علماء الفيزياء الشهيرين أن يتبنوا **وحدة المادة والوعي** ، بحيث أنهم مدّوا بحوثهم الى نطاقات الحياة الداخلية والتأمل اللذين هما الحصن المنيع الذي تقيم فيه السرية السامية • **وهكذا تتوافق الفيزياء العليا على نحو واقعي مع السرية الفائقة** •

ان ما ذكرناه عن صمت المتأملين العقلي الذي سُجلت خلاله السيرورات العقلية ، يؤكد صحة السيرورات التأملية التي عرضها كريشنامورتي • وفي الواقع ، أقام كريشنامورتي تمييزاً دقيقاً بين حالات الصمت العقلي المحققة قصداً ، بوصفها فعلا من أفعال الاختيار أو الارادة من جانب ، وحالة صمت عقلي ناتج من تحول نفسي أو روحي من جانب آخر ، في غضونه يُنزع القناع عن الطاقات التي تعهدها الاضطراب العقلي لتنضب في ينبوعها •

وعلى هذا الأساس ، لا يستطيع أحد أن يبدي رأيه في الآخرين على نحو قبلي ، خاصة وان الأمر لا يقتضي سياقاً يتجلى في نطاق المودة النفسية للكائن البشري • وبالتأكيد ، توجد احتمالات كبرى لا تكون فيها حالة صمت عقلي ناتج من فعل اختيار حالة انحلال كامل للتوترات الملازمة لسيرورات « الأنا » • ونحن لا نستطيع ، بفعل واحد من أفعال الاختيار أو الارادة ، أن نحقق التحول النفسي والروحي الأساسي • لذا ، لم يتوان معلمو عقيدة شان القدامى في الصين العريقة ، أمثال هوي ــ نِنغ وشنْ ــ

هوي عن ترداد الحكمة التالية : « ان كان تأملك فعلا من أفعال الاختيار ، وصمتك العقلي حصيلة فعل ارادي حر ، كنتَ خارج الطريق ».

خلاصة القول : ان كانت تسجيلات حالات الصمت العقلي المحققة بتصميم حر تشهد لنظام وجلاء وترابط ، فبالأحرى ، يتوجب علينا أن نعتبر الصمت العقلي التام الناتج من التحول النفسي والروحي الذي اقترحه كريشنامورتي حالة نظام وترتيب وتماسك وانسجام ووضوح · وتتضمن هذه الحالة في ذاتها المحبة التي تؤلف الثروة الجوهرية · ونحن نقدر ان ارتباطات القوى المتبادلة المذهلة بين الفيزياء المتطورة وبعض معالم تعليم كريشنامورتي التي تم بحثها في هذا الفصل تستحق أن تسترعي انتباهنا والتأكيد عليها ·

* * *

- ١٧ -

الموعد العظيم

يمكننا أن نحدس المعنى العميق المتضمن في التحول النفسي والروحي الذي ظهرت فيه خصوبة تعليم كريشنامورتي بأنه اجراء يختلف كثيراً عن الاجراء المتبع في التحقق العلمي • واننا نستشهد في هذا السبيل بالقطع المكافىء للقاء أو « الموعد العظيم » الذي ذكره معلم التيبت العظيم سام تشان كام با • ولسوف نرى كيف أن هذا القطع المكافىء يجد مكانه بين حكماء وشعراء الصين القديمة •

وفي رأينا ان كل كائن بشري قادر ، في كل لحظة من لحظات حياته ، أن يحصل على اللقاء العظيم لوجوده • ويكشف هذا الموعد العظيم ، لكل من شاء تحقيقه « هنا والآن » عن بيئة ثرية كل الثراء ، وشديدة كل الشدة لدرجة ، لدى المقارنة ، تبهت ازاءه المواعيد أو اللقاءات الرومانسية الملتهبة •• ومع ذلك ، فنحن بحاجة دائمة الى هذا اللقاء أو الموعد العظيم • ونتساءل عن سبب هذه الحاجة ؟ يكمن الجواب في أننا نتخلّف دائماً عن الوصول • وعوضاً عن أن نكون هناك ، حاضرين في الحاضر ، متجدّدين في اللحظة الجديدة ، نبلغ أو ندنو في كل لحظة جديدة ونحن مسحوقون ومتعبون تحت ثقل ووطأة ذاكراتنا المتراكمة • فكل ثانية حاضرة تحتوي على كل شيء فريد من نوعه ، يتعذر استبداله • أما نعمة المحبة الرائعة ، وبركة القوة والنور التي نتهيأ لها فتفلت منّا على الدوام •

واننا لواجدون في العبارة التي يرددها كريشنامورتي « **اننا معتقلون في ما هو مستمر** » عظة كبرى • ومرة أخرى ، نلمح الى التواصل الظاهري للشعور الذي خصصناه بعدد من الشروح والتعليقات • وان كلية الكائنات البشرية ، على وجه التقريب ، تعيش سجينة ملزمة أي مقشطة تواصل

الشعور ، الزمان والدوام • وفي الواقع ، يشكل الاحساس بالانزلاق المستمر للشعور في الديمومة والزمان ستارة تحجب عن بصرنا الداخلي الحقيقة العميقة لكياننا • وهكذا نُعد أناساً متغيبين أو مبعدين لسبب هو أن عائقاً داخلياً يحول دون بلوغ وطننا الحقيقي • ويتصف هذا العائق بصعوبة كبرى بحيث أنه يتعذر علينا ازاحته أو ابعاده كما كنا نفترض • وينشأ هذا العائق من غريزة البقاء التي تتحد برباط قوي مع الشبكة الكبرى لذاكرات تشكل لا شعورنا •

واننا نكرر ، ما رددناه في أماكن كثيرة ، ان هذه الشبكة من الذاكرات التي يرقى أصلها ومنشؤها الى مئات ملايين السنين ، تتواصل بسرعة مكتسبة ثابتة وتعارض كل محاولة تؤدي الى انقطاع تواصلها • ولكن الحقيقة ان الذات غير موجودة والشعور ليس متواصلا • وكما يعبر كريشنامورتي بهذا الخصوص :

« لا وجود لمفكر دون أفكاره ••• ويعد الفصل بين المفكر وأفكاره خدعة أو مناورة يقوم بها المفكر ليمنح نفسه الدوام والطمأنينة والأمن »(٥٢) •

في الواقع ، ليس ثمة تواصل حقيقي في الشعور بل ان مثل هذا الشعور يبدو مستمراً من جراء السرعة ، واللانظام ، والتعقيد والتوترات الملازمة للسيرورة العقلية التي نألفها •

ولقد أثرنا ، مرات كثيرة ، التماثل القائم بين التواصل الظاهري للشعور والتواصل الظاهري لايماءة الممثل الساقطة على شاشة السينما • فالتواصل الظاهري لصورة ذراع ترتفع ينشأ في الحقيقة ، من تتابع سريع لمتتالية صور تشغل فيها الذراع في كل مرة وضعاً يزداد ارتفاعاً بخفة ورشاقة • لكن الواقع هو أن وقفة ومهلة تحدثان بين كل صورة • ولا تبان لنا هذه الحقيقة لأن سرعة تلاحق الأحداث تخفيهما • وبالمثل ، ينشأ التواصل الظاهري للشعور من سرعة وتعقيد أفكارنا •

ومن حين الى حين ، يذكرنا كريشنامورتي بوجود لحظات تقع بين الأفكار • لكن هذه الفواصل تكون مشوشة ، مختلة ، ويكون تلاحق احداثها معقداً وسريعاً بحيث انه يستحيل علينا تبينها واكتشافها • وبالاضافة الى ما ذكرناه ، ترهقنا شبكة الذاكرات التي تشكل الطبقات العميقة للاشعور

ـ بحيث ان رموزاً عديدة تتشخص في مصطلح « الانسان العتيق » ـ لدرجة ان ادراك حالة الفصل يضع أيامنا هذه موضع الخطر ٠

نستنتج أن اللقاء أو الموعد العظيم الذي استحضره شعراء الصين القدامى هو الامتلاء الروحي الذي يتجلى في اللحظة الفاصلة ، في الحالة الفاصلة ٠ ولقد تحدث الأقدمون عن شدتها وفتنتها التي لا تقاوم وروعتها الداخلية ٠ وللسبب ذاته استعمل كريشنا مورتي كلمة « وجد » عندما يعهد الى الشعور بالشدة الرائعة التي تقبل التحول الى الحقيقي ٠ وتستوجب حالة الوجد هذه حالة مجردة من الموضوع ، وليس حالة مجردة من الوجد ٠

وقد اقتبسنا بعض الفقرات التي تخص الحالة الفاصلة بين الأفكار، شدتها ، حريتها ، خصيصة الخلق فيها ، موضوعيتها ، أثناء المحادثات التي قدمها في مدراس في شهر كانون الثاني من عام ١٩٤٨ ونُشرت باللغة الانكليزية على هيئة مذكرات غير منقحة ٠ تحدث كريشنامورتي عن هذه الحالة الفاصلة كما يلي :

« حينما يكون فعل الذاكرة معلقاً ، تكون الروح صافية ، رائعة ومشرقة ٠ وعن طريق التيقظ الدائم ، يحدث فاصل في اللحظة التي يتوقف الفكر عن التدخل ٠ وتحدث حالة من التركيز دون حضور فكر يركز ٠

« واتساع الفاصل بين فكرتين يهب قدرة فائقة لبلوغ أية فكرة قادرة على الظهور في هذه اللحظة الفاصلة ٠ ويتميز هذا الفاصل بيقظته ونشاطه ، وعدم تمييزه ، ووجوده غير الفعال ، وجلائه ٠ وتحيا هذه اللحظة الفاصلة بذاتها ٠ وهكذا لا أثابر في اصراري قائلا « يتوجب عليّ أن أعيش » ٠

« تلك حالة لا تعرف سبباً أو علة لها ، ولا تستوجب زماناً ، لأنها حالة تتسم حياتها بالشدة » ٠

في سبيل تجنب سوء فهم يجتاح روح القارىء الذي يعكف على دراسة المقطع المذكور أعلاه ، نرى من واجبنا أن نحدد بدقة ان « اتساع الحالة الفاصلة بين فكرتين » لا يمكن أن يكون حصيلة فعل ارادة الأنا ٠ ففعل ارادة الأنا هو ، بحد ذاته ، فكرة قصدية تخلق بمجرد حضورها شدة تشكل كل امكان لقابلية التهيؤ الصحيح ، الموثوق به ٠ ولا يغرب عن بالنا ان مكائد « الأنا » حاذقة بقدر ما هي سريعة وعديدة لا تحصى ٠ وفي الواقع، يخشى الانسان العتيق القابع في كل واحد منا « الموعد العظيم » ، ويقفل على نحو دائم الباب الوحيد لسجننا الذي يمنحنا الولوج الى

الخلاص في الامتلاء والكمال · ويتجلى فتح هذا الباب الذي يرمز الى العالم الداخلي في الصور المجردة التي رسمتها الحكمة السرية السامية · ويلمح كريشنامورتي ذاكراً :

« ماذا تفهم حين تستعمل كلمة « أنا ــ ذاتي » ؟ ألا تعلم ان عدداً كبيراً من « أنا » قائم فيك ، وهو في تبدل أو تغير مستمر ؟ ذلك هو الكيان المتعدد ، حزمة الذاكرات التي يتوجب علينا فهمها وليس الكيان الوحيد الظاهري الذي يلقب « الأنا » · لذا ، لا يفتح باب الولوج الى الأبدية ما لم ينضبط الفكر ، ما لم نفهم السياق في كليته »(٥٣) ·

في مؤلف هام خاص بالعلاقات بين اشراطات الزمان التي نألفها وما نعتبره « أبدياً » نعيد الى أذهاننا بعض التعليقات والشروح التي تقدم بها الحكيم الهندي انانندا ك· كوماراسواي وبسط في آن واحد التشابه والتكامل مع مفهوم القيم الذي نلقى صعوبة التعبير عنه ، وفي الوقت ذاته نحاول عرضه وتوضيحه · يكتب المؤلف وهو يتحدث عن الأهمية الأساسية لكلمة « الآن » :

« ذاك الذي لا يشتمل في ذاته على ماض ومستقبل ، يجب أن يكون الآن ، ولا يمكنه أن يكون غير ذلك · لكن الكلمة التي تحفل بمعنى « الزمان المنصف » تشير الى المناسبة أو الفرصة السانحة ، أي المنفذ أو الفتحة ، كما تشير الى ان هذا الفاصل يفتح ويغلق ثانية على نحو متواصل ما دام الزمان ينقضي ، ولا ندرك الفرصة السانحة لتحقيق تلك اللحظة »(٥٤) ·

يضيف كوماراسواي الى ملاحظته : « ثقب الابرة » و « الباب الضيق » في جدار الفردوس · ويحرس هذا الباب الروح العليا للعقل الذي يتوجب علينا قهره ان كنا نريد الدخول » · ويرشدنا الى ما يلي » تجاوز هذا المستنقع اللزج الدبق ــ شبكة الذاكرات ــ ولا تدعْ مجالا لانقضاء اللحظة ، ذلك ان من يدع اللحظة تنقضي يأسف ويندم ··· » ·

بالتأكيد ، تتطابق الحالة الفاصلة بين الأفكار ، التي ذكرها كريشنا مورتي ، مع رمزية « ثقب الابرة » التي تتيح سبيل التجاوز الى امتلاء جوهرنا العميق الذي يختلط مع جوهر الأشياء كلها · ويتوجب علينا المرور من « الباب الضيق » الذي يفتح ويغلق لعجب واندهال « الموعد العظيم » في ألق النور والمحبة ·

نعود فنذكر ببساطة ورزانة الكلمات الثلاث التي تفوه بها حكماء الصين القديمة ليعيِّنوا هذا التحقيق الذي عده الكثيرون أمراً غير قابل للتحقيق : عد الى نفسك ·

مراجـع القسـم الثـاني

١ ـ راجع الصور الفوتوغرافية الحديثة التي تكشف ، للمرة الأولى ، عن وجود النويات الكروية في المؤلف الشهير الذي وضعه غاردنر وسنوستاد ٠
٢ ـ التامل الحقيقي ، نشوء ، نمو وانحلال سراب الذات ٠
٣ ـ جان شارون ، الروح ذلك المجهول ١٩٧٥ ٠
٤ ـ ستيفان لوباسكو ، المادات الثلاث ١٩٧٥ ٠
٥ ـ روبير لنسن ، « العلم والروحانية » و « ما بعد المصادفة والمصادفة المضادة » ٠
٦ ـ ريمـون رويّه ، « عرفان برنستون » ص ٠ ٦٥ ٠ ١٩٧٤ ٠
٧ ـ ريمون رويّه ، المصدر السابق ٠
٨ ـ ريمون رويّه المصدر السابق ص ٠ ١٧٨ ٠
٩ ـ نيرمايانندا ولنسن ، الروعة الالهية ١٩٨١ ٠
١٠ـ ج٠ كريشنا مورتي ، يقظة الذكاء ص ٠ ٤٨٣ و ٤٨٤ ٠
١١ـ ج٠ كريشنامورتي ، يقظة الذكاء ص ٠ ٧٩ ٠
١٢ـ ج ٠ كريشنامورتي ، يقظة الذكاء ص ٠ ٥٤٧ ٠
١٣ـ ج٠ كريشنامورتي ، يقظة الذكاء ص ٠ ٥٥١ ٠
١٤ـ الفونس ده شاتوبريان، رسالة الى العالم المسيحي المحتضر ص ٠ ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ٠ ١٩٥١ ٠
١٥ـ كريشنامورتي ، احاديث في الهند ص ٠ ٥ ١٩٦٥ ٠
١٦ـ جرار تيري ، دنو الحدث ص ٥٧ ٠
١٧ـ كريشنامورتي ، بسيكولوجيا العصر الحديث ص ٠ ٦٨ ٠
١٨ـ كريشنامورتي ، الحرية الاولى والاخيرة ص ٢٧٨ ٠
١٩ـ دافيد بوهم ، الكل والنظام المتضمن والمنطوي ١٩٨٠ ٠
٢٠ـ الكوميديا السيكولوجية ص ٠ ٢٣٩ ٠
٢١ـ بوهم ، كابرا ، جوزفسون ، بورغار ، العلم والوعي ١٩٨٠ ٠
٢٢ـ ك٠ فورد ، عالم الجزيئات الأولية ص ٠ ٢٠٩ ٠
٢٣ـ فريتجوف كابرا ، العلم والوعي ص ٢٤٦ ٠
٢٤ـ الكسندرا دافيد ـ نيل ، الرحلة التيبتية ص ٠ ١٨٦ و ١٨٧ ٠
٢٥ـ الكسندرا دافيد ـ نيل ، المصدر السابق ص ٠ ٢٤٩ ٠
٢٦ـ هـ٠ بولا ده فيتلار ، مدخل الى علم الدلالة لدى كورزيبسكي ٠
٢٧ـ كريشنامورتي ، دفتر ملحوظات ١٩٧٦ ٠
٢٨ـ كريشنامورتي ، دفتر ملحوظات ص ٠ ٣٩ ٠
٢٩ـ نيرمايانندا ، الروعة الالهية ص ٠ ٦٠ ، ١٩٨١ ٠
٣٠ـ ج ٠ بلوفـل ، الطاوية الحية ص ٠ ٢٧٧ ٠
٣١ـ حرّره غولانزه ، لندن ٠

٣٢ـ كريشنامورتي ، كريشنامورتي يتحدث ص ٣٦٠ •
٣٣ـ كريشنامورتي ، محادثات اوجه ص • ٣٦ •
٣٤ـ كريشنامورتي ، كريشنا مورتي يتحدث ص • ٣٨ •
٣٥ـ كريشنامورتي ، منشورات فايار باريس ١٩٧٤ •
٣٦ـ بوتهوف وتارغ ، عند تخوم الروح ص • ١٣ ، ١٥ ، ١٦ باريس ١٩٧٨ •
٣٧ـ ريمـون رويه ، غنوص برنستون •
٣٨ـ كريشنامورتي ، دفتر ملحوظات •
٣٩ـ دافيد بوهم ، الكل والنظام المنطوي لندن ١٩٨٠ •
٤٠ـ كريشنا مورتي ، دفتر ملحوظات لندن ١٩٧٨ •
٤١ـ دافيد بوهم ، المصدر السابق ص • ٢٥ •
٤٢ـ واي وو واي ، كل شيء آخر عبودية ، هونغ كونغ ١٩٧١ •
٤٣ـ فريتجوف كابرا ، طريق الفيزياء ص • ٢١٥ •
٤٤ـ فريتجوف كابرا ، العلم والوعي ص • ١٠٨ ، ١٩٨٠ •
٤٥ـ دافيد بوهم ، المصدر السابق ص • ١٢١ •
٤٦ـ دافيد بوهم ، المصدر السابق ص • ١٠٩ •
٤٧ـ فريتجوف كابرا ، طريق الفيزياء ص • ٣١٠ •
٤٨ـ نيرمانياناندا ، الروعة الالهية ، باريس ١٩٨١ •
٤٩ـ العلم والوعي ص • ١٠٥ •
٥٠ـ كريشنامورتي ، المصدر السابق ص • ٣٩ و ٧٦ •
٥١ـ تيريز بروس ، مجلة يوغا الطاقة عدد كانون الثاني ـ آذار ١٩٨١ •
٥٢ـ كريشنا مورتي ، مقالة في معرفة النفس ص ٢٢٠ باريس ١٩٧٠ •
٥٣ـ كريشنامورتي ، كريشنامورتي يتحدث ص • ١١٣ •
٥٤ـ انندا كوماراسواي ، الزمان والأبدية ص • ٤٤ ، باريس ١٩٧٧ •

★ ★ ★

مـلاحـق :

ملاحظـات حول اللامتناهي الصغير في العالم الحي

نشهد ، ونحن نعبر عتبـة الألف الثالثة ، ان الأسـرار التي تكتنف اللانهائي الصغير للعالم الحي في طريقها الى الكشف عن أعماق حقيقتها ٠

وعلى هـذا الأساس ، تتخـذ الفيزياء والبيولوجيـا وجهة أصيلـة وأساسيـة ، تعمـل ، كمـا نتمنى على حـل المعضلـة المرتبطة بأصـول الكـون والحيـاة ٠

ولقد سبق أن شدد الدكتور روجيه غودل على أهمية هذه الوجهـة في مؤلفيه : « الحياة والتجديد » و « مقالات حول التجربة الحرة »(١)و(٢) ٠

يسير هذا الاتجاه ، على نحو الزامي ، الى المركز حيث يوجد الباطن العميق الذي تحيا فيه الكائنات والأشياء ٠

هكذا نعلم أن بحوث الفيزيائيين الرائعـين ، أمثال دافيـد بوهم ، الأستاذ في جامعة لندن(٣) ، واوجين ويغنر(٤) ، الذين بذلوا جهوداً كبـرى لدراسة **العلاقات القائمة بين جوهر المادة ، والوعي والفكر** ، أقامت الدليل على أهمية هذا الاتجاه ٠

وينتج هذا الاتجاه من واقع ان تحليلنا ينطلق بالتأكيد من العالـم الخارجي ، وأعني من السطح الذي نمنحه مركز الصدارة والأولوية ٠ وكما يعبر ريمون رويه ، يقودنا هذا الوضع بشكل طبيعي الى « اعتبـار المظهر الخارجي للكائنات والأشياء »(٥) ٠

واذا كان الأمر كذلك ، فان اكتشافنا ينطلق ، الزامياً ، من السطـح لكي يتوجه الى المركز أو الباطن ٠ ويتخذ هذا الاكتشاف مساراً مخالفـاً

أو معاكساً للمسار الطبيعي الذي يتخذه التطور الكوني الشامل الذي ينطلق من العالم الخفي اللاظاهر ، اللامتجلي « للأعماق » الى العالم الظاهري المتجلي الذي نألفه • وهكذا ، يتشكل هذا العالم الظاهري من ظاهرات « السطح » بحيث ان الادراكات الحسية والصور تحصل نتيجة للتداخلات ومقاييس الملاحظة المتعددة •

ولا شك ، ان الاتجاه « الى المركز » الذي تحدثنا عنه يعني اتجاهاً يعيِّن وجهة الاكتشاف • ومع ذلك ، يتيح لنا هذا الاتجاه فرصة التوغل الى الينبوع أو المصدر الأولي لحقيقة واحدة تنبثق منها موضوعات وكائنات العالم الخارجي •

هكذا نؤكد ، على نحو خاص ، الواقع الذي يشير الى ان الانبثاق الصادر من أعماق العالم الميكروسكوبي ويتجه شطر العالم الماكروسكوبي الذي نألفه يسلك اتجاهاً غير قابل للعكس • وتعد هذه اللامعكوسية جوهرية في أساسها •

في هذا الخصوص ، يكتب البروفسور اليا بريغوجين(٦) : « **انناً نجد أنفسنا في عالم تشكل فيه العكسية والحتمية صورة حالات خاصة ، وتكون فيه اللامعكوسية واللاحتمية الميكروسكوبية القاعدة » •**

وان الوجهة التي يتخذها اكتشافنا ونحن نتوغل الى المركز تبلغ ليس عالم اللانهائي الصغير الذي يشكل ، ان كان يمكننا القول ذلك الحد بين العالم الخارجي الجلي والعالم الداخلي الباطني ، بل تصل بنا الى أعماق عالم غير متجلٍ ، خالٍ من كل التداخلات التي نألفها • وهنالك تتكشف لنا حقيقة هي أن الحيِّزات « الخالية » حيث تغيب الجزيئات القصوى ليست عدماً أو لا شيئاً •

نحن نعلم ان الجسيمات النهائية الموجودة على مستوى الداخل أو الباطن العميق للمادة تنفصل عن بعضها بحيزات كبيرة تماثل ، ونحن نحتفظ بالتناسب ، الحيزات التي تفصل عوالم اللا نهائي الكبير •

يقول دافيد بوهم(٧) **ان هذا الخلاء الذي نعده عدماً هو في حقيقته امتلاء • ويطبق هذا الخلاء ذاته ، بالطريقة ذاتها ، على الحيِّزات «الخالية» للانهائي الكبير •**

وتشير الفيزياء والبيولوجيا انه بقدر ما تكون الجسيمات أو العناصر التي تتألف منها الخلية مراكز ولا نهائية صغيرة ، يزداد اقترابها من الحد الفاصل بين الزمان ـ المكان الفيزيائي والزمان ـ المكان النفسي الذي أقام الدليل على وجوده فيزيائيون عديدون ٠

والحقيقة هي ان ما بسطناه لا يجرنا الى ترفع أو لا مبالاة ازاء المعالم الماكروسكوبية والمحيطية أو الخارجية للكون ٠ فمن وجهة نظر الخصائص المعينة للعناصر ، يلعب المحيط أو الخارج دوراً أهم مما يلعبه المركز ٠ وما من شيء يبلغ بنا الى فردانية الكائن البشري سوى تجمع وتجاور لا تناهي الخصائص السطحية والمحيطية للجواهر ٠

أما في الفيزياء الكيميائية ، تعتمد الخصائص المعينة للعناصر على العدد وعلى ترتيب أو تنظيم الالكترونات السطحية أو المحيطية وليس على المركز ٠

ولا غرو أن تكون ضخامة تعقيد الجزيئات التي تحققت بفضل تنسيق الالكترونات المحيطية للجواهر التي تشكلها هي التي أدت الى توجيه التطور نحو تشكيل الكائنات البشرية القادرة على ادراك وتبيّن السيرورات ٠

ويخص هذا الشرح خارج أو ظاهر الأشياء والكون الخارجي ٠ « فالخارج أو الظاهر » و « الباطن أو الداخل » ، والمركز أو المحيط معلمان متكاملان ٠ ولكن العناصر ، في هذا التكامل ، لا تحتل مركزاً واحداً ٠ ومن وجهة النظر الاونطولوجية **يحتل « الباطن أو الداخل » مركز الصدارة والأولوية ٠**

يكشف لنا البروفسور دافيد بوهم ان أولوية الداخل في علاقته بالخارج أساسية في الفيزياء ٠ ويصرح « عارفو أي غنوصيو برنستون » **ان ما ندركه بوصفه عالماً خارجياً ليس الا القفا أو الوجه المتعدد الشكل لموضع أو حد يكوّن القاعدة الأصلية ٠**

وان تحقيق الولوج الى هذه المنطقة الأساسية للكون المتجلّي منوط بتطواف ينطلق من محيط أو سطح الأشياء والكائنات ويبلغ مركزها ٠ وخلال هذا البحث والاستقصاء تتكشف لنا ضرورة قصوى تتمثل في تجرد أو تحرر من نفوذ وسلطان الادراكات « السطحية » والحسية لكي نكون متهيئين لقبول مفهوم قيم يختلف كل الاختلاف ٠ وفي الواقع ، ان تذكّرنا

ان الكل حركة في الكون وسعينا لبلوغ مستوى الدفع المبدع الجوهري الذي تتولّد منه مقولات الحركة كلها ، يجعلنا ندرك ان توجيه بحوثنا لا بد وأن يكون الى قلب وليس الى محيط المنظومات الجوهرية ۰

وعلى هذا الأساس ، يندر أن تكون الدراسة الدقيقة لمنظومة جوهرية من زاوية المقولات المختلفة للحركات قد تمت بالفعل ۰ فلو اننا انطلقنا من الالكترونات المحيطية لندخل بالخيال الى أعماق المركز ، لرأينا كيف تكشف لنا النواة عن عالم من الحركات التي هي حركات تحول طبيعة المتحركات أكثر منها حركات نقل وتحويل مألوفة لا تؤثر بشيء في طبيعة المتحركات المنقولة أو المنتقلة ۰

وعلى مستوى أكثر مركزية وأكثر عمقاً تتجلى أمامنا الحركة الكلية ، هي حركة خلق خالص تخص الدفع الخالق المبدع ، حركة تنتشر على نحو لا زمني وفي تزامن كامل في الكون كله ۰

في هذا المنظور الفيزيائي الذي نرى فيه « المسيرة باتجاه المركز » ، يكون الجوهر أكثر أهمية من الذرة أو الجزيء ، كما تكون نواة الجوهر أكثر أهمية من الكترونات المحيط ۰ ففي هذه النواة يتركز ١٩٥٠/٢٠٠٠ من الكتلة الكلية للمنظومة ۰ ومثل هذا الأمر لا يحول دون ضرورة بحث أو تنقيب يكتشف باطن الالكترون ۰ أما اتجاه « المركز » الذي أثرناه ينطبق بالتساوي ههنا ۰ ولقد أقام جان شارون الدليل على هذا الواقع(٨) ۰

تكشف المكوّنات الواقعة في النوية ، والنيوترونات ، والبروتونات ، والميزونات ـ بي ، عن سيرورات تكون فيها المعاني المتضمنة أكثر أهمية ، من وجهة النظر الاونطولوجية ، من المجموع الشامل الكلي للجوهر ۰ ولقد دفع بنا اكتشاف المكوّنات دون البروتونية أو تحت النيوترونية (نارك ، كوارك ، بارك الخ) الى الأمام باتجاه الأعماق القصوى ۰ وها نحن نتساءل : ماذا بعد ذلك ؟

الحقيقة ان « الجوهريين » وهم الفيزيائيون الذين يتبنّون تصوراً على أساسه يعد الكون صرحاً أو بناء مكوّناً من لبنات قصوى متفردة تدعى « الكوارك » أخذوا يتراجعون ۰ فلقد دلت التجارب المكتملة في السيكلوترونات عن وجود تنوعات كثيرة من « الكوارك » ۰ وما ان بدأ الفيزيائيون بتعيين ثلاثة أنواع منها حتى وجدوا أنها تكاد تبلغ العشرين ۰ ويتضح ان الموضوع لن يتوقف عند هذا الحد ۰ لماذا ؟ لأننا نجد أنفسنا

عند هذا المستوى الأقصى لأعماق المادة ، في المنطقة الحراجية الواقعة بين العالم الخارجي المتجلي وعالم الحقل الموحَّد فوق الجاذبي · ولقد عرفه العلماء السوفييت بتعبير أحسـنوا اختياره ، هـو « محيط المادة الأوليـة أو الأصليـة » ·

أما الاكتشافات التي توغلت الى أعماق جوهر المادة فقـد وضعت الفيزيائيين في وضع شبيه بوضع مراقب من خارج كوكب الأرض يكتشف محيطاتنا للمرة الأولى · ومنذ الوهلة الأولى لبحثه واستقصائه ، وفي وقت هادىء نسبياً ، ينشأ انطباع فيه بأنه اكتشف العنصر المكـوّن للمحيط : الموجة · لكنه بعد أن يقوم باستقصـاءات مكملة يعترف بوجـود أنماط من امواج : صغيرة ، متوسطة ، وكبيرة ···

وأخيراً ان كان المراقب يتصف بذكاء كاف يساعده على التحرر مـن التأثير العادي الذي تفرضه تحليلاته التجزؤية ، يدرك ان حقيقة واحدة تتصدّر الأولوية هي : كلية المحيط · فالأمواج ليسـت في تنوعها سـوى ظاهرات تداخلات ثانوية مع الظروف المتبدلة للوسط · تلكم هي مجازفـة « الكوراك » · ولهذا السبب ، وضع الفيزيائي فريتجوف كابرا ، في الآونة الأخيرة ، دراسة نستخلص مغزاهـا من عنوانهـا : الكواراكات بـدون الكواركـات » ·

واننا نستشف في هذه الدراسة وضوح موقف غالبية الفيزيائيين الطليعيين الذين ينضوون تحت اسم « **بوتستراب** » ، **لأنهم أثاروا السيادة المطلقة التي يمارسها الترابط المتداخل والمشترك المتبادل للجسيمات القصوى في علاقتها بفرديتها الظاهرية ·**

وان ما نذكره في حقل الفيزياء بشأن أهمية المركز واللانهائي الصغير ينطبق أيضاً في حقل البيوكيمياء الذرية · وانـا نخص بالدرجة الأولـى حقل ذرات د·ن·ا· و ر·ن·ا· ·

أما الوقائع ، التي لم تشرح شرحاً كاملا ، المتعلقة بانتقال معلومات شيفرة الوراثة والوقائع المرتبطة بشرح وتوضيح الزمان ـ المكان النفسي فلم تفسَّر على نحو واضح الا ضمن قياس يسمح اكتمال أدواتنا باكتشاف حقل اللانهائي الصغير في البيولوجيا ، وفي الكيمياء الحيوية الذرية اكتشافاً دقيقاً · ويخضع هذا الحقل لنظام يبلغ قياسه واحداً على عشرة ملايين من الميللمتر · وتدعى هذه الوحدة « وحدة آنغستروم » ·

ونلاحظ ان التقدم في هـذا الحقل خطا خطوة الى الأمام ٠ فمنـذ عام ١٩٦٢ ، وبفضل البحوث التي قام بها كل من كريك وواطسون ، حاملي جائزة نوبل ، حاز الدور الذي تقوم به ذرة ر٠ن٠ا٠ الملولبة والبنية التي تتكون منها ملحقاً أولياً من الاعلامات ٠ وفي عام ١٩٨٠ برهن البروفسور غاردنر من جامعة يوتا والبروفسور سنوستاد من جامعـة مينسوتا وجـود كروموزوم نواة خاص جداً مشارك لـ ر٠ن٠ا٠ ٠

وها نحن نذكّر القارىء بأن د٠ن٠ا٠ جزيء ذو شكل لولبي لنابض مرتخ طويل رهيف (انظر الرسم رقم ١) ٠ وان ساق هذا النابض يسـع لـ ٢٥٠ انغستروم ٠ وتحتـوي هذه السـاق التفافاً لولبياً من جزيئـات د٠ن٠ا٠ ويتشكل جزيء د٠ن٠ا٠ من سلم حلزوني مضاعف (راجع الرسم رقم ٢) ٠ ويرتبط كل من هذين السلمين الحزونيين بجزيئات كبرى تشكل

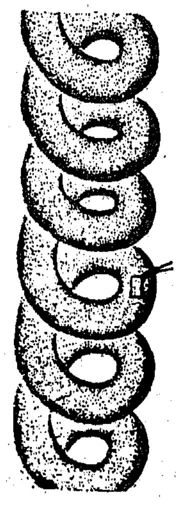


Fig.1

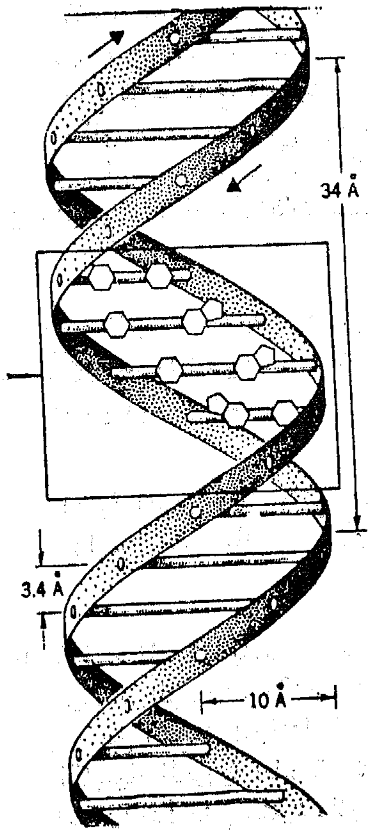


Fig.2

مجموعة قضبان • أما المسافة التي تفصل بين هذين اللولبين فهي ٢٠ انغستروم تقريباً • والمسافة التي تفصل بين كل قضيب تبلغ ٣٫٤انغستروم تقريباً • ويتشكل كل قضيب من سلاسل جزيئات السكر والفوسفات (راجع الرسم رقم ٣) • وتشتمل هذه السلاسل على جزيئات السيتوزين والغوانين بالاضافة الى جزيئات التيامين والأدنين • وترتبط أزواج الجزيئات ببعضها بوصلات الهيدوجين (راجع الرسم رقم ٣) •

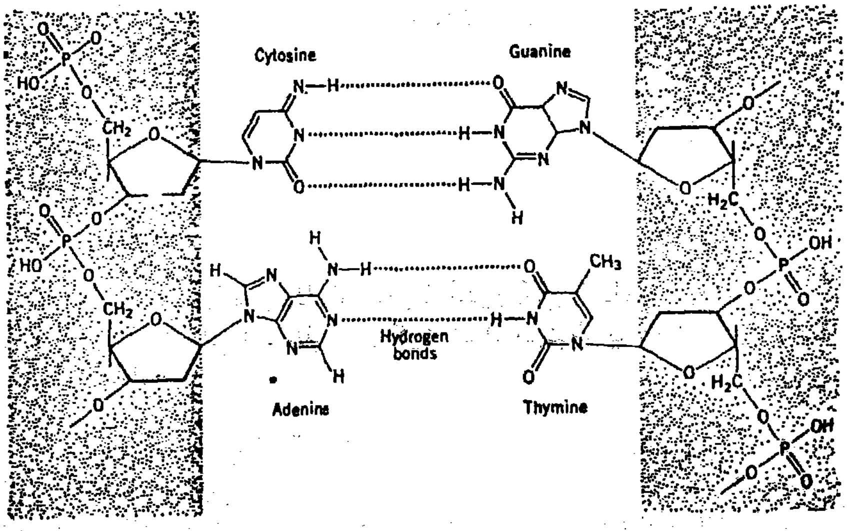


Fig. 3

أما الواقع الهام الذي نستخلصه مما تقدم فهو ما يلي : يمكننا أن نعتبر الجديلة الرئيسة التي تشكل اللولب المضاعف لجزي، د•ن•ا• السلك المركزي الذي تربط بينهما كروموزومات النواة على هيئة حبيبات مسبحة • وفي الواقع ، تحيط الجديلة الطويلة بمتتالية من كروموزومات نواة مستديرة كما يحيط حبل بسلسلة متوالية من رزم صغيرة (راجع الرسم رقم ٤ و ٥) •

تؤدي هذه الرزم الصغيرة التي يبلغ قطرها ١٠٠ انغستروم ، المسماة كروموزوم النواة ، دوراً أساسياً • فهي تتألف من ثمانية بروتينات كروية

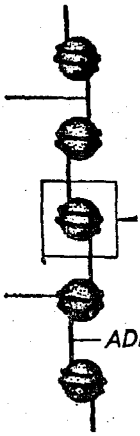


Fig. 4

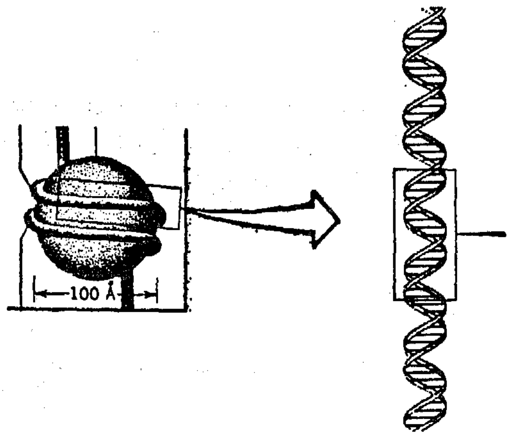


Fig. 5

بحيث ان أربعة منها محبة للماء وأربعة أخرى كارهة للماء ٠ وتتجه رؤوس هذه البروتينات الى الداخل ٠ ويكون الكل مرتبطاً ب د٠ن٠ا٠ بتفاعلات الحمض القلوي ٠

يقودنا التفحص الدقيق للتفاصيل المختلفة والأشكال التي تم عرضها الى خلاصتين : أولهما ، ان « قانون المركز » والدور الأصلي الجوهري للعناصر اللامتناهية الصغر يجعلاننا نأخذ بعين الاعتبار الدور الهام لكروموزوم النواة في انتقال الذاكرات أو معلومات الشيفرة الوراثية ٠ ثانيهما ، ان الأشكال والمظاهر والسيرورات التكثيفية للتبادلات في داخل أو باطن كروموزوم النواة من جهة ، وبين كروموزومات نواة وال د٠ن٠ا٠ من جهة أخرى تدعّم ابداع أو خلق طوبولوجيا المكان الذي افترضه جان شارون ٠ وكما نذكر ، تقترح هذه الفرضية وجود زمان ـ مكان نفسي يشمل التراث الاعلامي لذاكرات الكون ٠ ويكبر هذا الزمان ـ المكان النفسي باستمرار على أثر سياق الانتروبي السالبة(١٠) ٠

هكذا ، تدعّم الاكتشافات المحققة في عام ١٩٨٠ الرصيد الذي يمكننا اضافته للفرضيات المتصلة بوجود زمان ـ مكان نفسي ٠

المراجع

١ ـ روجيه غودل ، الحياة والتجديد ١٩٥٧ ٠

٢ ـ روجيه غودل ، مقالات في الاختيار الحر ١٩٧٦ ٠

٣ ـ دافيد بوهم ، الكل والنظام المنطوي ١٩٨٠ ٠

٤ ـ اوجين ويغنر وتيريزبروس ، يوغا الطاقة ١٩٨١ ٠

٥ ـ ريمون رويه ، عرفان برنستون ١٩٧٤ ٠

٦ ـ إليا بريغوجين ، التحالف الجديد ١٩٨١ ٠

٧ ـ بوهم وكابرا ، العلم والوعي ١٩٨٠ ٠

٨ ـ جان شارون ، الروح ذلك المجهول ١٩٧٥ ٠

٩ ـ فرينجوف كابرا ، طريق الفيزياء ١٩٧٩ ٠

١٠ـ جان شارون ، الروح ذلك المجهول ١٩٧٥ ٠

* * *

□ كريشنا مورتي :

ولدكريشنامورتي في الهند ، في ١٨٩٥ ، في مدينة مادانابال ، عاصمة مدراس . كان والده جيدّو نارانيا مستخدماً في وزارة المالية أثناء وجود الانكليز في الهند . توفت والدته وهو طفل صغير .

مُنح الطفل اسم كريشنامورتي لعادة يتبعها الهنود تقضي بتسمية الابن الثامن في الأسرة كريشنامورتي . وتعد هده التسمية تكريماً لكريشنا الذي يمثل في نظر الهندوس تجسداً للاله .

كان والد كريشنا مورتي ثيوزوفياً ؛ ترك الخدمة لدى الحكومة الانكليزية بعد أن دعته الدكتورة آني بزانت للعمل في المركز العام للجمعية الثيوزوفية التي كانت ترئسها .

وفي عام ١٩١٩ ، وبعد انقضاء فترة زمنية قصيرة على اقامة السيد نارانيا في اديار ، جذب كريشنامورتي وأخوه الأصغر نيثيا نندا انتباه القائمين على الجمعية الثيوزوفية الذين اكتشفوا المواهب والقدرات الكامنة في هذين الأخوين . وقدّروا أنها قابلة ، في حال تنميتها ، للتحقيق، وقادرة على أن تجعل من كريشنامورتي انساناً رائعاً يتصف بنضج روحي خارق .

وعلى هذا الأساس ، نال كريشنامورتي ثقافة خاصة أتاحت له اكمال المهمات العليا الملازمة للمرشد الروحي .

وفي السادسة عشرة من عمره غادر الهند الى أوروبا مصطحباً معه أخاه نيتيانندا . وأقام الاثنان في ضواحي باريس ، ثم انتقلا ، بعد ذلك ، الى انكلترا .

وفي عام ١٩٢٢ سافر كريشنا مورتي الى كليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية . وأمّل نفسه أن يكون المناخ ملائماً لصحة أخيه الأصغر التي كانت تنحط يوماً بعد يوم . وعلى الرغم من العناية الفائقة التي حظي بها نيتيانندا ، فقد غادر هذا العالم في عام ١٩٢٥ . وأحدثت وفاته ألماً كبيراً في قلب كريشنامورتي وتحولاً روحياً أساسياً أدّى الى توجيه فكره ورسالته الى العالم . ولقد كتب في وقت لاحق :

« مات أخي ، وذرفت الدموع في وحدتي · وفي كل مكان قصدته ، كنت أسمع صوته وأرى ابتسامته السعيدة · كنت أحاول أن أشاهد محياه وطلعته في العابرين (···) لكنني لم أجد التعزية في أي واحد منهم · صليت ، وتعبدت ، لكن الآلهة احتفظت بصمتها » ·

اجتاز كريشنامورتي مرحلة الشك بعد أن كان قد تنكر لكل القيم التي رسّخها الثيوزوفيون في صدره وعقله · اجتاز كريشنامورتي هذه المرحلة التي لم تكن فترة قنوط زرع فيه ميلاً ونزعة الى الاشفاق على مصيره بل فترة تميزت بخيبة أمل ، ماتت في نفسه الى الأبد · لقد عاش الوقتية الممتلئة بلحظة الحاضر مع كل ما تتميز به من كمون ثروة ضخمة · وقادته هذه الصعوبة التي اجتازها الى عتبة التحول الروحي الأساسي الذي يدعوه البعض التحرر والانعتاق ، ويدعوه البعض الآخر اليقظة الداخلية ·

كتب رنيه فواره :

« ما ان بلغ كريشنامورتي حداً تمثل في أزمة الاغتراب والانسلاب حتى بدأ في الزوال ، مفسحاً المجال للوجد والانجذاب ·

« من عمق الظلام الذي قبع فيه كريشنامورتي ، تدفّق ضوء ساطع أنار كيانه الداخلي » ·

رفض كريشنامورتي العقيدة « الرسولية » التي تتميز بها الرسالة الروحية التي توقعها منه الثيوزوفيون · وواظب على تأدية هذه الرسالة ، انما بطريقة تختلف كل الاختلاف عما كان يتوقعه ويبتغيه منه المشرفون على تربيته وتثقيفه · وعلى حين فجأة ، تبدلت لغته ، وامتلأ باليقظة والحياة ، والثورية والارادة · وطالب بحلّ جميع التنظيمات الايزوتيرية والاكزوتيرية ـ السرّية والجهرية ـ القائمة لكي تترقّى رسالتها وتترفع الى رتبة أعلى · واعتزل الجمعية الثيوزوفية كما انفصل عن الكنيسة الكاثوليكية الحرة وحلّ أخوية كوكب الشرق التي تأسست بين ١٩٠٩ و ١٩١١ ·

وفي مخيم أومّن عام ١٩٢٩ ، أعلن كريشنا مورتي بلاغه الهام ، فكلّم الحاضرين قائلا : « لا يمكنكم الدنوّ من الحقيقة وأنتم سائرون في درب ضيق ، أو دين ، أو طقس ، أياً كان ، كما لا يمكنكم بلوغها في احتفال

قديم أو جديد · ألا فاعلموا ان الحقيقة بلاد لا طرق فيها ؛ ولا يمكننا الوصول اليها بأي سبيل أو طريق ، بأي دين أو ملة أو طائفة » ·

وبين عامي ١٩٢٩ و ١٩٣٨ عقد كريشنامورتي مؤتمرات منتظمة ، وألقى محاضرات وأعطى أحاديث في مخيم أومّن في هولاندا ، وفي انكلترا ، وايطاليا ، والنرويج ، وأمريكا الشمالية والجنوبية واستراليا ·

وبين عامي ١٩٣٩ و ١٩٤٥ أقام في كليفورنيا ووضع تقنية جديدة للتعبير · واجتمع مع كل من الدوس هكسلي وشارلز مورغان · وكتب الدوس هكسلي مقدمة مؤلف كريشنامورتي الذي يحمل عنوان « الحرية الأولى والأخيرة » ، عام ١٩٤٦ · ولقد أسهمت مقدمة الكاتب الانكليزي الشهير في اشعاع واشراق فكر كريشنا مورتي في العالم قاطبة ·

وفي الفترة الواقعة بين آذار وأيار من عام ١٩٥٠ ، قدم كريشنامورتي دورات من المداولات ، وألقى محاضرات في باريس ··· كان احداها في مدرج السوربون ·

وبين أعوام ١٩٥١ و ١٩٥٥ ألقى محاضرات عديدة في انكلترا ، الهند ، أمريكا ، وهولاندا ؛ وعقد لقاءات فردية خاصة كثيرة في ايطاليا وانكلترا وفرنسا ·

وفي شهر حزيران من عام ١٩٥٦ ، زار بلجيكا للمرة الأولى وألقى محاضرات ست في القاعة الكبرى في قصر الفنون الجميلة في بروكسل بحضور الملكة اليزابت ، ملكة بلجيكا ، التي اهتمت اهتماماً كبيراً بتعاليمه منذ عام ١٩٢٨ · وعقد لقاءات فردية خاصة في دارتنا ترفويرن ، قرب بروكسل ·

وبين ١٩٦١ و ١٩٨١ ، عقد كريشنامورتي لقاءات يومية في سانين قرب جستاد في سويسرا · ولقد ألقى محاضراته بالانكليزية ، وترجمت الى الفرنسية والايطالية والاسبانية والألمانية والهولاندية ، ولغات أخرى ·

وحوالي عام ١٩٦٩ ، ابتاعت « مؤسسة كريشنامورتي » منطقة رائعة في بروكوود في انكلترا لكي تقوم عليها أول مدرسة تحث على استلهام تعاليم كريشنامورتي في تلك البلاد · ولا شك ، ان مدارس عديدة جديدة تستلهم تعاليمه وتؤتي ثمارها موجودة في كندا ، الهند وأمريكا · أما

مدرسة بروكوود فقد انتفعت من تعاون وموازرة الفيزيائي الشهير دافيد بوهم .

كان لقاء دافيد بوهم مع كريشنامورتي ، حوالي عام ١٩٦٥ ، نقطة انطلاق لمجموع من اللقاءات ، والمناقشات والمباحثات أسهمت في نشر تعاليم كريشنامورتي في العالم بشكل عام ، وبين عدد من العلماء ذوي الشهرة العالمية بشكل خاص .

وانطلاقاً من عام ١٩٧٤ ، وباشراف البروفسور دافيد بوهم ، عُقدت لقاءات واجتماعات في بروكوود وفي أمريكا عُرفت بأهميتها التاريخية . وخلال رحلات عديدة نجد كريشنامورتي يترأس مباحثات شارك فيها علماء مختلفون لهم شهرة عالمية ينتمون الى مدارس فكرية متنوعة . وحضر هذه المباحثات علماء أفذاذ أمثال : كابرا من جامعة بركلي ، هاستد من جامعة لندن ، أولمان المدير السابق لقسم الطب النفسي والعقلي في مركز بن ميمون الطبي ، بريبرام من جامعة ستانفورد ، شينبرغ من جامعة نيويورك ، نيدلهام من جامعة فرنسيكو ، سوندرشان من جامعة تكساس ، هيلاي ومونترو من جامعة لندن .

كانت هذه اللقاءات التي تمت بين كريشنامورتي وبوهم والعلماء الآخرين المتنوعين في حقول بحوثهم تتمخض عن دراسات وبحوث تُنشر في مطبوعات منتظمة .

وفي عام ١٩٨١ ، بلغ كريشنامورتي عامه السابع والثمانين . ولا يزال يتابع المؤتمرات والمحاضرات في العالم كله ، بوضوح ذهن ويقظة شعور .

□ كارل يونغ :

ولد كارل يونغ في سويسرا ، في السادس والعشرين من شهر تموز عام ١٨٧٥ . درس الطب في بال وبدأ مهنته في الطب النفسي، عام ١٩٠٠ .

وقام بدور المساعد في مستشفى المعتوهين ، وهي عيادة للطب النفسي، تابعة لجامعة زوريخ ، حيث تم تعيينه رئيساً للأطباء خلال فترة قصيرة .

وفي عام ١٩٠٢ ، مضى الى باريس ليكمل علومه في المعالجة النفسية النظرية . وبعد أن تتلمذ على يد بيار جانيه قفل عائداً الى زوريخ ليتابع دروس بلوير .

ولم يمض وقت طويل حتى أعدّ بنفسه طريقة رائز أكسبته سمعة عالمية ٠

دعته بلدان عديدة الى منصة مداولاتها ومحاضراتها ٠ ومنحته جامعة كلارك في الولايات المتحدة الأمريكية لقب دكتوراه فخرية ٠ وفي عام ١٩٠٥ ، صار أستاذاً خاصاً للطب النفسي في جامعة زوريخ ٠

وحوالي عام ١٩٠٧ ، قام اتصال أولي شخصي بينه وبين فرويد ٠ واهتم يونغ بالتحليل النفسي الفرويدي ٠ لكنه عدّل رأيه حوالي عام ١٩١٢ ، ونشر كتابات نقد فيها نظريات فرويد ، الأمر الذي أدّى الى انفصالهما عام ١٩١٣ ٠

وازداد انجذاب يونغ الى دراسة اللاشعور وفينومنولوجيته ، فقام برحلات دراسية عديدة هادفاً الى فهم دقيق للشعوب البدائية ٠ وفي عام ١٩٢١ ، أقام في افريقيا الشمالية ، وانطلق بعد ذلك الى الولايات المتحدة الأمريكية ، بين عامي ١٩٢٤ ــ ١٩٢٥ ، ليدرس الشعوب الهندية القاطنة في اريزونا في ولاية مكسيكو الجديدة ٠ وزار ، بعد ذلك ، مناطق من كينيا في افريقيا ٠

ولم يتوان يونغ عن الاهتمام والتعمق في دراسة الفلسفات والرموز الدينية في بلدان الشرق الأقصى ٠ وحوالي عام ١٩٣٠ ، التقى ريتشارد ويلهلم ، مدير معهد الصين في فرانكفورت ، وانتهى لقاؤهما الى وضع دراسة تشرح النصوص الطاوية القديمة ــ سرّية زهرة الذهب ٠ وأقام علاقة مع هنري زيمر الاختصاصي بالحضارة الهندية ، وكارل كرنيي الفيلسوف الهنغاري ٠

وبعد ذلك ، دُعي يونغ الى زيارة الهند ، حيث مُنح ، في عام ١٩٣٧ ، دكتوراه في الآداب من جامعة بنارس ومن جامعة ماهومتان في اللاهآباد ، ودكتوراه أخرى في العلوم من جامعة كلكوتا ٠

وفي عام ١٩٣٨ ، نال لقب دكتوراه في العلوم من جامعة أوكسفورد ، وصار عضواً في الجمعية الطبية الملكية في انكلترا ٠

وعندما بلغ ذروة نشاطه بصفته طبيباً ومعالجاً نفسياً ، ومراسلاً ومعاوناً لمجلات ونشرات عديدة ، مُنح يونغ العضوية الفخرية في أكاديمية العلوم الطبية في سويسرا ، عام ١٩٤٣ ، وحصل على الدكتوراه الفخرية من

جامعة جنيف ، عام ١٩٤٥ · وجدير بالذكر قولنا ان يونغ مؤلف حوالي مئة من الكتب التي ترجمت الى لغات عديدة ·

وبناء على اقتراح جمعيات سويسرية عديدة ومبادرة جمعيات أجنبية، تأسس معهد كارل غوستاف يونغ في زوريخ · وترأس يونغ هذا المعهد ·

توفي كارل يونغ في سويسرا عام ١٩٦١ ·

□ دافيد بوهم :

ولد دافيد بوهم عام ١٩١٧ في الولايات المتحدة · درس في جامعة بنسلفانيا وحصل على دكتوراه العلوم عام ١٩٤٣ من جامعة كاليفورنيا في بركلي ·

أتم عدداً من البحوث في مخبر لورانس للطاقة الاشعاعية التابع لبركلي ؛ وعلّم الفيزياء النظرية في جامعات برنستون وسان باولو وحيفا·

وفي الوقت الحاضر يقوم دافيد بوهم بتعليم الفيزياء النظرية في كلية بركبك الملكية في جامعة لندن ·

كان صديق ومساعد البرفسورين روبرت اوبنهايمر وألبرت اينشتاين ؛ وقد عقد معهما لقاءات عديدة خرج منها بنظرة سديدة ساعدته على القاء ضوء على المسائل الكبرى في الفيزياء النووية · أما مباحثاته مع اينشتاين وتبادل الآراء معه فكانت موضوع توافق كبير · وبالاضافة الى الدروس التي يلقيها في جامعة لندن ، يعلّم دافيد بوهم الفيزياء والرياضيات في مدرسة كريشنامورتي الموجودة في حديقة بروكوود قرب وينشستر في انلكترة · وهو مؤلف كتب عديدة في الفيزياء النظرية ·

يترأس دافيد بوهم ، كل عام منذ ١٩٧٤ ، حلقات دراسية يشترك فيها علماء العالم الشهيرون الذين يمثلون مناهج عديدة ·

الفهـــرس العـــام

١ ـ بودوان ، من الغريزة الى الروح ١٩٥٠ ٠

٢ ـ جان بلوفل ، معضلات التصور الأساسي للفيزياء ٠

٣ ـ دافيد بوهم ، المسؤولية البيولوجية ١٩٧٤ ٠

٤ ـ دافيد بوهم ، مقالة في الصياغة الطوبولوجية للنظرية الكوانتية ١٩٦٢ ٠

٥ ـ دافيد بوهم ، الكل والنظام المنطوي ١٩٨٠ ٠

٦ ـ دافيد بوهم ، النظام الملتف ـ المتطور للكون والوعي ١٩٨٠ ٠

٧ ـ تيريز بروس ، البنية الواعية ـ الطاقية الانسان والكون ١٩٧٨ ٠

٨ ـ فريتجوف كابرا ، البوتستراب والبوذية ١٩٧١ ٠

٩ ـ فريتجوف كابرا طريق الفيزياء ١٩٧٩ ٠

١٠ـ جورج كاهن ، فتوحات الفكر العلمي ٠

١١ـ جان شارون ، الروح ذلك المجهول ١٩٧٥ ٠

١٢ـ جان شارون ، نظرية النسبية المعقدة ١٩٧٧ ٠

١٣ـ جان شارون ، غلبة الموت ١٩٧٩ ٠

١٤ـ بول شوشار ، مبدأ الزمان والدماغ ١٩٧٦ ٠

١٥ـ بول شوشار ، الارادة وضبط الدماغ ١٩٨٠ ٠

١٦ـ كوماراسوامي ، الزمان والأبدية ١٩٧٧ ٠

١٧ـ كوستاده بورغار ، الانسجام المسبق للنسبية المقيدة والكوانتا ١٩٦٠ ٠

١٨ـ كوستاده بورغار ، مقدمة مؤلف تارغ وبوتهوف ١٩٧٨ ٠

١٩ـ كوستاده بورغار ، المبدأ الثاني للعلم والزمان ١٩٦٣ ٠ .

٢٠ـ كوستاده بورغار ، الكوزموس والوعي ١٩٨٠ ٠

٢١ـ الكسندرا دافيد ـ نيل ، البوذية ١٩٤٧ ٠

٢٢ـ لوي ده بروي ، المادة والضوء ١٩٣٧ ٠

٢٣ـ لوي ده بروي ، المتصل والمنفصل ١٩٣٦ ٠

٢٤ـ جورج دوبوان ، الغد واشتراكية الرخاء ١٩٤٧ ٠

٢٥ـ آ٠ دوبروف ، الجاذبية الحيوية والبسيكوترونيك ١٩٧٤ ٠

٢٦ـ البرت اينشتاين ، كيف أدرك العالم ١٩٣٩ ٠

٢٧ـ اكليه جورج ، القاعدة الفيزيولوجية العصبية للعقل ١٩٥٣ ٠

٢٨ـ انساسّر ، الجوهر والمتعضية ١٩٦٦ ٠

٢٩ـ رينه فـواره ، كريشنامورتي أو ثورة الحقيقي ١٩٧٠ ٠

٣٠ـ فونغ يو لان ، روح الفلسفة الصينية ١٩٦٢ ٠

٣١ـ فيرسوف فلاديمير ، الحياة ، العقل والمجرات ١٩٦٨ ٠

٣٢ـ غاردنر وسنوستاد ، مبادىء علم الوراثة ١٩٨٠ ٠

٣٣ـ روجيه غودل ، الحياة والتجديد ١٩٥٧ ٠

٣٤ـ هوي هواي ، الطريق الى التحقيق المفاجىء ١٩٤٨ ٠

٣٥ـ ورنر هايزنبرغ ، الكل والأجزاء ١٩٧٢ ٠

٣٦ـ ورنر هايزنبرغ ، الطبيعة في الفيزياء المعاصرة ١٩٧٠ ٠

٣٧ـ فريدريك هويل ، طبيعة الكون ١٩٦٢ ٠

٣٨ـ إي ٠ إيكامي ، الحالات المعدلة للوعي ١٩٨٠ ٠

٣٩ـ ت ٠ ايزوتسو ، المادة والوعي في الفلسفات الشرقية ١٩٨٠ ٠

٤٠ـ ج ٠ جاكوبي ، بسيكولوجيا كارل يونغ ٠

٤١ـ ايف جاغو ، مقام الحرية ١٩٨٠ ٠

٤٢ـ فلاديمير كيلر ، كون الفيزيائيين ١٩٦٩ ٠

٤٣ـ روبير لنسن ، روحانية المادة ١٩٧٠ ٠

٤٤ـ روبير لنسن ، العلم والروحانية ١٩٧٥ ٠

٤٥ـ روبير لنسن ، عقيدة زن ١٩٦٩ ٠

٤٦ـ روبير لنسن ، كريشنامورتي ، بسيكولوجيا العصر الحديث ١٩٧٣ ٠

٤٧ـ روبير لنسن ، ما بعد المصادفة والمصادفة المضادة ١٩٧٩ ٠

٤٨ـ روبير النسن ، العودة ، التقاليد القديمة ، والالكترونية النفسانية ١٩٧٩ ٠
٤٩ـ س٠ لوباسكو ، المادات الثلاث ١٩٦٠ ٠
٥٠ـ س٠ لوباسكو ، الطاقة والمادة النفسية ١٩٧٤ ٠
٥١ـ رامانا ماهارشي ، دراسات عن ر٠م٠آ٠ ١٩٤٢ ٠
٥٢ـ ماهادفان ٠ آت ، فلسفة الادفيتا ١٩٤٧ ٠
٥٣ـ ج ٠ مارلو بونتي ، كوزمولجيا القرن العشرين ١٩٦٥ ٠
٥٤ـ آ٠ ماسلو ، نحو سيكولوجيا الكيان ١٩٧٢ ٠
٥٥ـ ر٠ ماتوك ، النظرية الكوانتية للتفاعل بين الوعي والمادة ١٩٨٠ ٠
٥٦ـ كارل بريبرام ، الروح ، الدماغ والوعي ١٩٨٠ ٠
٥٧ـ ريمون رويّه ، غنوص برنستون ١٩٧٥ ٠
٥٨ـ لوي روجييه ، مجلة العقل الحديث العدد ٣ ١٩٦٧ ٠
٥٩ـ د٠ سيامـا ، القواعد الفيزيائية للنسبية العامة ١٩٧١ ٠
٦٠ـ كارلو سواريز ، الكوميديا البسيكولوجية ١٩٣٢ ٠
٦١ـ كارلو سواريز ، التوراة المصوّبة ١٩٦٧ ٠
٦٢ـ إي ٠ شوفنيال ، المصادفة المضادة ١٩٧٣ ٠
٦٣ـ إي ٠ شرودنغر ، ما الحياة ؟
٦٤ـ د٠ سوزوكي ، اللا عقـل
٦٥ـ تارغ وبوتهوف ، عند تخوم الروح ١٩٧٨ ٠
٦٦ـ تيلار ده شاروان ، الظاهرة الانسانية ٠
٦٧ـ ر٠ تونـير ، نشاة الحياة ٠
٦٨ـ ج٠ فان درليو ، غلبة الوهم ١٩٣٦ ٠
٦٩ـ واي وو واي ، الكل ، باستثناء الحقيقة السامية ، عبودية ١٩٧١ ٠
٧٠ـ إي ٠ ويغنر ، ملاحظات حول علاقات الروح والجسد ١٩٦٧ ٠
٧١ـ ز٠دنك ، البسيكوترونيك ١٩٧٤ ٠

روبير لنسن ـ ملخص بعض مؤلفاته

١ ـ روحانية المادة :

أحدث التطور الحديث في نطاق العلوم الفيزيائية والبيولوجية والنفسية ثورة عميقة أدت الى تبدل جذري في الأفكار التقليدية المألوفة المتصلة بالمادية والروحانية ·

وفي نهاية القرن العشرين الذي يضج بالحركة والقلق ، يقف الانسان أمام كون غريب تبدو فيه الطبيعة الحقة وكأنها تتملص من محاولاته التي يهدف الى تمثلها وتصورها وصياغتها · وفي الواقع ، لم يطرأ أي تبدل أو تحول على الكون؛ وماحدث هو ان تفسيراتناوحدهاتتطور. ومع ذلك يبين لنا هذا التطور ان تصوراتنا القديمة لا تفي بالغرض ·

وتشير الحقيقة الى أنه لا يمكننا أن ننظر الى أي شي من زاوية مادية بحصر المعنى من خلال القيم والمفاهيم التي نعزوها الى كلمة مادة · وبالاضافة الى هذا ، لا يمكننا أن ننظر الى أي شيء من زاوية روحية فقط ، معتمدين ، بهذا ، على القيم التي نضفيها على كلمة روح ·

هكذا نواجه منظوراً جديداً في كتاب روبير لنسن نوجزه كما يلي : الوعي الجلي المنبث الذي تتميز به وحدة وتناسق الكون الذي نتأمله كلاً ـ واحداً · وبالفعل هذا هو المنظور الذي طرحه المفكرون القدامى من أتباع وتلامذة االادفيتا القديمة الهندية ، والطاوية ، وبوذية شان ، والأفلاطونية المحدثة ، الذين فسّروا وحدة الكون النفسية الفيزيقية ·

وفي الوقت الحاضر ، تتجه المعرفة البشرية أكثر فأكثر الى تاليف يجد موضعه الى أبعد من الأطر المألوفةللمادة والروحانية من جانب، والمنظورات التقليدية التأليهية والالحاد من جانب آخر ·

ولقد أسهم عدد كبير من العوامل السائدة والكشوف في تكوين هذا

التأليف المدعو « المادية الروحية » التي يحاول هذا الكتاب الكشف عن وجوهها العديدة والأخاذة ٠

٢ ـ العلم والروحانية :

ينزع التطور الحديث للعلوم ، في الفيزياء والفيزيولوجيا العصبية والبارابسيكولوجيا ، الى توجيهنا نحو تأليف محايثة وتسامي أو تعالي حقيقة قصوى والهية تتجاوز التصورات التي نألفها والمتصلة بالتأليهية والتشخيصية والالحاد ٠

ولقد دأب العلماء الذين تسنموا ذروة المعرفة العلمية في جهودهم المتواصلة لمعرفة الحدود التي يقف عندها العلم ، واعترفوا بوجود تلك الحدود ، كما أكدوا امكان تصور الخلفية التي تضم الوجود والمتمثلة في وحدته وتكامله ٠

صرح ورنر هايزنبرغ :

« ينحل تصور الحقيقة الموضوعية للجزيئات الأولية في وضوح رياضيات لا تمثل سلوك الجزيء بل المعرفة التي نمتلكها عنه » ٠

« يتوجب على أنصار الذرية أن يدركوا ان علمهم ليس الا حلقة من حلقات سلسلة لا متناهية من المحادثات والحوارات تنشأ بين الانسان والطبيعة ، وان هذه السلسلة اللامنتهية لا تستطيع أن تتحدث عن طبيعة في ذاتها » ٠

لا تقودنا الدراسة المطروحة في هذا الكتاب الى تبني عقيدة جديدة أو منهج فلسفي ، بل توجهنا الى اقامة تأليف بين الأفكار الجديدة النسبية لطبيعة مادة مطوقة ـ محولة الى طاقة ـ من جانب ، والطاقات النفسية والروحية التي تكشف أكثر فأكثر عن قرابتها لهذه المادة المطوقة من جانب آخر ٠

٣ ـ البوذية ، الطاوية ، زن :

يعد هذا الكتاب ، في قسمه الأول ، عرضاً تاريخياً للمناهج المدرجة في البوذية : الطاو ، التانترا وعقيدة زن بشكل خاص ٠ لكن المؤلف يركز ، خاصة ، على الصرح الفكري الضخم الذي يمثل البوذية ذاتها ٠ فهو يدرس

الاشراق أو الاستنارة والطرائق العديدة التي تقربنا من الحقيقة : المكونات الخارجية ، طبيعة الأشياء ، تكاملية الفيزياء والسيكولوجيا ، قوة الاعتياد، ولادة الأنا ، النيرفانا والخلاء ، اللاشعور • ويخص المؤلف بعض الفصول لبحث مسألة العلاقات القائمة بين البوذية والحياة العملية ، والمسألة الاجتماعية والعالم الغربي وتفكير كريشنامورتي • أما القسم الثاني فيدرس تحولات العلاقات البشرية • وبالتحديد ، تبدو البوذية بأنها ، في الغالب ، فلسفة دينية • وأخيراً ، نقول ان هذا الكتاب يعد من أفضل الكتب الموضوعة عن هذا الموضوع •

٤ ـ الحب ، الجنس والروحانية :

عديدة هي الكتب التي تفرّدت لدراسة الجنس ، وهزة الجماع ـ النشوة الجنسية ـ ومضامين الجنس النفسية ، ونشوة الحب والعاطفة • أما صلات اختلاف أو تشابه هذه التجارب الانفعالية المألوفة مع حالة محبة حقيقية فان معرفتها لا تتعدى حدود القلة •

ولقد أكد البعض ، منذ وقت طويل ، استحالة قيام علاقة بين انفعال الحب الجنسية من جانب والتجربة الروحية الناتجة من يقظة داخلية من جانب آخر •

وفي الحقيقة ، تضمن تعليم غالبية الحكماء والسريين القدامى ، الغربيين منهم والشرقيين ، كما يتضمن أيضاً ، ما معناه ان التجربة التي تقوم بها الفئة الأولى تحول دون تحقيق أو بلوغ التجربة التي تقوم بها الفئة الثانية • ومردّ هذا الى التعارض التقليدي بين الجسم والنفس ، بين الروح والجسد •

لكن هذا التعارض لا يتضمن تعارضاً في المبدأ بل يشير الى تعارض كلي يقود الى اماتة الجسد وكبح الشهوات ، والى الأشكال المختلفة للزهد، وممارسات تعمل ضد الطبيعة •

أما حكماء مدارس الحكمة السرية وحدهم فانهم يعترفون بوجود علاقات ضيقة بين الروحانية والجنسية •

يهدف هذا الكتاب ، من بين ما يهدف ، الى اضعاف أو تحييد الصفة الاستحواذية للجنس عن طريق توضيح القيم الروحانية الأساسية •

وهكذا ، لا يتوفر للانسان احساس حقيقي بالحب ما لم يدرك هذه القيم الروحية الأساسية الكامنة فيه ٠

٥ ـ التأمل الحقيقي :

يشتمل التأمل الحقيقي في جوهره على شعور بوعي كلي لوظيفة الفكر ، وحدوده ، ودوره ، واشراطاته ونشأته ٠

يكتشف الكائن الانساني في أن روحه ، كما يفهمها وكما تفعل ، ليست اشراطاً ، وانعكاسات لا ارادية آلية ومعقدة للذاكرات ٠ وفي هذا الاكتشاف تكمن اليقظة الداخلية التي توحي بجلاء لا شخصي وغبطة يتعذر سبرها ٠

يضعنا التأمل الحقيقي في موقف يجعلنا نجيب على الأسئلة الأربعة التالية :

١ ـ ماذا نفكر ؟

٢ ـ كيف نفكر ؟

٣ ـ لماذا نفكر ؟

٤ ـ من يفكر ؟

يهدف التأمل الحقيقي الى معرفة النفس عرفاناً تاماً ٠ ويتوجب عليها أن تتحرر من سلطان الفكر والسيادات الذاتية للذاكرة التي تشكل المادة الجوهرية الأساسية ٠

كل فعل يحصل عن فكر يجهل أصله وتكوّنه ، يولد صراعات ، وأخطاء تعجز عن التمييز الصحيح وتؤلف عوامل استعباد وانقياد ٠

ولا تعد الغرائز السابقة للعقل وحدها مسؤولة عن الإضطراب العقلي ، بل تعد أيضاً مسؤولة عن تكوين انطباع تواصل الشعور الذي نألفه ونعتبره ، قبل أي شيء آخر ، وهماً ٠

في هذا الكتاب ، يساعدنا المؤلف على اكتشاف كون جديد ، وبخاصة أنه يعزز رأيه بتقاليد الحكمة الألفية بقدر ما يدعمه بكشوف السيكولوجيا المعاصرة ٠

كتـــب المتـرجـم

١ ـ رسائل في حضارة البؤس ٠

٢ ـ الاشتراكية ومفهوم العدالة ٠

٣ ـ النقد الفلسفي للماركسية ٠

٤ ـ مقالة في العقل والنفس والروح ٠

٥ ـ مقالة في الانسان ٠

٦ ـ بحـوث فلسفية ٠

٧ ـ رد على اليهودية واليهودية ـ المسيحية ٠

٨ ـ رد عـلى التـوراة ٠

٩ ـ دراسات في المثالية الانسانية ٠

١٠ـ المادة والروح ـ تأليف جديد ٠

١١ـ مدخل الى مبدأ الكل ٠

١٢ـ ظاهرة الانسان ، تلار ده شاردان ، ترجمة ٠

١٣ـ موضع الانسان في الطبيعة ، تلار ده شاردان ، ترجمة ٠

١٤ـ الفكر الفلسفي الهندي ، راداكرشنان ومور ، ترجمة ٠

١٥ـ نقطة مقابل نقطة ، ألدوس هكسلي ، ترجمة ٠

١٦ـ الواقع الاجتماعي ، مجموعة مؤلفين ، ترجمة ٠

١٧ـ التطور النفسي في الألف القادمة ، روبير لنسن ، ترجمة ٠

ROBERT LINSSEN

LA MUTATION SPIRITUELLE

DU III^{e} MILLÉNAIRE

1981

يقف العالم على عتبة الألف الثالثة القادمة ، ويتهيأ للعبور الى طور جديد يبشر بتحول ابداعي خالق في طاقات الانسان النفسية والعقلية والعلمية والروحيـــة ٠

فعلى الصعيد النفســـي ، يشتمل العبـــور من خلال عتبة الألف القادمة على الانتقال من « الأنـــا » الى « الكيان » : الى معرفة النفس ٠

وعلى الصعيد العقلي ، يشتمل العبـــور على تجـــاوز ادراكاتنـــا الحسية الى نوع من الحـــدس والبصيرة يتحقق ، من خلالهما ، تفاعل بين الوعي الانساني والطاقة والكتلة ٠

وعلى الصعيد العلمي ، يشتمل العبور على وحـــدة الانسان والطبيعة ، وتوافـــق الباطن مـــع الظاهر ، كما يشير الى وجود حقيقة جوهرية واحدة تستمد منها الظاهرات المتعددة كينونتها ٠

وعلى الصعيد الروحي ، يشتمل العبور على « تحقيق » الطاقات الكامنة في الانسان والامكانات القائمة في الطبيعة ٠ فالتطور الروحي ، في نهايتـــه القصوى ، يشير الى « روحنة المادة »

تلك هي الحقيقة التي تبرز بجلاء ووضوح في هذا المؤلف الذي وضعه روبير لنسن ٠

مطابع ألف باء الأديب
دمشـــق